

# مكتبة الأسرة

## مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

### قليل من الحب كثير من العنف

فتحى غانم



الهيئة المصرية  
العامة للكتاب



لعل الناس تأخذ من اعترافاتهم وتجاربهم عظة وعبرة . وعندئذ ما كنت أجد اني في حاجة لأن أحكي ما سوف أرويهِ .

وأطمئن القارئ الى اني سأقدم له ما لدى من معلومات في اقصر وقت ممكن . كما أريد ان القول لمن يريد ان يتابع أحداث الرواية . انه سوف يتورط الى حد كبير معي ، لأنه سوف يشاركني بالقراءة في كتابة الرواية ، وسوف يكمل بخياله أو افكاره ، أو ردود أفعاله ، ما لم يستطع الكاتب ان يقدمه ، من احكام على سلوك الأشخاص وتصرفاتهم ، ذلك لاني حريص على ان تكون العلاقة بين الكاتب والقارئ قائمة على الحرية الكاملة ، ولا أريد ان أفرس احكاما على أحد ، فأقول هذا طيب وذاك شرير، وهذه بنت عفيفة ، وتلك فاجرة . ولقد كانوا في الماضي يقولون « المعنى في بطن الشاعر » حتى يحتفظ كل متلق للشعر أو الفن والأدب عموما بحريته في اختيار المعاني والاحكام التي يريدُها . ومن هنا تكون قراءة هذه الرواية عملا يشترك فيه القارئ مع الكاتب وقد يتورط في القراءة ، بينما هو يسعى الى تسليّة أو متعة لا تكلفه أي قدر من العناء .

وما حيلتي ، وما سوف أرويهِ يعلننا من الحب ، ويقول لنا ان حياتنا لم تعد تحتل الحب . فهو أخطر على حياتنا من العنف ولذلك نحن نحيا في عصرنا الحالي بـ « قليل من الحب وكثير من العنف » فالي الذي يهمه ان يعرف المزيد ، ويعد في نفسه الرغبة في مشاركتي .. في الوصول الى هذه المعرفة . أقدم له تلك الأحداث بعداها ، كما ولعت بلا زيادة أو نقصان .

ف . غ

:: شهر الليل :: ليلاس ::

www.liilas.com/vb3

## كلمة لابد منها

أحداث وأشخاص هذه الرواية من صميم الواقع المصري كما عاصرت في نهاية السبعينيات . وما سجلته في الفصول القادمة اعتمدت فيه على وقائع كنت شاهد عيان لها ، الا اني اضطررت الى تغيير الاسماء والمواقع الجغرافية ووظائف الناس وذلك حتى لا أتعرض لمساءلة قانونية أو أدبية لا مبرر لها .

وعلى اية حال . شخصية النائب العام في هذه الرواية ، تقوم مقام شخصية حقيقية كان لها سلطة ونفوذ ، واما محافظ الاسكندرية ومدير الأمن بها ، فكلاهما يمثلان - في الرواية - شخصيتين كانا في الواقع على نفس الدرجة من الأهمية ، ولكنهما بعيدان تماما عن جهاز الشرطة كذلك المهندس « طلعت فرج » ابن المليونير أو « الأسطى » أو « الحاج مرسى فرج » بديل مناسب تماما لشخص حقيقي من رجال الأعمال لا صلة له بالهندسة ، ولكنه ايضا ابن مليونير واسطى وحاج .

وكذلك « المنولوجست » زكريا والد « فاطمة » كان في الواقع يعمل في مهنة أخرى لها صلة بالفن ، ولكنها بعيدة تماما عن فن المنولوج .

واعترف اني ارهقت نفسي ، وبذلت جهدا مفسيا لتغيير الاسماء والوظائف والاماكن .. وكم كنت أتمنى لو سمحت الظروف بأن أروي الوقائع الحقيقية ، او كان القانون يسمح بذلك .... وكم كنت أتمنى لو ان بين البشر من يجدون في انفسهم القدرة على مواجهة الناس والاعتراف بما ارتكبوه واترفوه من جرائم وآلهم



## الفصل الأول

انطلقت السيارة الجيب بالرجال الثلاثة مندفعة بهم في طريق الأسفلت الممتد بعداء شاطئ البحر متجهة بهم من معسكر شركة « اماركو » للبترول ، القريب من العلمين الى الاسكندرية ، رحلة اعتادوا القيام بها في الخميس الأول من كل شهر عائدين الى البيت والأهل .

وإذا كان لنا أن نصدق ما يقال ان الناس تصنع أقدارها بنفسها ، وانها تندفع الى مصيرها بوعي أو بغير وعي بما تكسب أو تختار من مواقف في الحياة ، فلا شك أن هذا يصدق تماما على هؤلاء الرجال الثلاثة في العربة الجيب . المهندس طلعت مرسى فرج ، ويونس عبد الحميد صفوت والسائق سيد العتر . ثلاثة هوالم مختلفة ، ثلاثة اكوان متباعدة ، ولكنها توشك أن تصطدم في حركتها ، ويحدث بينها الاحتكاك الذي يتحول الى انفجار وحريق كبير .

كيف يصنع الرجال بأنفسهم هذا الذي لا يخطر ببال ، اية قوى تدفع النفس البشرية فتحولها الى كائن مفترس تتوارى منه خوفا ، أو ربما خجلا ، الحيوانات الضارية الجائعة في الغاب .

كانوا ثلاثتهم صامتين ، كل واحد منهم مشغول بهذا الذي يعتبره سرا لا أحد غيره يعرفه ، وهو لا يدري ، ان هذا السر الذي يتوهم أنه من صميم خصوصياته ، سوف يتفجر في لحظات قادمة لتنفذ شغائيا في لحم الاثنين الآخرين الجالسين معه في الجيب .

كان المهندس طلعت مرسى فرج ، في الرابعة والعشرين ، ربة . اسمر ، له وجه مربع ، رقبتة قصيرة ، يكاد رأسه الضخم يلتصق بكتفيه مباشرة عينا سوداوان زنجيتان مثل شففيه الغليظتين قيهما جوع أو نهم الحرمان أو شهوة ، مخبره مثل مظهره ، فهو الكول ، كان أيام التجنيد يأكل الزلط ، ويتنافس على اكل الطعام ويختطفه من رفاقه المجندين ، ويبتلعه بما فيه من صراخير . يقال انه كان يعتمد دسها في الطعام لينفر الجميع منه فيستحوذ عليه ، وكان اذا اكل بحث عن جسد المرأة ، فاذا افرغ طاقته ، عاد يبحث عن الطعام من جديد . وما زال حتى الآن يمارس نهمه في تلك السهرات التي يقيمها في خيمته بالمعسكر ويدعو اليها مستر كلارك الخبير الأميركي ، اذ يوصي السائق سيد العتر بأن يجلب معه من الاسكندرية كميات هائلة من الجمبرى والكابوريا يقرقزها بينما يصيح مستر كلارك انه اذا وقعت مجاعة في مصر فسيكون المسئول الأول عنها هذا ال « صن او » بيتش . طلعت . فكمية الطعام التي يبتلعها كانت تكفى لاطعام فصيلة « الكابتن كلارك » يوما بأكمله في فيثام .

إبطات الجيب ، لأن سائقها سيد العتر رأى امامه قطيعا من الجمال تمر طريق الأسفلت متجهة الى شاطئ البحر . والتفت طلعت الذي يجلس بجوار سيد ، يبحث بعينه عن قائد الجمال والتفت عينا بالمهندس يونس عبد الحميد صفوت جالسا في المقعد الخلفي ، وابتسم طلعت ، كان الخوف باديا على وجه يونس ، ذلك الوجه الشاحب ، وجه الولد البنت ، وجه ابن الأتراك الأهيل ، انه ليس خائفا فقط من اصطدام العربة بجمل شارد ، انه خائف لانه يحمل معه رغبة طلعت في أن يقابل والده عبد الحميد بك صفوت . النائب العام . ليطلب منه يد ابنته ، شقيقة يونس ، زوجة له . مسكين ، انه مرتبك لا يدرك ماذا يفعل ، ولكنه لن يستطيع أن يرفض ، الملايين التي يملكها طلعت سوف تنتصر تنتصر وتزيح كل العقبات . ولولا أن هذا الولد هو ابن النائب

العام ، ولولا أنه شقيق تلك البنت سارة التي يريدان مهما كان  
 ثمنها في سوق الزواج ، لكان له شأن آخر مع يونس هذا .  
 ربما كان حجم عليه في ليلة من تلك الليالي في الصحراء وقتك به .  
 وربما كان ساعده الخواجة كلارك ، وسيد العتر أيضا . فمئذ أن  
 رآه لأول مرة ، وهو كمن يريد أن ينتقم منه ، كان بينهما تارا  
 قديما ، أنه سخيف ، وسخافته بلا حدود . ناعم مثل الأنثى شعره  
 طويل ينسدل على كتفيه ، يدها تتحركان في رخاوة ، جسده طرى ،  
 لا عضلات . ربما كان غلاما شاذ ، من يدري ، لم يذهب للتجنيد  
 لأنه الولد الوحيد لأبيه ، ولكن أباه النائب العام كان سيفقيه من  
 التجنيد حتى لو كان له عشرة أشقاء ، انه يقسم بشرفه أن يونس  
 هذا كان أنثى لولا أن تدخلت ظروف غير طبيعية ، فحدث خطأ  
 ما في تفاعل الهرمونات في رحم السيدة أمه ، أدى إلى أحداث تعوير  
 في أعضائه في آخر لحظة فولدته ذكرا . ومن يدري فقد يثبت  
 فيما بعد أنه كان بنتا ، فيجرون له عملية مثل تلك العمليات  
 التي يقرأ عنها في الصحف من رجال تحولوا فجأة إلى نساء .

لا شك أن طلعت فرج يكره يونس صفوت ، ولا شك أن هيله  
 الكراهية بدأت منذ رآه لأول مرة ، عندما مر عليه هو وسيد العتر  
 ليأخذاه من فندق « سيسل » إلى معسكر « أماركو » قال له  
 سيد العتر إن الإدارة طلبت منه أن يمر على المهندس الجديد ويأخذه  
 معه في العربة التي تعود بالمهندس طلعت إلى المعسكر . كان سيد  
 يتسم ساخرا أو محظرا ، إذ قال إن المهندس الجديد هو ابن  
 النائب العام عبد الحميد بك صفوت . وأردف معلقا على ذكاء  
 الخواجات في شركة « أماركو » فوجود ابن النائب العام معهم في  
 الشركة يضمن لهم أشياء كثيرة . كانت مع يونس في بهو الفندق  
 بنت جميلة ، سباحاتك ربي الخلاق المصور ، كيف تصنع مثل هذه  
 المخلوقات ؟ أرتبك طلعت أمام نظرات البنت ، بدا في عينيها شيء  
 من التعالي . . وعندما هالت على آذن يونس وهممت له . وهي  
 تراه قادما نحوهما ، أيقن أنها تقول عنه كلاما فيه سخرية به .

كلاما جارحا ، عينها فضحت ما تهمس به ، ومنذ تلك اللحظة  
 وهو يكره يونس ، أما هذه البنت فقد تركت في نفسه جرحا تسيل  
 منه مضاعرا لا يستطيع أن يسيطر عليها أو يحاصرها ، أو حتى  
 يحقد لها معنى . ولكنها على أي لا صلة لها بمضاعر الكراهية ،  
 لأنه أرادها فريسة ، أو غنيمة ، أو جائزة يفوز بها . انك لا تكره  
 فريستك ، حتى وانت تدبر وسيلة اصطيادها . ومنذ اللحظات  
 الأولى أخذ احتياطات الصائد ، حجب عن يونس حقيقة أنه  
 متزوج . حتى وهو مازال يظن أن البنت خطيبة ليونس ، أو ربما  
 زوجته . وكان قد فحص أصابع يونس بحثا عن ديلة خطوبة  
 أو زواج فلم يجدها ، ولكنه هو أيضا متزوج ولا يضع في أصبعه  
 ديلة . كان لا يريد أن يعقد مقارنة بين تلك البنت وزوجته فاطمة ،  
 كانت البنت ترتدى بنطلونا محرقا أسود فوقه بلويزة حمراء ،  
 لها عينا قطرة رومية ، شعرها أحمر منغوش ، « كدش » متوهج ،  
 كأنه لهب مندفع من جسدها المشتعل بالألوان إلى رأسها عندما  
 سأل يونس وهما في السيارة هل هي خطيبته ، سمع النبا الذي فتح  
 له الطريق الذي يسير فيه الآن ، أنها شقيقة يونس . أرض معروضة  
 للبيع ، قال لنفسه ذات مرة وهو شارد بعينه في خلاء الصحراء . .  
 لماذا لا اعترض طريقها عندما أعود إلى الاسكندرية وما تكاد ترى  
 الجاجوار حتى تركيبها ويتم المراد . وانتظر الخميس الأول من  
 الشهر ، وهو يراجع بغياله مشهد ركوبها بجواره . . تتابع  
 المتساهد حتى ينالها ، وقد يتذكر فاطمة زوجته التي ولدت  
 له محاسن منذ عامين ، لا وجه للمقارنة بين فاطمة مهما كان جمالها  
 ووسامتها . وتلك اللهلوية المتحركة المعجونة بماء العفاريث .

عندما اعترض طريقها في شارع صافية زغلول ، قالت له انها  
 لا تستطيع أن تتركب معه سيارته الجاجوار ، ولما رأت الجوع  
 في عينيها قالت له يهدوء قاتل انها تذكره بأن أباه هو النائب العام  
 وأن ما يفعله قد يؤدي به إلى السجن . . كاد أن يقبل التحدي ،  
 ويهجم عليها وليكن ما يكون لولا أنه تذكر ثروته ، وتذكر كلمات  
 لأبيه الحاج موصى فرج عندما سمع نبا تعيين ابن النائب العام

شركة « اماركو » فيرق في رأسه خاطر انه يستطيع ان يتغذ الى البنت مباشرة عن طريق النائب العام نفسه . ولو بطلب يدحا للزواج ، كان الحاج مرسى يشجع ابنه طلعت ويطمئنه ، وهو يهر رأسه ببطء قائلا له ان اولاد البكوات والباشوات لا يساوون الآن في مصر بصلة ولا فجلة ، كلهم شحاتين . فماذا يكون مرتب وزير او نائب عام ، خمسمائة جنيه . . . مئائة ، مئعمائة ، الف في الشهر ، ابوك يعتبر يومه اغبر لو كانت غلته اضعاف هذا المبلغ .

لم تخبر « سارة » شقيقها يونس بمحاولة طلعت . . . ماذا كانت تقول له ؟ انه عرض عليها ان يوصلها بسيارته الى المكان الذي تريده . . . او انها توهمت ان في عينيه رغبة في جسدها . . .

عندما عاد يونس من الحفار داخل البحر بعد غيبته اياما . دخل عليه طلعت الحمام عريانا ، وفزع يونس كانه ليس رجلا انه يخجل من ذكورته ، يخجل من جسده ، ودعاه طلعت الى خيمته ودعا مستر كلارك ، واحضر سيد العتر الجوزة ، وبذل يونس جهدا يائسا ليكركر ويأخذ الانفاس التي كان يخرجها بسرعة من فمه قبل ان يتنلمها في جوفه ، كان يبدو عليه القلق والتوتر ولم ينتش ، ولم يفقد نفسه ولو لحظة واحدة ، ولم يشتم ، ولم يتدمج في صحبة او محبة ، انه لا يعرف معنى المباشرة ، ليس فيه ما يدل على انه من جنس بني آدم وان اباء آدم واه حواء ، كلارك كان ينزعج منه . ورغم ان يونس يجيد الانجليزية التي تعلمها كما يبدو في المدارس الأجنبية منذ الصغر ، ويتلقها وكان امه انجليزية الا ان كلارك كان لا يستريح للحديث معه ، ويفضل ان يتحدث مع طلعت الذي يكاد يفك الخط بالانجليزية ، ولكنه استطاع ان يعلم كلارك مفردات كثيرة من العربية العامية « النبي عري يا خواجه » و « خللي البساط احدي » و « الاشيا معدن وكله البسطه وآخر برصة » و « غسل يا خواجه . . . سكر غسل » والخواجه يحاول ان يتعلم ، ويقلد طلعت ، ويردد هذه التعبيرات كالبهقان وهو يضحك ويهتز بجسده الضخم ، ويتنى نفسه ، او ينسى انه خواجه

قادم من أمريكا ، حتى يفسد يونس كل هذا بلفظة المرحوم شكسبير . فيصح مستر كلارك ويقول ليونس متهمكا انه يخيل اليه انه يعرف الانجليزية اكثر منه ، ورغم غيظ كلارك الواضح الا انه لم يشتم يونس ابدا ، فهو لا يشتم الا الضديق ، ولذلك يتبادل الشتائم مع طلعت ، معبرا عن قمة الصداقة والاندماج والانسجام ، لا حواجز ولا قيود ولا ام ولا اب ولا أى شيء . . . فوق الصداقة والجدعة . كلارك يسمح طلعت الشتائم المنتقاة « حسن او بيتش » ابن الفاجرة . ويرد عليه طلعت « مستين حسن او بيتش » مستين ابن فاجرة . . . كلارك خير اميركى جدد ومجرم ، يفهم في كل شيء ، خير في انواع المخدرات ، مثلما هو خير في انواع البترول ودرجاته .

اما اذا قال طلعت نكتة بذئنة ، رد عليها كلارك بمشر نكات اشد بداعة ، فالمناغسة بين طلعت وكلارك تشمل النكات والشراب والحشيش والمرأة حتى عندما حكى طلعت ذات مرة لكلارك عن تجربة شذوذ جنسى مارسها وهو مراهق في ورشة ابيه الاسطى مرسى فرج مع صبي في الورشة ، وجد كلارك يحدثه عن تجاربه في هذا المجال في فيتنام ، ولما عرف كلارك ان سيد العتر كان يعمل صبييا في ورشة الحاج مرسى فرج ، سأل ضاحكا اذا كان هو الصبي الذي تحدث عنه طلعت ، فلمنه سيد ، وشتمه بالذع الشتائم وتماصكا بالأيدي ، ثم تصالحا ، بالامس اقام طلعت سهرة في خيمته دعا اليها يونس رغم اعتراض مستر كلارك وسيد العتر ، كان لابد وان يحاول مرة أخرى الاقتراب من يونس ، وكان قد صارحه بأنه يريد مقابلة والده ، وانه يريد ان يخاطب شقيقته . كان يونس يقنع في الخيمة كاللقمة في الزور ، وانطلق طلعت يتحدث عن امجاد ابيه الحاج المليونير ، ليكتسح يونس ، ويقول له ان طلعت ابن رجل لا يقف ندا للنائب العام ، بل هو اكبر من ذلك . . . هو قد لرؤساء وكبار . . . فهو الذي تولى الانفاق على استقبال الرئيس نيكسون في الاسكندرية ، لانه كان يعلم ان مجيء نيكسون لزيارة مصر يعنى ان القرض سوف يجري بين الأيدي .

وأن العجلات سوف تجرى في الطرقات ، فإذا ما جرت النقود  
وجرت العجلات انتعشت أحوال الناس ، ودالت دولة الاقتصاديات  
والموظفين من صغارهم إلى كبارهم ، فهم الذين أساءوا إلى البلد ،  
وتهبوها وسرقوها ، وجلبوا عليها الخراب والتحس ، ثم جلسوا  
على تلها ، أقام الحاج سرادقات ، وجاء بقرنين ، وذبح المعزول ثلاث  
ليال تبعد من السراشق عند سيدي أبي الدرداء ، حتى نهاية شارع  
صلاح الدين عند الترام ، وحيث توجد الورشة الأصلية ، ورشة  
الأسطى مرسى فرج الميكانيكي ، الذي خرج منها غازيا ليتبوأ عرشه  
معلما ومليونيرا ، وسيدا صاحب كلمة ، يقابله الرئيس الأمريكي  
فيشكر له صداقته الثمينة التي يحرص عليها لأمركا .

كان طلعت لا يكف عن الحديث .. يريد أن يفصل مع يونس  
.. أن أباه اقوى في هذا البلد من النائب العام ، واقوى وأهم  
من أي وزير في الوزارة .. المال في يده يتيح له أن ياكلهم جميعا  
.. الوزير لا يركب المرسيدس الجديدة ، والجاجوار الجديدة ، كان  
طلعت مع أبيه الحاج وهو يشتري من المصنع في ألمانيا ثلاث  
عربات مرسيدس مصنوعة خصيصا له ، كان مدير المصنع يقف في  
انتظارها عند البوابة ، يستقبلها طبعاً استقبالاً يفوق استقبال  
الذي يعمده لرئيس وزراء فلسطين بين استقبال زيون يشترى ،  
ورئيس وزراء جاء ليقرض ، متسول يبحث عن قرض بلا فائدة  
أو منحة بلا مقابل ، كان حديث طلعت محموما ، لأنه يصبر عن  
مشاعر غامضة لا يستطيع تحديدها عندما تهاجمه ، وكان يواجهها  
بأن يقول لنفسه أن المال سوف يشتري سارة ، وأنه واثق من  
ذلك ولكنه في الحقيقة غير واثق لأنها امرأة من نوع غير الذي  
يعرفه .. نوع غير أمه ، وغير شقيقاته ، وزوجات أشقائه ، وغير  
زوجته فاطمة ، بنت بحري ، الداعية الماكورة ، التي تلعب  
بالبيضة والحجر ، وهي تبدو ساكنة ساهته ، أنه ليس في حاجة إلى  
مكر وشطارة فاطمة وليس في حاجة إلى حبها .. وليس في حاجة  
إلى ابتها محاسن .. أنه يريد أن يكون له ولد .. وعندما  
يأتي هذا الولد فستكون أمه امرأة من تلك العينة التي تمثلها

سارة ، بشرط أن تكون شريفة طبعاً ، والظواهر تفعل حتى الآن  
أن سارة شريفة .. رغم ملابسها وكدهشها الأحمر ، ربما هي شريفة  
بالرغم منها .. لأنها موضوعة دائماً تحت الحراسة والرقابة ،  
ولكن هذا هو شأن كل النساء .. ناقصات عقل ودين ، ولا أمان  
لهن ، على أية حال الدنيا تغيرت ، وكما انتقل المال اليها ، لا بد  
أن تنتقل اليها النسوان ، ولن تجد سارة ، تحت هذا الحيوان  
يونس ، من هو خير منه ، مالا وصحة وشباباً ، وفاطمة ليست  
مشكلة ، لا هي ولا ابتها ، ولو صممت سارة على أن تكون وحدها  
بلا ضرة فيطلق فاطمة ، ويترك لها محاسن تتسلى بها ، ولكن  
لا داعي لأن يستطرد مع هذه الخواطر قبل أن يصل إلى نتيجة  
مع شقيقة يونس ، أه منكما أنت وشقيقتك ، كانت دهشة يونس  
فاضحة ، لم يصدق أذنيه ، وهو يسمح أن طلعت يريد مقابلة والده  
ليقدم له خطة شقيقته ، ولكنه استطاع أن يكتم انفعاله ، ولم يترك  
له طلعت الفرصة ليبدى رأيه ، قال له : إلا شأن له كل المطلوب  
منه أن يعد اللقاء مع والده .. وأنه لا يريد وساطته ، فهو ليس  
ابن رجل نكرة ، ولا يطلب مساعفة ولا ممونة ، بل هو يتقدم  
ليصدق ، وليفتح أبواب خزانته لمن يسعدها الحظ ويقع اختياره  
عليها ، قال ليونس ، إذا كان هناك كلمة لا بد أن يقولها ..  
فلتكن أن هذا العريس القادم اليكم ، يستطيع بكلمة واحدة ..  
أن يضع مليوناً من الجنيهات باسم عروسته في نفس اللحظة التي  
تعلن موافقتها على الزواج به ، وفتح يونس الغيب فيه ليقول كلاماً  
خائياً ، قال أنه لا يظن أن المال هو الذي يغري شقيقته فعاجله  
طلعت بطلبه الحاسم ، إلا يتفضل ، والا يصدر أحكامه ، وأن  
يترك الشأن لأصحاب الشأن ، وشعر طلعت أنه مقبل على التعامل  
مع مخلوقات غريبة ، كل ما يتوقعه منهم إذا كانوا على شاكلة  
يونس ، هو المعجز والتحس ، والذهول الذي يضرب على عقولهم ..  
ويشل حركتهم .. أن يونس هذا له رائحة عطنة تفوح من عقله ..  
كم يكرهه ، سحقاً له ، ولأبيه ولشقيقته ، ربما يأتي يوم يقول



## الفصل الثاني

أما يونس ، فلو شك ان يقول ، انه سيتأخر عن قطار الخامسة المسافر الى القاهرة ، ثم عاد وسكت ، واستأنف مراقبته لأمواج البحر الهائجة التلاطمة مع الصخور بعناء الشاطئ . . . تتدافع نحوه قطعان من الطيور البيض ، في سباق محموم يذكره بتلك المتتابعات الموسيقية التي حاول أن يسمعها في ليالي الصحراء ، فسغروا منه . كم يسعد بأن يقضى أسبوعا بعيدا عن

طلعت وهذا الثعبان اللزج سيد العتر . . كم يسعد لو أنه هبط من السيارة الآن ، واتجه مباشرة الى البحر فاحتضنته هذه الأمواج وحملته بعيدا الى أي مكان في العالم . بعيدا عن أمثال طلعت وكلاارك وسيد العتر ، ولكن ها هو طلعت يريد أن يلاحقه . . يريد أن يقابل والده في الاسكندرية أو القاهرة . . ان طلبه محال ، سارة سخرت من طلعت عندما رآته ، قالت : انه قد يكون جزارا أو حلاقا ، أو أي شيء . . الا ان يكون مهندسا . أي ربكة سوف يمانى منها يونس بعد أن يسمع طلعت الرفض . ولكنه وقع ، وصفاقته تستحق أن تجد من يشكها . . انه دائما يتورط بسبب تعامله مع هؤلاء الأشخاص ، خاصة أمثال طلعت ، وان كانت صداقته لا تخلو أحيانا من طيبة ، وطموح قوى كأنه طموح أطفال ، انه بكل تأكيد إنسان غير مستقر . . أموج الى أبعد حد . . ولكنه بكل تأكيد له نفوذ ، وثراؤه مكيف .

كانت اول مفاجأة ليونس ، عندما جاءه طلعت وقام له نفسه

فيه للنائب العام . . ابنك شاركني مسهرات الحشيش ، وسوف يستحق الرجل ويسقط من طوله اذا كان مثل ابنه ، لأنه يشعر بأن ابنه ارتكب الجريمة ، ثم يعجز عن التصرف ، لأنه لن يتهم ابنه ويحاكمه بقانون العقوبات . . انهم يرتكبون جرائم ولا يسمعون بها ، يرضخون للجرائم وهم خائفون من رفضها ، انهم نفاية البشر . وسوف يأخذ سارة منهم يتمتع بها ، ويرغم انوفهم كسيد لها .

سمع صوت سيد العتر يعلن أن البنزين يوشك أن ينقذ . . ولا بد أن يدخل بلدة الحمام ليزود السيارة بالبنزين . . فانهال طلعت عليه سبا وشتما ، كيف يحصل ان يتأخر وصوله الى الاسكندرية . . انه يتمهل الوصول الى سارة . . يتمهل الأحداث ، ولا يهمه ان فاطمة هي التي تنتظره الآن في بيتها بالابراهيمية . لا يهم أن يتأخر عنها ألف يوم ، فهي لن تمل انتظاره ، وهو يعرفها جيدا ، فاطمة السهتانة ، اللثيمة اللذيذة . . مثل المهلبية ، انه يريد جسدها الذي غاب عنه ، جسدها الذي اعتاد عليه . أما سارة ، فهي مصيبة حارقة ، شخصية طاغية ، سوف يجد متعة لا حدود لها ، وهو يتحداهما ويصطادهما . . ويقتنيها . . سوف يقتنيها ، في حصنها ، حصن النائب العام ، بالسيارات والمجوهرات وأرصدة البنوك سوف يكتسحها ببولدوز لا يقاوم ، فمن الذي يقاوم هذا المال .

زعم طلعت في سيد . .

هل جئت . . ادخل الحمام لتعطلك . . سوف اقتلك يا حيوان . .

باعتباره مهندسا أقدم منه في شركة « أماركو » . لقد خدعه والده  
النائب العام ، فهو يتذكر كلماته التي قالها له أمام والدته في فخار  
وزهو شديدين ، أنت يا يونس أول مهندس مصري يعين في الشركة .  
الأميركان والطلتيان رحبوا بك .. .. وكانوا مهتمين جدا عندما  
عرفوا أن لى ابنا أريد تعيينه في الشركة .. قبلوا على الفور بتوحيات  
شديد .. أول مرتب خمسمائة جنيه في الشهر سيحصل خلال  
سنة شهور بالمكافآت الى ثمانمائة جنيه .

كانت زهرة هالم في غاية الانبهار بالإنجاز الذي حققه زوجها  
سعادة النائب العام .. شيء تستطيع أن تزوه به ، وإن ترويه في  
جلساتها ، فتقهر الموازل ، وتفقأ عيون الحساد ، وتصور يونس  
أنه الفارس الأوحده ، المنتصر الذي فتح عكا . وفي خلال لحظة  
واحدة ، تبخرت الأوهام .. فقد اكتشف أن مهندسا مصريا من  
لفس دفعت من جامعة الاسكندرية قد سبقه بثلاثة شهور على الأقل ،  
ومن هو أنه ابن المليونير مرسى فرج ، الذي كان منذ سنوات  
قليلة ميكانيكيا له ورشة لإصلاح السيارات في شارع صلاح الدين .  
كيف تفوق ابن الميكانيكي على ابن النائب العام ، كيف وصل  
طلعب الى شركة « أماركو » قبله ، آه لو عرفت زهرة هالم بكل  
عظمتها ولخامتها كسيدة مجتمع أن هذا الولد طلعت ، اقتحم الشركة  
الأميركية الإيطالية قبله ، وإن أباه لا يتحدث عن وزراء وصحافيين ،  
بل يتحدث عن علاقات على مستوى رؤساء دول ورؤساء شركات  
عالمية ودولية .. هل جاء طلعت الى هذه الشركة بنوعه ،  
مستحيل .. لأنه ليس من أوائل دفعته .. قال صفوت بك فيما بعد ،  
فيما يشبه الاعتذار له ، من ناحية وما يشبه اللوم له من ناحية  
أخرى .. لأنه يخرجه ويربكه بأسئلته .. أنه تعرى الأمر ..  
فعرف أن المليونير مرسى فرج والده المهندس طلعت زميله في الشركة .  
له صلة برئيس مجلس إدارة شركة أماركو الإيطالي ، تعود الى  
أيام كان المعلم أو الأسطى فرج يعمل صبيا في ورشة السنيور  
ماركو وشريكه السنيور ديلاني . وقد الفصل ديلاني عن ماركو  
عام ١٩٣٥ منذ حرب إيطاليا والحبيشة ، وترك ماركو الورشة

للأسطى فرج عندما اعتقل أثناء الحرب العالمية الثانية .. ولكن  
الأسطى فرج لم يستولي على الورشة الا في أيام عهد الناصر عندما  
ترك الأجانب البلاد بعد موجات التخصير والتأميم .

والآن عاد ماركو الى الاسكندرية مستثمرا في البترول ..  
وكان أول مكان زاره هو ورشته القديمة ، وأول شخص التقى به  
في الاسكندرية هو المعلم مرسى فرج . الذي حصل في الحال على  
كل عمليات النقل والصيانة لشركة أماركو ، ليتحول في بضع  
سنوات الى واحد من أكبر أثرياء الاسكندرية بل مصر كلها ..  
وكان ابنه طلعت هو أول مهندس مصري يعين في الشركة ، فدخلها  
وكانه أحد أصحابها .. فالكمل يعلم في الشركة .. أن الذي أمر  
بتعيينه .. هو صاحبها ، ورئيس مجلس إدارتها السنيور ماركو  
بنفسه .

حاول يونس أن يصاحب طلعت ، أراد أن يتفاهم معه .. أن  
يقترب على الأقل منه ، ولكن طلعت حيوان بدائي ، حيوان بمعنى  
الكلمة . مندفع بلا حدود لا انضباط ولا تربية ، لا صلة له  
بالتهذيب والأدب ، يفعل ما شاء ، تخرج من فمه ألفاظ بذيئة  
جارحة ، وتخرج من فمه أو جسده أصوات مقرزة ، وكأنه وحده  
لا يوجد من يراقبه أو من يخجل منه ، أحيانا يتهور ويبدو أنه  
لو ترك نفسه كما يريد ، ربما انتحر في لحظة اندفاع .. لن ينسى  
يونس تلك الليلة التي سكر فيها طلعت مع مستر كلارك ، وشربا  
من الحشيش ما يكفي لتخدير مائة رجل ، ثم انطلق طلعت  
يهاجمه بلا مبرر ، كان سخيلا الى أقصى حد ، فقد عقله تماما ، كانت  
لحظة غريبة ، عندما هجم عليه طلعت وأمسكه من كتفه وهو يصوب  
اليه عيشية المجنونتين ، كأنه يريد أن يقول بهما : أنا قاتل أو مقتول  
لا يعني ما يحدث .. ولن يقف في طريقي شيء كان طلعت يسأله  
عن اسم أمه .. ما اسمها .. هل أنت مكسوف .. لماذا يحمر  
وجهك .. اليس لأمك اسم كان اصرار طلعت والحاجة خارجين عن  
أي منطق .. أن يونس لا يخجل من ذكر اسم أمه .. أحيانا يقرأ  
اسمها في المجلات .. كل أصدقاء والده يتنادونها باسمها ..



زهيرة حاتم ، اية غرامية في هذا ، طلعت وحده .. وبموقفه الغريب .  
 ولهجة سؤاله ، ونظرات عينيه ، هو الذي جعل بكل هذا من  
 البوح بالاسم شيئا مقدسا .. كانه فضيحة .. عيناه تلمعان بالشر .  
 ربما بالكراهية ، وان كان يونس لا يجد مبررا لان يكرهه طلعت ..  
 ولكن ما هي بشرته السمراء تكتسى بصغار غريب ، الدم يفيض  
 من جسمه ، وحببات عرق على جبينه ، كانه مغموم يهذى ، ويردد ..  
 لماذا لا تخبروني باسم امك ، اريد ان اعرفه ، وركب العناد راسي  
 يونس ، فلاذ بالصمت ، ليزداد طلعت غضبا او هياجا ، او رغبة  
 في التدمير والانتحار ، انه يحارب ليحرف اسم ام يونس ،  
 يقاتل ، وعيناه تضيقان في تصميم ، الشر يكمن في الحوارهما ،  
 وتتسع ابتسامته الصفراء ، ويعلن لاهتا انه اشجع من يونس وأنه  
 سيخبره باسم امه هو .. بشرط ان يعرف هو ايضا اسم امه ..  
 كأنهما يتبادلان الأسرى .. اسم الام مقابل اسم الام .. وصمت  
 طلعت برهة ، وهو يحلق في وجه يونس وقد احمرت عيناه ، ثم  
 قال فجأة في خجل حقيقي وغريب لانه غير متوقع منه ، خجل  
 صاحبه ابتسامة باهتة ، وهمس .. امي اسمها بكيزة .. وخفض  
 عينيه ، فقال له يونس في دهشة ان هذا الاسم ليس فيه شيء  
 يثير الخجل .. فقال طلعت وقد رفع صوته قليلا :

.. بكيزة اسم غير مفهوم .. اسم عيب ..

فقال يونس :

.. يبدو انه اسم تركي ..

فقال طلعت بسرعة :

.. اسم لطيف .. لا اجه ..

ثم التفت الى يونس ، وسأله هذه المرة بلهجة فيها توسل :

.. والآن ما اسم امك ؟

هس يونس .. فلم يعد النطق باسم امه فضيحة بعد ان  
 تراجع طلعت وظهرت عليه فيما يشبه للعجز ، علامات  
 خجل :

.. زهيرة ..

فردد طلعت الاسم على مهل .. وكأنه يتذوق طعم الاسم  
 في فمه :

.. زهيرة .. زهيرة ..

وصاح فجأة مهلا ، وقد استعاد عنفوانه .. زهيرة ..

.. اي انك ابن زهيرة .. ابن الست ام يونس .. زهيرة ..  
 لماذا يتنادى ابوك .. زهيرة او ام يونس ..

وجعل يصيح ، ويرفع عقبرته ، يريد ان ينفي انه كان منذ  
 لحظات يتظاهر بالخجل :

.. امك اسمها زهيرة .. الست خجلا من هذا الاسم  
 البليد ؟ هل توجد امرأة اسمها زهيرة ...

ها ها ها ..

ثم قال بلهجة تمثيلية .. متعالية ، فيها تشف ورغبة في  
 العدوان :

.. اسم بكيزة اكثر اناقة .. من زهيرة ، امي احسن من  
 امك ..

كانت ليلة غريبة ، كأنها كابوس ، وكان الحرب منها ما حدث  
 في صباح اليوم التالي .. عندما جاءه سيد العتر ، خالفا ، من  
 غضبه وقال له :

.. لا تصدق طلعت .. امه ليس اسمها بكيزة .. انه فشار  
 وانا اعرف امه .. اسمها حبيبة ..

وفكر يونس ان يواجه طلعت بها عرقه .. وان يفضحه  
 ويذله تماما كما حاول طلعت ان يفضحه وان يذله ، ولكنه لم  
 يجرؤ وشعر ان طلعت يتالم لان امه اسمها حبيبة كان بينه وبين  
 هذا الاسم عداوة .. والآن ها هو ابن حبيبة .. الست ام طلعت ،  
 يريد ان يتزوج سارة ..

واضح انه يريد ان يقفز بأموال أبيه الى مركز اجتماعي  
يشعر انه محروم منه .

بالأمس ، كان طلعت يتحدث عن ثرائه ، ونفوذ والده ..  
ولكن مهما كان الثراء والنفوذ ، فلا قيمة لهما اذا كان صاحبهما  
لا يعرف كيف يتكلم وكيف يتعامل دون ان يسقط في خيضي  
السوقية ، ولا يخرج في تصرفاته عن أسلوب الرعاع ، ويعيش  
على الأرض وكان لا شيء آخر غير شهواته ونزواته يستحق  
الاهتمام .

كانت سوقيته فوق أي احتمال ، وهو يسأله :

... هل انت متأكد ان والدك في الاسكندرية ؟

قال يونس :

... نعم ..

فاستمر طلعت يسأله :

... وأمك .. واختك طبعاً مع أبيك ..

القبض صدر يونس .. وهو يسمح كلمات طلعت تنطلق  
كالحجارة .. أمك .. اختك .. أبوك .. كلمات كالدبش ،  
ليس هكذا يتحدث الناس .

قال يونس بصوت خفيض ، محاولاً تلطيف تلك السوقية  
الفاطحة التي لا يملك مواجهتها حتى لا يستثيرها ..

... نعم ..

فسأله طلعت :

... ولماذا لا يبحثون عن بيت يشترونه في الاسكندرية ...

فهمس يونس بهنينة :

... بيت ؟

فماجله طلعت بالسؤال :

... كم يدفع أبوك .. وأنا أجد له البيت ؟

قال يونس :

... يدفع الشيء المعقول ..

قال طلعت بالحاح :

... يدفع المعقول .. يعني .. كم ؟

اجاب يونس :

... انه يريد ان يستاجر شقة .. في حدود اربعمائة

او خمسمائة جنيه في الشهر ..

قال طلعت باعتراض وسخرية :

... أحسن له ان يستاجر بهذا المبلغ عشرة فراح .

ثم اردف بسرعة :

لكنني استطيع ان أجد لكم ما تريدون ..

انزع يئوج بالرشوة .. يريد ان يشتري سيارة بأمواله ..

هل هذا ممكن .. طبعاً مستحيل .. ولكنه سوف يستحق  
أهله سيستحق أباه وأمه وشقيقته .. يستحقهم .. وهو واثق من  
نجاحهم .

سؤال الامتحان هو ، هل تقبلون هذا الزوج بكل ما فيه من  
بذاعة وسوقية وانحطاط ؟

الاجابة معروفة ومضمونة .. فكل ملايين الأرض لا تعوض  
عن سوقية طلعت فرج .. المال لا قيمة له اذا تملكته  
الحيوانات .

كانت العربة الجيب ، قد دخلت الحمام .. وانتقلت من مكان  
الى مكان ، ويونس مستسلم لما يراه عبر النافذة ، من أزقة ،  
وبيوت صغيرة ، وحوائيت ، حتى سمع صوت سيد العتر يقول :

... لو قلنا لهم في مركز الشرطة ، ان معنا ابن مسعادة النائب  
العام .. سيمطوننا البنزين فوراً .

حاول يونس ان يقول شيئاً ، ولكن الصوت لم يخرج من  
فيه ، واكتفى بمراقبة الصوت الذي يريد ان يخرج ، وهو يهز

## الفصل الثالث

لن يخطر ببال أحد أن سيد العتر قد دبر  
 عن عمد هذا التوقف في بلدة الحمام ، كان  
 قد شرع في تنفيذ خطة درس تفاصيلها وأعد  
 لتنفيذها بدقة متناهية . فهو يعلم أن في هذه  
 الساعة من عصر يوم الخميس تتوقف محطة  
 البتزين الوحيدة في بلدة الحمام عن الضخ ،  
 إذ يغيب صاحبها عن البلدة ، ولا يعود حتى  
 صباح الجمعة .

وهو يعلم أن المكان الوحيد الذي سوف يلجأ إليه طلبا  
 للمعونة ، هو مركز الشرطة ، وهذا على وجه التحديد هو هدفه .  
 أن يشير صحة وأن يعلم جميع من في المركز من أصغر عسكري إلى  
 أكبر ضابط ، أن سيد العتر هو سائق سيارة يركبها ابن سعادة  
 النائب العام . وللسوف يسارعون بأعداد السيارة بالمسربين  
 محاملة للنائب العام وأن النائب العام . وكان سيد يتوقع أن  
 يربك يونس ، فقد درسه وتفرس فيه طوال الشهور الماضية ،  
 وعرف أنه خجول يستتر بخجله ترفعا وغرورا يشران كراهية  
 سيد . ولكنه يعلم أيضا أن يونس لا يقاوم الإلحاح ، يستسلم  
 بسرعة للصعوط الاجتماعية . وسوف يترك سيد يفعل به  
 ما يشاء . وهو مكتمل متفوق في نفسه . وكانت المشكلة بالنسبة  
 لسيد العتر تتمحور في طلعت فرح . فهو وقع وسافل ، وسوف  
 يفار من الصحة التي تثار حول يونس ، وأهمام ضابط المركز به .  
 وتوديعه لاسم والده سعادة النائب العام . لن يحبل طلعت أن

أعياقه . محذرا من استخدام اسم والده . فليس هذا هو التصرف  
 السليم ، وهم يفرصون عليه الحرج يمثل هذا الإعلان المبح  
 عن والده واستغلال اسمه . ماله هو ووالده أنه ليس لعة ولا اداء  
 تتحرك بادن والده . وهو لن يسمح لأحد بأن يسلمه . ومع  
 ذلك ها هي السيارة مندفعة . شير العار حولها وحلفها . وما هي  
 تقف أمام مركز الشرطة . ويقف سيد العتر من السيارة . ويحنى  
 ل مركز الشرطة . بينما يلتفت طلعت اليه . وكأنه يسهر فرصة  
 وجوده وحدهما . ويقول له :

— مهما تأخرت . . فأرجو أن تحبر والدك بأني أريد أن  
 أراه في أسرع وقت . .

ثم أردف طلعت :

— وسوف اتصل بك غدا صباحا . . لأعرف منك الموعد . .  
 هز يونس رأسه في وجوم . .

ولم يكثر طلعت لوجومه . . فليس يكون يونس هذا عفة  
 في طريقه بأي حال من الأحوال .

وجاء سيد العتر لأهنا يطلب من يونس وطلعت التفضل  
 يشرب لسان قهوة مع حضرة الضابط . . وأعلى سيد السا الذي  
 جاء به إلى يونس . .

— حضرة الضابط يقول أن سعادة النائب العام والدك .  
 سافر صباح اليوم إلى القاهرة . . في نفسه كبيرة . . مسطوا فيها  
 صابل وديناميت لو انفجرت تسف نصف القاهرة . . .  
 وصاح طلعت غاضبا

— يحرب بيتك . . يعنى مساطر إلى السفر إلى القاهرة .

ولم يهم سيد العتر ما الذي يعنيه طلعت فرح بأنه مسطر  
 للسفر . . ولو كان في ظروف أخرى لسمي لمعرفة السبب ولكنه  
 في تلك اللحظة كان مشغولا . . يخطئه التي دبرها .



يكون تامعا ، أو لا يحل مركز الصدارة في أية جلسة ، وها هو  
ما كاد يسمع أن الصائغ يدعوها إلى صحن قهوة حتى انطلق  
يسب ويشتتم وأمرع بالهوط قبل يوسى حتى يسقه في دخول  
مبنى المركز ، وها هو يتظاهر بأنه سيسافر إلى القاهرة ليحقق  
بالنائب العام ، وفسر سيد الأمر على أنه محاولة صادحة من طلعت  
ليوهم العساكر أنه هو ابن النائب العام ، فقد حن ابن المحوطة .  
حتى هذه يريد أن يحطها من سيد . . الذي دبر وحطط لئلا  
اجتمع أنه على صلة بالنائب العام ، فإذا ما صادفوه بعد ذلك يفرد  
السيارة بنى يسرفها . . لم يسهوا إلا لست المصنوعة التي برعهم  
وهي أن هذا الشخص على صلة بالنائب العام ، فطعن  
الاسماء وسوارى سرعه بريب وانظروا . . ولم يحظر نبال أحد  
أن السيارة التي يقودها سيد ، مهربة ، أو مسروقة ، هذا هو  
المرور المشروع لأن يصنع سيد العثر هذا المشهد ، فما هو ضرر  
طلعت ولماذا يرغم أنه سيسافر إلى القاهرة ليحقق بالنائب العام .  
به داهب إلى فاطمة روحه بالارحمة ، ولم يذهب إلى النائب  
العام . وإذا ترك فاطمة ، فسوف يذهب إلى كباريه « الديك  
الذهبي » حيث ترقص صاحبه حبات فلماذا يكتب أم هي  
غريبه محبة مركبة فيه بحصة يشعر بها يريد الأحرار ، خاصة  
ما يريد سيد العثر ، فيهم عنه ويأخذ منه فإذا كان سيد  
يريد أن يعرض أمام الناس أنه على صلة بالسلطة مثبتة في النائب  
العام . فهو يسارع ويعرض أنه على علاقة حميمة بالنائب العام  
وأنه مضطر إلى أن يلحق به في القاهرة . . كل شيء يحطه ، ملما  
لفعل مع فاطمة ، سيد أرادها لنفسه . . هو واثق أنها في وقت  
ما كانت لا تحب سواء ، فهو الوسيم ذو الوجه الصنوج في تلك  
الأيام . . أيام الطفولة ، كانت المرافعة شريفة ، والندية متوافرة  
من سيد وطلعت . . كلاهما أبوه ميكائيل ، كلاهما بنته هتل  
بنت الآخر طلعت بنام في حصن أم سيد ، وسيد بنام في حصن أم  
طلعت .

وله الهندسة ، أما سيد العتر ، فليس له شيء إلا ما يحفظه . .  
وليكن فهو سوف يحفظ كل ما يستطيع أن يحفظه . . وهو  
سوف يسرق كل ما يستطيع أن يسرقه . . وسوف يجمع من المال  
ما يظن به النار الحارقة في صدره ، عندما مات الأستاذ زكريا  
القبان المولود حسنت أبو عاتمة . . ظل سيد العتر أبها سوف يرمى  
به . . قال لها طلعت لن يتزوجك . . ولن تصلح حياتك معه .

كان صوت طلعت يجلجل في حجرة الضابط ، بينما سيد مشغول بالانشراف على برويد السيارة بالسرين وكما توقع سيد كان طلعت يسارع بمقاومة يوس كندا فتح فيه وشرع في الكلام . حتى عندما انطلق الضابط يروي عن العصية التي تانها واشرف على التحقيق فلها سعادته عبد الحميد بث صفور النائب العام .

وها هو يعرض على يونس ان يتحدث في الشيفون مع الاسكندرية اذا شاء وقبل ان يحيب يونس بشيء . كان طلعت تولي مهمة الاجابة بينما يرداد يونس انكماشاً . وهو عاجز تماماً عن التعامل مع احد . حتى يدرك الناس . ان يونس وامثاله صف من الناس او الحيوانات لا قيمة له ويوشك ان يقرص .

كان سيد العتر في هذه الأثناء ينف ويصور . ويدخل الحرم ويخرج منها . ويتجمل كالعراب . وها هو يرفع يده بالحيلة ملئاً تحية الجود لرؤسائهم . معلناً ان « كله السلطة يا اقدم » كان قد تعرف على احد الجود . وسؤال يدور الآن في رأسه اذا كان يستطيع ان يخفي السيارة التي يسرقها في قاء مركز الشرطة بمساعدة هذا الحمدي . ام الأفضل ان يقودها كالمعتاد الى معسكر « اماركو » حيث ورشة الصيانة التي يشرف عليها وحده وقبل ان يصل سيد الى قرار خرج من افكاره . ليؤدي مشهداً مثيلياً . عندما صمم على ان يدفع ثمن السزير . رغم محاولات الضابط اعتبار المبلغ على حساب الحمة الميكاسكية او حتى على حسابه الخاص . لمركز الشرطة لا يبيع البرين . وليس من مهامه تحصيل اموال من بيع او ايجار . ولكن عمدة دفع ثمن البرين كانت نقطة هامة في حطة سيد العتر . فهو يريد تسجيل المشهد في ذاكرة الجميع . يريد ان يخرج محفظة النقود من جيبه امامهم . ويعد الأوراق المالية . ويسلمها للحمدي . قراء الجميع ويملمون مدى دلفته وحرصه على أداء واجباته وهو الذي يعمل في خدمة النائب العام . او انه . لابد ان يكون على المستوى الرفيع من الراحة والأمان . حتى يدحض أي خاطر يحول برأس احد من رجال هذا المركز اذا ما قابلوه أثناء مهامه الليلية . عندما ينحول سيد العتر . الى سيد فولفو او بيجو . او مرسيديس . عندما يؤكد سيد العتر وضعه كاشهر واحراً لصوص السيارات في الاسكندرية . وأسرع من يفتك السيارات . ويحولها في لمح البصر الى قطع غيار معروضة في السوق .

عندما عاودت السيارة الحبيب انطلاقها على الطريق الاسفلت

مستأنفة رحلتها الى الاسكندرية . كان سيد يهوى نفسه على مجاز خطته . فيها هو ما يراه في خياله يتحول الى واقع . انه يرسم صورته في صبر واماء كواحد من المقربين الى السلطة . وهو مند ان اشتغل يونس بالشركة . وهو يروج المعلومات حول نفسه في المقاهي . وبين الورش والحارجات وفي اقسام الشرطة بالمدينة . سيد العتر على صلة بالنائب العام . ربما قريب بعيد من اقاربه . سيد العتر على صلة بالحكومة . سيد العتر عنده الاخبار .

وهكذا كان يدور الهس حول سيد . حتى شهد نظرات الضباط فيها معرفة به . خاصة ضباط المباحث . والمخبرين الذين يتعاملون معهم .

أصبحوا يتحدثون معه وكأنه واحد منهم . كان بينهم قرابة او يتمون الى قبيلة واحدة . وكان لابد ان يلتف حول سيد من لهم طليات يستطيع ان يلبسها النائب العام . طمعا من طريق ابنة . وهل يرفض الأب طلباً لابنه . خاصة وهو منه الوحيد . وهل يرفض ابن النائب العام . طلباً لسيد العتر . وهو الذي يسهر معه . ومع الحبر الأمريكي . ويأخذ العوزة من يد سيد ويجلي معه حتى الصباح . كان سيد يعلم ان يونس لن يفعل شيئاً اذا ما قدم له طلباً من تلك الطلبات التي حملها كوسيط بين صاحب الطلب وابن النائب العام .

فبعد اول محاولة . ارتبك يونس . واخذ منه الورق الذي جاء به سيد . ووعد بأن يخاطب أباه عندما يعود الى بيت في الاجازة . ولكن في اليوم التالي وقبل ان يأتي يوم الاجازة جاء يونس متجهم الوجه . وكأنه قد اتخذ قراراً خطيراً . وفسال بالعمال وعصية لا يمرر لها في مخاطبة سيد انه يرفض ان يقدم أي طلب لوالده . فالنائب العام . او أي رجل قضاء غير مسموح بالتدخل في قصايا . لأنها مسألة ضمير واقتناع بعد تحقيق . وعبتا حاول سيد ان يقول له ان الطلبات التي معه لا صلة لها بالقصايا . وانها طلبات بسيطة من جنود صفار يسهم من يريد نقله الى قسم شرطة قريب من بيته . او من يريد نقله الى حرس الورارات

أو الأمن المركزي . كلها طلبات استجابة يا يوسف بك . ولكن يوسف كان قد اعتنق أدبيه واعتنق عقله ، ودس الأوراق في يد سيد وامره الا يصاود الكرة ويطلب منه شيئا . ومع ذلك نجح كل ما طلبه سيد . لأنه كان يستهر فرصة وجوده بالاسكندرية ، فيلقى بسائق سيارة النائب العام ، ويصاحبه ، ويحكي له عن اس سعادة النائب العام . بل ويتطوع أحيانا بوصف سيارة الشركة وجهوده كسائى ، في معاونة سائق النائب العام . الذى يكلفه صفوف بك بأن يذهب الى بيت أحد رؤساء البياة لاحتضاره . الى فندق سيسس حيث يقبض النائب العام . او يكلفه بأن يعود بضيفه الى بيته بعد انتهاء الزيارة ، ولقد حدث هذا مرتين . استعملها سيد أحسن استعمال . فكان يروى لمرآكب الذى تطوع بنقله ، عن صلاته بالبك الصغير الباشمهندس يوسف . ويروى قصصا عنه وعن نشاطه في الصحراء ، ومرتبته الكبير الذى يفوق مرتبة سعادة البك والده . وفي النهاية يتقدم سيد الى ضيف النائب العام بالطلب الذى لديه . وهكذا تم نقل عبد الرحمن المزاوى الى شرطة الجمارك . ونقل حسان البلعوطى الى المحافظة . ان سيد يستطيع ان يخترق الحواجر ، بنعمته بضارته . وبوسامته . الساس تستريح لنوحه الوسيم . وهو يعلم ذلك ويعلق عليه أهمية كبرى . ذلك الوجه العربى الذى جاء به أحد أجداده من المغرب الى الاسكندرية في سالف الزمان انه يشعر كلما خرج من الاسكندرية متجها الى العرب في طريق الأسفنت كما لو كان هائلا الى المكان الذى جاء منه أجداده هناك في أقصى الطريق . حد الشعور يمنحه قوة لا حدود لها لأنه الشعور الوحيد الذى يمنحه بعض الراحة . رغم انه لم يكمل الطريق ابدا حتى انتهاء . سباني يوم ويستمر في انطلاقاته بعيدا عن كل ما يخلقه وراءه . حكاياته القديمة . أبوه الذى مات قبل الأوان وتركه للفقر . وصاحبه دكانه الذى استولى عليه صديقه مرسى فرج . فاطمة التى كانت أحمل أحلامه . وأجمل ما لمست يداه ، وما رأت عنشاء . والنس اعانتة . وعرضته وأصابت الدم الذى كان يهز ويحن لها . فاطمة

أفقر من في الحى . بنت زكريا الأفيونجى . عقدت صفها مع طلعت . صديق الطفولة الذى أصبح السيد يسما السيد أصبح الخادم . انه لن يصبح في هذا البلد . ولن يحدثه أحد . وهو لن يتمرج على طلعت وأصالة . يهرون ويهشمون النجم ثم يكرون عليه مصصصة العظام . هل كل هذا يحدث له . لأن أبناء العمر مات . كانت الحجرة التى يامون فيها وطبة . والباب يدفع منه تيار هواء . صارح وصاح . وقالوا ان عينا أصابت الأسطى العتر كان يوم حميس مثل هذا اليوم . وكان سيد العمر يسرع بيكن التصادم من الناكى العات . عندما سمع الأسطى مرسى فرج يسأدى على الأسطى العتر . . مالك يا أبو سيد . صوت مرسى ل ذلك اليوم . . في تلك اللحظة . وسؤاله . كان بداية الحس . ان سؤالاً عن الصحة . او عن المال . او عن السعادة . أى سؤال عن حال الانسان . يكون أحيانا كسكين يشق الغيب . يبرق استارا وحجبا كانت مسدلة . فيسرعها السؤال . ويرفعها . تندفع كن الشرور والامراض والحيات انقبض قلب سيد . وهو يسمع صوت مرسى فرج يسأل ويقول لايه « مالك ؟ » بعد يومين . من الحميس الى الأحد . كان الأسطى العتر قد مات . واشترى مرسى الورشة . وصاعت من سيد فاطمة بنت الشحات الأفيونجى . الذى كان يقول المولوحات والنكات في الأفراح . ويصر يونه على قفاه كل ليلة . كان ألف وحمة عليه . يأكل بقايا موائد الأفراح . ويدس بعض الطعام في صرة لئلا فاطمة وأنها شفيقة . ولكنه كان يذهب الى غرة حيث يسطل . ويعود بلا طعام وبلا نقود . فتضربه شديدة . ويجعل صوتها في الحارة .

عندما عرف ان فاطمة تقابل طلعت جلست . اسهر فرصة موكب فرج الأسطى شاكر . وحالفه الحظ عندما رآها يسيران على وصيف الكورنش امام سيدى أبو العباس اتجه اليهما ومعه بقية المتسكلات التى يركبها شباب الحى . تجمعمت المتسكلات وسلطوا الكشافات عليهما . فاطمة وطلعت . بنت المولوحست زكريا . أفقر بنات الحى مع طلعت اقبح واغنى اولاد الحى . الولد



الذي تمرد على الحي والأصحاب ويذهب كل صباح الى كلية الهندسة ليصبح مهندساً نملك العصب الجميع . هجموا على طلع ، وابتلعوا فاطمة من بين برائه . . . وأعادوها برقة الى بيت أبيها ، الذي ثار عندما علم بما حدث ، ورعق وصرخ ، وضرب فاطمة وأما شقيقة ثم ذهب الى استاج مرسى ، وانهار أمامه متوسلاً باكياً . ان يساعده على المحافظة على عرض ابنته . كانت لحظة عطيفة ، لم يجرؤ طلع بعدها ان يقابل فاطمة ، كان استاجاً كبيراً لئلا ولكنه لم يسم ؟ فقد تحدى طلع الجميع وروج وهو طالب فاطمة في ليلة رفاقها آدم سند على اول مظاهرة له . استولى على سيارة عليها نمر القاهرة ، كاس تعف في طريق عند الناصر ، عند محطة السرين بحوار استاجى قاد السيارة ، وهو لا يخشى احداً ، كان واثقاً ثقة مطلقة ، ان احداً لن يقف في طريقه . وان ما في جعبه من طاقات غصص وحقد كفيلة بأن تدمر الصائم كله اذا شاء . اقتبس السيارة وباع احراءها ، وقرر ان يكون هو ايضاً صاحب ثروة من يدري ربما يأتى يوم يحمل فيه ثروته ، ومع امرأة يحبها ونحوه . ويمضى في ذلك الطريق الأسفلت ، لا الى الاسكندرية كما هو متجه الآن ، بل الى الغرب . الى حيث يجد حياة أخرى . وحتى يأتى ذلك ليوم عليه ان يحارب بكل ما لديه من ذكاء وحن . نقول له الست ميرة العالمة التي كان يحمل معها زكريا ، ان لديها البنات التي تناسبه ، تريد منه ان يتزوج واحدة من بناتها ، ويستقر معها في البيت ، ويساعدها على ادارته . عندما فوجئت بالبنات يتسرين من فرقها واحدة بعد الأخرى ، ويتروح من رجال قادمين من الغرب ، سألها كيف تتواءم المشكلة . قالت بسرعة ، وقد أعدت الحواب واتخذت القرار . انها سوف تصل على ان يكون الزواج بمهرتها . وتحصل على نسبة من المهر ان يدفعه العريس الذي يتزوج احدى بنات فرقتهما ، واصافت ان هذه النسبة تقدر اليوم مائات ، وأحياناً بالآلاف . عندما سمعها حطر له فحاة . ان فاطمة بنت زكريا كانت صليح كصفعة تستفيد منها ميرة ، وادهشه هذا الخاطر . . . كيف تراوده هذه

الرغبة ، يريد ان يسرعها من برائى طلعت بأية وسيلة . انه يرى فاطمة الآن بعد ان أصبحت اما لئلا الطعة الصغرى ، يراها وهو يحمل الى بيها الدفاعات والأصاغر واصدايق ، تحتوي على ما يؤكل وما يشرب وما يطمس عما يشربه طلعت .

الحادم يحمل للسيدة مشتريات السيد زوجها . نظراتها باردة كأنها لم تعرفه أبداً . ولا شك ان حقد عليها بارد ايضاً فهو لا شك يحقد عليها ، حقد المهروم ، الخروج ، حقد من سيأتي يوم له ، بعد ان كانت هناك ايام عليه ، وعنده لا بد ان يسقم . يشقى على الأقل غلله .

اسفل سيد العتر ، مدخل الاسكندرية ضد المكس . . . وهو يرى نفسه مليونيراً بين المليونيرات ، يسلم فيه من كل الإهانات . من كل الخطوط السيئة . سوف يعلو ويصو فوقهم جميعاً . يرى حذامه فوق رأس هذا الوعد طلعت الذي يحس بحواره ، لك يوم يا طلعت ، وانت يا فاطمة . هذا هو الذي يربطني بكما ، والا كنت تركت كل هذا ، ولكن كل لحظة تمر اراك يا طلعت تنصع فيها لعموك وساداتك على . سمع بأن ترانى عنداً صعباً ، خادماً مطباً . ولكن اسطر . فكل ما سمع به الآن هو وقود الحريق الكبير الذي سوف يحرقك انت وفاطمة .

وحنت من سيد التفاته الى المرأة ، فرأى يونس جالساً في المقعد الخلفى . فاصحرت في اعماقه استمارة ساحرة لم يظهر منها على شفته سوى طيف لا يلحظه احد . هذا هو المحفل الذي لا يدري عما يجري في الدنيا شيئاً . أمثال يونس هذا تسفلهم كما تشاء . وهو على الصوم لا قبية له بين الرجال .

لو فكرت بعقبتها لطردت ذكريات الماضي بكل ما كانت تحمله من  
تعااسة والم - ولكن ما حيدتها وهي ترفع شوقا الى نوع من  
الرفقة والحنان ، فيها ضعف كبير ، نوع من المشاعر المحروجة  
المهانة ، ولكنها تنعد الى العيب وبذميه ، تلك المشاعر التي كانت  
تنقل اليها عبر نظرات من أعماق عيني أبيها ، ترسلان اليها ذلك  
الآلم الساحي ، الذي يستعطف ويستسجد ، فيمنى جسدتها  
بالشجن ، والرغبة في البكاء ، أو الرغبة في أن تصدق في الغد

أو الرغبة في أن تحرق هادة عني وجهها في الشوارع بحس معها  
هذه المشاعر ، هذه الحروح ، تستقبلها من عيني تقولان لها ، أنا  
بلا حول ولا قوة يا ابنتي ، ولكني قادر اذا شئت أنت ، ان أفديك  
بروحي ، أما ضعف هالك يا ابنتي ، ضاعت حياتي ، ولا أملك  
سوى حجرة تطبق صوتا متحشرجا بالمولوحات ، وحسدا يحويه  
الأميون ويقبله ، ومع ذلك أشعر معك بأنني معك جبار ، صاعقة  
مستند ، وإذا شئت يا فتى عني استعداد أن أفديني بروحك ،  
من يريد أن يملك كبر من هدي هذه الدنيا لرخصة المصوغة  
من قراب ، ومآلها الراب ، الكن بهرا هي ، ولي أهدع نفسي  
فأما جربوع بين الجراب ، أحيانا أتوهم اني فنان عظيم سيء  
الحظ ، ولكني فنان غنيان عني باب الله ، مواهي محدودة ،  
فأين أنا من اسماعيل يس ومحمود شكوكو ومع ذلك تأكدي  
يا فاطمة اني أصبح حياتي في كفة ، وأن يمس أحد شعرة من  
رأسك في كفة أخرى - مشاعري تحرك تسيل مع دمائي ، ريف  
مستبر ، فأت كل ما بقي لأستذكرك يا كحل حياتي ،  
ألا تخلي عني ، فأنت وحدك لقادرك علي أن تسحني نسمة حسان  
حقيقية ، هي الدنيا كلها .

كانت علاقة فاطمة بأبيها ، علاقة صاحبة ، متلاطمة كموج  
البحر في الشتاء . أما طلعت فيو المرفأ الهادي تنحأ اليه  
لتنجو من عواصف القلق ودوامات الضعف ، قاداتها اليه قرون  
استشعار فطرية ، لتخلصها من أيام الحوف والدعر ، عندما كانت  
أما شقيقة صرخ وبولول ، ويشق صوتها الحاد ليألي الحني وهي

## الفصل الرابع

ولف فاطمة في المطبخ تعد القهوة على نار

هادئة ، وقد تركت طلعت مع ابنتها معاسن ،  
كانت تشعر ان شيئا ما قد انتاب طلعت . انه  
كيس هو الذي تعودت ان تستقبله ، لا لأن شيئا  
ما قد تغير فيه ، أو بدر منه ما يشع ويبتها .

ولكن شعورها هو لدى برقص ان يصدق ان طبع الذي معها  
الآن ، هو طبع الذي عرفته من قبل . ان حيويته زائلة ،  
وجنه عنها كبر ويعوق ما تعودت منه رغم غمسه الطويته .  
وسر منه في الأكل مفرصه ورغبه في حسنها مناع فيها . ولكن  
كل هذه يصدر عن كنان يحكم فيه ارادة حاصه هرجاء مدفعه  
بشوق وشغاف ان حسنها دكي حساس أدرك عني العور  
لا يستقبل رغبة محمولة بالرفقة والحنان ، وأن ما يصر من

هو تعبر عن فشل في التعامل معر عن الفاهم والبدن  
فهو يسل ارادته ، معطدا عني قدرات عصية وطقات بصدى وكاه  
يحبس منها بدها فليس سبها أحد وعطاء سمر ابها  
تريد أن تسأله في كل لحظة عاداته ، ولو كانت بيت القدرة  
عني التعبير عن مشاعرها البهية ، لغاب به انه ليس طبع الذي  
كان يعطي سحاء وهو واثق من نفسه كان أحسن ما فيه هذه  
البقة المرملة بالنفس والتي منحها الطمأنينة وأشعرها بالحمية  
فهاب لأن تستقبل في بطنها هذه الحياة الدافعة التي حرجب منها  
فأستبها محاسن .

هذا هو ما عوضها علي ما فقدته بعد الزواج من مشاعر  
أخرى تعودت عليها وشعر بحس أنها بين وقت وآخر رغم أنها

سبب حطها الأسود وسوء بحثها الذي جعل المقادير ترهبها في بيت زكريا المولوحست - كان صوتها يدوي ويجلجل ، فإذا كان الناس في الحى المحاور يستيقظون على صوت المؤذن في مسجد سيدي أبي الدرداء ، أو يوقظهم صباح ديك ، أو أحراس منبهات ، أو حتى صرير عجلات ترام تآنى من بعيد ، فسكان حارتها يستيقظون على صوت شقيقة ، ولقد روى الخبران بهذا الصراح ، حادثة النسوة ، فقد ومرت عليهن شقيقة ، عشقة تحذير أو تهديد أرواحهن . ألا يتأخروا خارج البيوت ، حتى لا يواجه أحدهم ما يواجه زكريا من شقيقة ، وهذا هو ما كانت تردده الحاجة فهبة روعة أبو طلعت . وكان صراح شقيقة يصل إليها في باب لحاج مرسى عند ناصية الحارة ، فظهر العطف والشفقة عليها ويدافع عنها أمام روحها الحاج . ويطالبه بأن يدخل لردع زكريا ويحرقه من فسويته لسحل مسؤوليات زوجته وعياله . وكانت فاطمة ترقب أمها وهي مدعورة ، ترى حسد شقيقة يتمايل برأسها وكسب في حركة ربيبة كأنها في حبه ذكر ، وهي تنظم بين حين وحين حديثها ، في إيقاع بطيء ، تصاحبه قأوهات متضعة . وكان موحاب منتظمة من الألم تسولي عليها بن لحمة وأخرى . وكانت شقيقة ، تطلق مع بأوهاتها سساوولاب ملباعة عن زكريا كيف يشو زكريا الآن وهو مسطول في الشوارع ، لابد أن ميازة سبور تدهسه ، وإذا لم تدهسه اليوم فلأبد أن تدهسه غدا ، وإذا نحا من السيارة ، فلن ينحو من معركة في فرج ، أو طعمة يسكن . وإذا لم تدهسه الطعمة اليوم فلأبد أن تدهسه غدا . وإذا لم تقصر عليه الشرطة في غمرة ليوم فلأبد أنهم سيقصرون عليه غدا . كانت الكارثة محدقة بزكريا ، مقبلة لا ريب فيها ، ولا مقر من الاستسلام لها ، فحتى لو نجى زكريا من حادث أو طعمة ولم تقصر عليه الشرطة ، فسيأتى يوم قريب ، تنحني فيه هة الست منيرة صاحبة الفرقة التي يعين معها في الأفراح فهي امرأة لا قلب لها ، تسهل سداحة زكريا وتلاشته ، فحولته من قلب إلى حادم ترسله هف وهالك . وبشري لها حاجاتها من السوق . ولا تنزع عى أن تطلب

منه كنس السلالم ومسح البلاط استعدادا لاستقبال أحد الرمانى الكار . هكذا شاءت شقيقة أن ترى حياتها مع زوجها ، وإن تلاحقه في كل لحظة تراه فيها باللوم والسخرية والإهانة . حتى أصبحت بالنسبة له هي المرأة المكذ والمراة المحس ، والسبب المباشر للجنونه إلى الأفيون حربا من فكها .

وكان إذا احتفى زكريا وغاب حتى الصباح ولم يعد إلى بيته . أرسلت شقيقة أيسها فاطمة إلى الأسطى مرسى الميكانيكى عند أول الحارة . فكان يرسل معها ابنه طلعت الذي يقهر إلى موتوسيكل وتركب حلقه ، ويطوفان بالأماكن التي يحتمل أن يعثرا فيها على زكريا . وعرفت فاطمة كل الأماكن التي كان يتردد عليها أبوها . عرفت بيت ست ميرة العالمية ، المرأة السميبة النصة . ذات الخدود الموردة . والتي كانت تعطى فاطمة قطعة لوكوم مرشوشة بالسكر . تأكلها وهي تواحه عيسى ميرة المكحش . عينا بقرة ورأس صغير فوق صدر معوش . كان طلعت يقول سآخرأ بأنه منفوخ كإطار السيارة على ثمانية وعشرين . وكانت تقاس فاطمة أحيانا وهي راقدة ، في السرير ، والأساور الذهبية تحيط بذراعها السمينتين فتضغط على لحيهما وتصح فيه حلقاب باردة تحذب انظار فاطمة . بسما تدعوها ميرة لأن تبقي معها وتحو بنفسها من الحياة مع أيسها ، فلا فائدة منه ولا معنى للتدق لأن عمر الشقى بقى . وأحيانا كانت تعثر على زكريا راقدًا في بر سلم بيت منيرة . وأحيانا تعثر عليه هائما على وجهه لا يدري أين هو ، ولا من هو . ويتعرف عليها بصعوبة ، وأحيانا كان سيد العتر هو الذى يعثر عليه ، ويتطوع بأحضاره . من أماكن لا يدري عنها أحد شيئا . وكان سيد يحرم على أن يعثر على زكريا قبل أن تلحق فاطمة إلى طلعت . وكان يريد أن يؤكد لها باستمرار أنه هو القادر على احضار أيسها ، وأنه أقرب إليها من طلعت . وأن نفوذه في الشوارع والحارات من بداية الليل حتى مطلع العجر لا يعادله نفوذ، فهو ملك الليل ، ولا يحصى عسبه تحركات أحد ، وهو صديق ستيرة . لأنه يتولى عمليات نقلها هي وبناتها إلى الأفراح .



اشتبهت فاطمة من حواطرها ، على صراح حاد نطقه محاسن  
كانت قد فرغت من صبه القهوة في قنجان ، فأسرعت خارجه من  
المطبخ ، لتري لدخولها محاسن وحدها في صالة البيت .  
أما طلعت فكان في حجرة اليوم وقد فتحت حقيبة على السرير يعد  
فيها ملابس . ما الذي حدث ، ان امامه أسوعا قبل ان يعود الى  
عنده ، ولكنه يقول لها انه ينتظر مكالمه هامة من مصر ، وقد  
يسافر الى القاهرة غدا .

#### اية مكالمه ؟

ومن الذي سيكلمك ؟

قال لها طلعت :

- ان الأمر خاصي بوالده وأعمال خاصة كلفه بها . ومن  
أخرى صمم عليها هذا الشعور العاصي ، ان في الأمر شيئا . وسأله  
ملاحة . . . ماذا به ؟ أجاب بسرعة . . . لا شيء .

فأعادت السؤال ، فأجاب بعصبية وهو يقذف بنفسه و  
الحقيقة ان تسكب ، فلما صممت على السؤال ، شحط فيها ان  
تخرس وتتركه يشرب قهوته في هدوء ، ولم تتركه ، حاجته  
بشراسة كيف يترك ابنته تصرخ في صالة البيت وحدها . ما حد  
الصحة في اعداد الحقيقة وهو لم يسافر في هذه اللحظة ، شي  
تضر فبك يا طلعت ، ما هو ؟ حددها ان واصلت الكلام ان يترك  
لها البيت ويخرج . مثل هذا التهديد يفجر كل طاقات التدمير  
التي قد تمتلكها فاطمة ، تدمير الآخرين ، وتدمير الذات . انتهت  
مبدعة في درب نهايته الموت ، الموت لها ، وله ، الموت للعالم كله

لأنه ان تمضي حتى تقع الواقعة ، حتى ينفذ التهديد ، حتى يسر  
تدمير كل ما يمكن تدميره . ليست هذه أول مرة يتعاركان فيها  
ثم تصالحا ، ولكن هذه هي أخطر المرات ، أنا أو أنت ، اما ان  
تضحى بحياتك من أحلى ، أو أصحى بحياتي من أحلك . لا تريد  
الحياة معه ، فليطلقها ، فليطلق سراحها ، انها لا تريد ، ولا تريد  
استه ، التي تذكرها به ، كانت تصرخ في جنون ، حتى هوى بكه

على وجهها ، فترنحت ، وانهاال عليها ضربا ، حتى تكومت على  
الأرض ، فركلها بقدمه وترك البيت وخرج . عندما سمعت الباب  
وهو يغلقه وراءه ، نهضت تتوحد ، ورات ان الحقيقة قد احتضت  
من فوق السرير . احسبت محووع ، ألم في بطنها كالمحووع ، وحررت  
الى محاسن . . . كان نكاؤها متقطعا ، فحصلتها وصمتها الى  
صدرها ، وذهبت الى المطبخ وأخرجت من الثلاجة طبق مهلسة ،  
وشرعت في اطعام محاسن والدموع تنهمر من عينيها ، وبين لحظة  
وأخرى ، تستلح ملقعة مهلبية . عندما كانت صغيرة ربما في الخامسة،  
أكبر من محاسن بستين او ثلاث ، كان أبوها يعود الى البيت  
هائجا صاحبا يصرب أمها ثم يصلحها أيام كان يقضي « العيرة » يا نار  
العيرة ، و « لو كنت حصان » أيام كان لها أشقاء تكاد تذكر  
أسماءهم ، وملاعب مشوشة مختلفة لوجودهم . . . عيد الفصح ،  
ومختار ، واسماعيل . . . أين ذهبوا ، أين احتفوا لا أحد يدري ،  
لا حطبات ولا رسائل تأتي بالأخبار ، ربما هائوا ربما اصبحوا  
أثرياء . ولكنهم ذهبوا ، الرجال طغشوا ولم يبق الا فاطمة .  
الصعب ان انماها كان لا يرتاح لطلعت كلما رآه قادما مع فاطمة  
يبحث عنه في بيت عمرة ، أو مقهى المعلم شسكر أو اذا قابلهما  
صدفة . غضب ، مع أنها كانت لا تزال صغيرة ، في الثانية عشرة  
او الثالثة عشرة ، ولكنها كانت قد اكملت ابوتها بالسلوك وكان  
مرسى فرج لا يأخذ كلام أبيها مأخذ الجد ، وكان طلعت لا يخفى  
عليها ما يسمعه من أبيه ورأيه في أبيها . وحل عقله ناعم ، مثل  
قروص الدرياح ، عندما تغوت ولا تتماسك . وتسمع فاطمة  
ما يقول طلعت نقلا عن أبيه ، فترداد الما وترداد حبابا . ولكنها  
كما تشعر الآن ، ترى أن عليها ان تواحه حياة هشة ، مع روج  
لا يحترم أبيها ، يستخف بها ، ولا قسمة السنة لكل ما كان يقدمه  
مرحب أو رغبة ، فكل هذا يوشك ان يتحول الى مصدر خطر ،  
تهب منه عاصفة تحتاج كل شيء . ربما كان طبع اكر شرا من صبه  
المر الذي جاءها يعرض عليها لرواج يعد موت أبيها ، كان

ناعما ، وكان لا يستقر في مكان ، يظهر لها فحشاء في الطريق ويعترضها ، وكأنه كان يراقبها أو يتربص بها . فبحسب قلبها خوفاً منه . منذ بدأت تعي وتترك ما يجري حولها في الحارة . وهي تسمح الشتائم تنهال على الولد سيد ابن الأسطى الصر . انه ولد شاد بين الاولاد ربما لم يسج ولد في الحارة كلها من مثل هذه الشتيمة أو الاتهام . ولكن وسامة سيد ونعموه كانت ترفع الشتيمة أو الاتهام الى مشارف اليقين . ولكن أخطر ما في سيد ، هي انانيته الكامة في عيبه . كانه لا يرى عيبه سوى نفسه . كان الجميع مراة له . قال لها بصوته الناعم يحدوها من طلعت انه ابن المسم ، ربما فتح عليهم والمال كثير في حيويهم . حرب الله بيوتهم . انه ليس طلعت الذي كنت اعرفه وكنت تعرفه . ليس طلعت الذي كان ينام الببالي في حصي . وكما لا تغرق ليل نهار . ليس طلعت الذي كان ابي يعطيه قرشا مصروفا مثل القرش الذي يعطيه لي . . بينما ابوه الأسطى فرج يحرمه من المصروف ويكنز الصالح فوق الصالح .

يوم مات زكريا في بيت الست مبرة . كان سيد العتر هو الذي تطوع وحمل الجثة وعاد بها في سيارة زبون عند الأسطى مرسى .

قالوا انه اكل الى حد التخمرة في فرج براس النين ثم كبس الأفيون على قلبه . وصرت اشاعة لم يتحقق منها احد . انه مات في بيت مبرة . وهو يكس لها السلالم ، ولم تهتم شفيقة كثيرا بتقصي الحقيقة . فقد كانت تتوقع الكارثة كل يوم . ولو كان حدث غير ذلك ومات زكريا في بيته وعلى سرير . وبعد عرض طويل . شأنه شأن أغلب الناس . فكانت شفيقة شعرت بخيبة أمل . لانها اضاعت كل جهودها في الكاء ، والولولة قتبيا عبتا بأهم مسوف يحصلون حنة زكريا ويدخلون بها عندها في يوم قريب . فعلى الأقل تحلفت توقعاتها أو سوءتها ، ولم يخيب ظنها في هذا الامر .

ايكون طلعت قد ذهب الى المأذون ليطلقها . مستحيل . هذا

لن يحدث أبدا ، سوف يعود . لا لانه يحبها ، ولا لانها تحبه . سوف يعود لانه لابد ان يعود . والا كيف رضى بالرواح منها . لماذا قبل هذا الرواح الذي ما كان يحدث معه أن تغيب احوال الحاج مرسى وصار من اعلى اعياء البلد . وما الذي جمع بين طلعت الباشمهندس . وابنة الشحات الأفيونجي وشفيقة المخدمة . لم يتزوجها شفيقة . ولا عطاها وراث . انها اقدار حكمت وقضاء أبرم وهو لن يطلقها . ولن يتركها . لأن الامر ليس في يده . واذا كانت قد طالبت بالطلاق . فهي تتحدى كل ما كان يدعو الى عدم الرواح منها . كل اعداء الرواح . المال الوفير . النفوذ والقوة . العلم الذي حصل عليه في المدارس . كل ما يفخرون به كل ما يدفعهم الى الفرار من امرأة مثلها . ابوها منولوجست غلبان . لا اعتبار له . مهان . خادم لميرة . ومهزاة في الافراح وغرر الحشيش .

ربما لو لم يسم هذا الرواح . الذي نلذته وفرضه ارادة صبا اقوى من البشر . كانت اختارت لنفسها حياة أخرى . او على الاصح كانت اضطرت الى حياة أخرى . كانت سترضى مرغمة بأن تصل مع الست مبرة ورفقتها . وربما كانت الآن فاطمة المراقصة اللولبية التي ورثت الفن عن ابيها الكبير المرحوم زكريا لم تتأخر منيرة عن شيء . مال او كسوة او طعام . ولكنها لم تستطع ان تحصل على رضا فاطمة بالعمل معها . ما الذي تنتظره يا فاطمة . هل كانت تستطيع ان تقول لها انها كانت تنتظر طلعت ابن الحاج مرسى . ابدا . أين هو واين هي . الحي الواحد الذي جمعهما له شوارع وحارات . يخرج منها الناس الى دنيا أخرى . ولقد خرج طلعت الى المدارس والجامعة . بينما بقيت هي في بيتها الحقيق مع أمها شفيقة . تصشان من صدقة يرسلها الحاج مرسى أو غيره من أسطوات الحي الذين يذكرون أن زكريا كان يفتي في افراح اولادهم . او صدقة تتعطف بها مبرة . وهي تنتظر ما يجب ان يكون . ان تحل فاطمة محل ابيها في الفرقة .

ما الذي حدث . ما الذي جعلها تنتظر . في الحقيقة انها لم تنتظر . ولم تتوقع . كل ما في الامر أنها لا تجيد لغة العقل

ولا نسميها . وهي تستسلم لهمسات غامضة . مشاعر مهمة .  
 وأحيانا كانت تستسلم لما هو أغرب . وهو تلك الهمسات في  
 جسدها . همسات لها تاريخ . وليس لها تفسير . فمعد الطفولة  
 وهذه الهمسات تلامها عندما كانت هي وطبعت يلصقان لعنه  
 العريس والعروسة في سطح بيت الأسطى مرسى . وكانت سريره  
 يفرح على عرائب جسدها النحيفة . وتفرح هي على عرائب جسده  
 المحففة . جسدتان مختلفتان يشعران معا بأحداها يشدهما . له  
 مداد في انهم والنعاب . وله حرارة في الصدر والأعاس . وله  
 لسعة ورعشة في الأطراف . هذا الهمس لم يقطع بينها وبين  
 طلعت . حتى وهو طالب في الجامعة . كان يكفى أن تلتقي عيناها  
 بعينيها . ليعاود جسدها همساته التي لا ترجمة لها . وهي لا تريد  
 أن تفكر ولا تريد أن تحلم . ولا تريد أن تسمح بصريح ولا خيال  
 ولا أميات . كل ما كانت تريده . أو ربما تراقبه وهي في  
 دهشة من امرها . هو تلك الهمسات في جسدها وان جسدها  
 يسعى وكأنه يوعدها على أن نواجه طلعت كل يوم . كل يوم .  
 جسدها أمام جسده . عيناها في عينيه . هو يسعى وهي تنفس  
 وهو ينظر . وهي تنظر . ثم هو يتعد عنها . وهي تتعد عنه .

لو أن فاطمة عرفت كيف آدم أبوها الأقوى . ودرس كيف  
 سطر المحرم عليه . لقاتل . أنها بلقت الدرس الذي يصنع به  
 لأدمان . ولكنه أدمان مشترك . بينها وبينه . وبين فاطمة وطلعت  
 لا أحد فيهما السبب . ولا أحد النتيجة . كلاهما متفقان .  
 موافقان . كلاهما يشعر برعشة أحبا وأصحة وأحيانا خفية وهو  
 يواجه الآخر . كلاهما يشعر مذاق فيه ولعنه . وهو يواجه الآخر .  
 وكان لا مفر أن يراها وأن تراه . إذا لم تقابل في دهانه إلى الجامعة  
 في الصباح . انتظرت عودته إذا مرض اقتحمت بينه بأية حجة  
 تطلب احسانا . تطلب مشورة . كان لابد أن يخرج لها . وأن  
 يراها . عندما لم يخرج من حجرته ذات مرة قالت للحاجة روضة  
 أبيه . فأم طلعت ماتت وهو صغير . أنها ستطبخ لها حشرات البيت  
 وتكسيها . ولم تترك لها فرصة للرفض . وكسبت البيت . وكسبت

حجرة طلعت المريض . وراها بعين محبوبين . وراثة بعين  
 أكثر حمى وسكيت فيه من وجودها . أكثر مما يستطيع أن يحضر  
 عليه المدعى وهو في تمام صحته وكانت لا تحط ولا تدبر . فهي  
 تنصرف بعطرتها . أو عريرتها . حتى جاءت تلك الأيام التي أرمي  
 فيها طلعت من المذاكرة مع قتراب موعد الامتحان . وتلك الحالة  
 النفسية التي أصابه فجعلته مكتئبا . يطبق لحبسته ويرفض  
 المذاكرة ويتأبه بنسجات أشبه بالصرع . وهمس العارفون من  
 حكماء الحي للحاج مرسى أن شعاع مثل هذه الحالات معروض  
 فحاجة الولد للمرأة وما يعاينه من كبت هو سر كل هذا البلاء  
 ولم يتردد الحاج في مصارحة أبيه . هل تريد أن تتزوج يا طلعت  
 وأجاب طلعت بغير تفكير نعم . أريد الزواج . قال الحاج على الفور  
 وهو يدرك أن الظرف لا يحتمل التأجيل . حتى يتفرغ المهندس  
 لشهادته التي سوف تغير تاريخ الأسرة وتعيد كتابته . أنه سوف  
 يختار لابنه أحسن عروس في مصر .

وكم كانت دهشة الحاج . بل ودهشة طلعت أيضا . الذي  
 قال بغير تفكير . أنه يريد فاطمة .

كانت المفاجأة قاسية للحاج . ورفض الاسم على الفور  
 بدهشته . وعدم تصديقه لما يسمعه . ولكنه كان أعقل من أن يشور  
 أو يتفعل أمام ابنه الصبي الغريب .

قال الحاج مرسى متحفظا بدهشته ومتحسنا بها .

— وهل يتزوج الباشمهندس صاحب الشهادة . فاطمة  
 بنت زكريا . هل ترضى لنفسك بهذا .

فاطمة طلعت بصوت حاسم يحمل معاني لم تحظر سال  
 الحاج . أن الأمر بالنسبة له الآن . ليس في الزواج . أنه في المرأة .  
 في حاجة إلى حسد لا يؤرقه الفكر فيه . في إعطاء رغبتة في فاطمة .  
 هذه هي الحقيقة . هذا هو كل ما في الأمر . فاطمة إذا تزوجها  
 لن تشغله عن المذاكرة .

صاح طلعت في أبيه :



- الذى يمرضنى .. انى اقاوم الاعتداء عليها لا اريد ان اغضبها .. هل تفهم .. لو اردت استطيع ان افعل ذلك ولن يقع فى طريقى شيء .

ادرك الحاج ابعاد الموقف .. وارتاح لما يقوله طلعت فهو لم يحن ، ولم يفقد عمله . كل ما فى الامر ، ان طاقاته المخزونة تبحت عن مخرج وهو لا يتحدث عن فاطمة كزوجة ولا ام عيال ولا مركز اجتماعى يسمى اليه . الولد وصح الأمور فى نصائب انه يطلب فتوى من أبيه . هل يأخذ الست عموة ، ام يحصل عليها شرعا ، فى حدود هذا الطنب . من الممكن ان يحصل طلوع على فاطمة شرعا ، لأن الحرام يرتد الى بحر صاحبه ومرتكبه الولد لا يطلب أكثر من حارية سرير . له ان يتنح . ثم يلغظها وقتما يشاء ، فهو لا يبدو انه يريد لها حياته . يريد لها فقط لحنته ومثل هذه المتعة لها وقت . ثم سرعان ما تتحول الى مصدر ملل وقسوف .

قال الحاج منتعشا :

- يعنى كل ما تظنه هو امرأة .. لا زوجة .

اجاب طلعت وهو يترك لأول مرة ، ان الشيء الذى يدمر عليه ، يتر كراهيته ، بقدر ما يثير رغبته وانه يشعر بالتحدى لبقدر ما يشعر بخضوع مهب له . كان يكتشف لأول مرة ابعاد الكراهية لفاطمة توازى تماما تلك الرغبة المحنونة فى الاستيلاء عليها .

- نعم .. كل ما اريد .. هو بست الكلب هذه .

صاح الحاج :

- حذرها واشبع منها وارحها وارح نفسك .

ثم اردف متعجبا :

- الولايأ لهم رب .. من يصدق ان فاطمة تفوز بك .. وان

لا أجد فى نفسى رغبة فى مقاومة هذا الرواح ومنعه .. هـ لا يحدث ولا فى المنام .

ثم عاد الحاج يراسى نفسه ، ويطسف قراءه .

الواحدة كالبردعه .. مركبها واست مستريح .. ولعل واجبك منها يكون صدقة مقبولة ، تشهد لنا يوم القيامة باننا رفضنا الحرام واحدنا بالحلال .. ولكن غدا بعد ان نأكلها سوف نتركها وربما نندم .

كل هذا شعرب ته فاطمة ، أو سمعت أطرافها منه ، صابرها بها طلعت . عندما يحتمل بينهما شجار ، انها ليست أكثر من بردعة . ليست الا أنى لتصرف طاقات فائضة .. كلام وكلام ، يندد حديث الجسد ، وحمساته ، ولكن الجسد اشغل بهمس آخر ، احتلته محاسن . ومنذ ذلك الوقت والهمس يضعف . ولا تستعيد الا اذا تحدث كل تلك الأسباب التى كانت تحتم ألا يتم هذا الزواج .

غدا سوف يعود طلعت . غداكل صبحنا آخر من المهلبية .. وتحاول ان تنام وفى حضنها محاسن . وفجأة شعرت بلعز يهاجمها . واسئلة عن المال الذى فى البيت ، وتحولت حاجتها الى الطعام الى حاجة فى دولاب حجرة النوم . حرت ترتعد كأنها مقبلة على مواجهة عول يعتج فم الفقر الشبح لسلعها ، وفتحت الدولاب . فوجدت النقود . كان طلعت يقول انها عشرة آلاف امسكت بالزرم ، وشرعت نمدحها فوق السرير ، ومحاسن مائة بجزائرها .

**:: شهر الليل :: ليلاس ::**

[www.lilias.com/vb3](http://www.lilias.com/vb3)

## الفصل الخامس

عبد الحميد بك صفوت - النائب العام -  
رجل محافظ ، المظاهر عنده لها أهمية تبلغ حد  
القداسة .. وهو يعرف كيف يحافظ على  
مظاهره ... فإذا كان هناك شيء يتفوق فيه ،  
أكثر من معرفة القانون ، أو فهم للواقف  
السياسية ، وأحوال الناس الاجتماعية ، فهو  
طقوس المظاهر .

ومعروف أنه تزوج زهرة هام لأنها بنت عائلة من كبار  
أثرياء الملاحين في شمال الدلتا ، امتاروا بمطاهرهم الفخمة  
التي تجددت في الأفراح التي أقاموها بمناسبة الزواج . تحدث عنها  
اجتماع المصري الراقى لأكثر من عام .. وقد تذكر عبد الحميد بك  
تلك الأيام الخوالي ، وهو يسمع من ابنه يوسف ، أن المهندس  
طلعت فرح ابن المليونير المعروف في الإسكندرية يريد أن يقايله  
ليتلهم لحظبة سارة .

لم يكثر عبد الحميد بك أول الأمر ، بالاعتراضات التي  
اندأها يوسف ، أو لعله لم يسمعها . فقد كان كل همه أن يطلع  
زهرة هام البيا . وأن يعيش تلك اللحظة الهامة ، التي يقول  
فيها لزهرة ، أن ابن المليونير يريد أن يتقدم لنا طالبا القرب منا  
في سارة . وربما بعد أن يستقر هذا المشهد ، بكل أبعاده ،  
وهو مشهد فخم وحليل فيه مليونير يريد أن يتزوج من ابنته .  
يمكنه بعد ذلك أن يفكر في الأمور الأخرى ، مثل بحث أوجه الاعتراض  
التي يبدو أن يوسف يريد أن يثيرها .. وهو على أية حال شاب

حالم لا صلة له بالدينا . حيثته قليلة .. وعروفه عن المظاهر  
واضح . وهذا هو ما قاله زهرة هام عندما دحس عندها عبد الحميد  
حجرة النوم فوجدتها راقصة في السرير يسريح من ارتهاق مسمر  
لأرجها في السجود الأحمر ناعلة بأفراش المهدئات التي تتعامل  
معها وكأنها الأمل الوحيد لها لتحصل على بعض الراحة السكينة  
في هذه الحياة .

كان يوسف يتحدث عن فطاطة طمعت ، وعن سوقيته ، بينما  
يقول عبد الحميد لنفسه . كل ما أريده هو أن أحافظ على  
مركزى ، لا أريد شيئا أفضل مما أنا فيه الآن . ولنى أطمع أن  
أكون ملكا أو رئيس جمهورية . ولقد أحسب ما فيه الكفاية من  
السلطة في القضاء .. حكمت بالبرء كما حكمت بالإعدام .  
ووقف أمامى كبار الوزراء يرافعون .. وتحول بعضهم إلى متهمين  
ولقد حاربى الثورة لانى من عائلة قطعية . وحاربت عائلة  
زوجتى ، وأخرجونى من القضاء . خدمنى المحرمون عن عرشى .  
ولكنى عدت إليه . وعادنا فى أكبر المناصب نفودا وحبية رسيطة .  
فأنا النائب العام . وكل شيء على ما يرام . لولا أن أمامى سسة  
واحدة وأبلغ الستين وأحال إلى المعاش . ولى هذه السسة . هذه  
الشهور . بل هذه الأيام . يجب أن أحافظ حذلى على حصيلة العمر  
كله .. يجب أن أصبح فى بوتقة أيامى الحاضرة كل الماسى وكل  
المستقبل . وأن أعمل جهدى على أن أسحق المعركة . وأن أبقى فى  
منصبى . وأن يصدر قرار من رئيس لجمهورية بعد فترة خدمتى  
سنتين أو ثلاثا . أن كل لحظة تمر الآن هى لحظة سلطه . لحظة  
نفوذ . لحظة تأكيد حاصر قوى مدح دروة قوته . يدافع عن نشوة  
هذه الفروة .. وزهرة عاهرة عن التفكير فيما أنا فيه . أنها  
لا تفكر فى احتمالات المستقبل . وتتعامل مع الحاضر وكأنى نائب  
عام أيد الدهر .. وهذه واحدة من الأهموم الثقبة التى يجب أن  
أواجهها . ولكن كيف . أحيانا يخيل إلى أنها حبت عندما تحدثنى  
عن بناء قبلا فى المعجمى . وتقول لى أنها سسطلت من المهندس  
المعمارى أن يعد لى حياجا مستقلا على نظام السلاملك فى موتنا

القديمة يليق بي وأنا نائب عام أن استقمس فيه المحاميين العاملين ورؤساء السجون ، وأنا في المصيف ، عندما يأتون الى شناعسة القصايا السياسية الكبرى انى نكتب عنها الصحف ، ونشر صورتى واسمى فى صدر الصفحات ، ترى هل تتحقق المعجزة ، فأرى نفسى جالسا بعد سنوات فى تلك الصلا على شاطئ البحر واسطول من سندات المحققين الذين يسيطرون على سلطة الانعام باسم المجتمع وناسى انا شخصيا ، مرصوص امام سور الصلا الذى يقف عنه الحراس وامامى الشاطئ وامواج البحر وأنا القى تعليماتى وبوجيهاتى واصدر قراراتى وأوقع بامضاءى على الأوراق .

كانت هذه الهسات والصور الخائفة تحتاج رأس عند الحميد ، ليقاوم اعتراضات يونس ، التى أصبحت غير واضحة ولا محددة ، بينما هناك فريق أمل أن نكون صبة السبب بالمليوير مرسى لرج طريقا مضمونا نحو الهدف المطلوب ، وهو عد سنوات الخدمة لعبد الحميد ك الذى نظر الى ابنه قنقا ، يحشى أن يهزم بكلامه فتسقط آماله .

ولكنه لن يظهر شيئا مما يعاني منه ، انه قادر دائما على المحافظة على انظهر ، وهو دائما امام الجميع ، الرجل القوى الذى يستطيع أن يصدر القرار فى أية لحظة . حتى لو كان الضعف يهشه واحافو الحقيقية تراوده ، وهو يرى الأيام تحرى نحو وقت الاحالة الى المعاش والشحوخة والمرضى والحصار كل مظاهر القوة والسلطة والنفوذ . ومن يدري فقد يأتى مع كل هذا الفقر . والحاجة الملحة الى المال فتكالف الحياة نرداد ، ومفقات زهرة وسارة تتضخم ، ان فستاما واحدا تشتريه واحدة منهما يساوى مرتب شهر . كيف يلاحق هذه المصاريف ، ربما يكون الأمل يوما ما فى يونس ، عندما تتدفق عليه أموال الثرول ، فسمعته بالمال ولكن هذا الخاطر مرعج أشد الارعاج ، انه حرمة نكراء لكل المظاهر ، أن يعنى الأبناء على الآباء ، أمر أشبه

بالكارتة ، وهو يسمى الا يضطر اليها والا يأتى اليوم الذى يحصل على المعونة حتى ولو فى السر من ابنه . هل يأتى الرمن الذى يعد فيه نفسه لهذا المشهد التحس . الذى يطلب فيه من يونس معونة مالية ، ترى أية لهجة ، وأية كلمات يدجا اليها . يقول متوسلا . المعاش لا يكفى . دخل الأرض لا يكفى ، مصاريف امك زادت ، الحياة صعبة .

ارتجف عبد الحميد صفوت فى اعماقه ، وقاوم سجاح اى مظاهر خارجية لقشعريرة تسرى فى اوصاله ، وهو يتساءل بينه وبين نفسه ، اذا ما كان عليه أن يتلقى ابنه ، لقد يحتاج اليه فى المستقبل ، أو يتجاهله ، رغم ما يبدو عليه من ضيق شديد بالعريس القادم ، ويضى قدما فى مشروع الزواج الذى يفتح باب الأمل فى معجزة استمرار السلطة والنفوذ ، واطلاق احلام زهرة فى المجد الدائم المتصل . وما هى زهرة تتحدث فتبذل الموقف ، بكلام على رافع فهو ليست حاملة تماما ، وليست معنولة كما يشك أحيانا من كثرة ما تبثله من اقراص المهدئات حتى يستفخ وجهها وتنورم عيها ، انها نشيطة تماما الآن . تتحدث عن حبها لسارة ، وعن تصميمها على أن تتزوج أحسن وأفضل الأزواج وتحدث فى نفس الوقت بلهجة ومهارة تحسد عليها عن العروس التى ستختارها ليونس ، ستكون أميرة بين الأميرات حميلة بين الجميلات ، تسع فى النجم والمال ، انها تنقل بحديثها عبد الحميد زوجها ، ويونس ابنها ، الى عالم أشبه بعالم الأساطير . ولكن يونس ينتفض ، ويقاوم هذه الموحة من التفاؤل ، ويرفع صوته على غير عادته ، انه يريد رأى سارة ، عندما تعود من زيارة صديقتها ، وهو واثق انها سترفض . أما عن الأميرة التى تتحدث عنها أمه كزوجة له . فهو يقول لأمه . انه لم يبق فى مصر أميرات ذات مال ، فالتزوات مع المهربين والمختلسين وتجار المحدثات ، البس كذلك يا ابى . اليس المتهمون هم أصحاب الملايين بينما المحامون من الوزراء السابقين ، وكبار رجال الدولة ، هم الذين يتحركون كحاشية لهم .

لم يحب عبد الحميد بك على تساؤلات ابنه ، ولكنه كان يرى في حياته ، السيارات المرسيديس تتجمع عند سراى النيابة ، يهبط منها اصحاب المال ، والنفوذ ، تحوم حولهم النعم ، بينما سيارته الحكومية دب ابوديل القديم طائب بتعبرها بالبحاح وبوشك السبة المالية ان يقضى قبل ان نصلة المرسيديس اسى وعدوه بها . . هذه السيارة الحكومية حريصة في حق مظهره ، انها تعلن بفسوة لا مبرر لها ، ان مستواه اقل من مستوى المحرمين المتهمين ، والمدافعي عنهم ، والدين يتوسطون لهم . . ان مظاهره مثل هذه ، كفته في رايه بان توجه الى العدالة طمعة في الصمم ، فالعدل حسنة ومظاهر ، لان الناس تحترم اظهار قبل ان تحترم الحكمة ، وبانى في كنف الهيبة اكثر من امانها باستحق واحكامه .

قالت رهيرة لاسها بحسب الامر ان الفصل الا يقول شيئا لسارة ، حتى ترى طلعت نفسها وتحكم عليه ، وهذا قال عبد الحميد بك . . انه مهما كان الامر . . فان الديانة ، تقضى الا يواجه يوسف زميله الذي هو ان شخصية بارزة في الاسكندرية برقص المقابلة ، وانه لا داعى للمواقف العنصرية او المشجعة ، فليس هذا من شمس العائلات الكثرة التي تعرف الاصول . . ولذلك هو ينتظر المهندس طلعت مرسى قرج ويرحب برياره ، دون ان يشهد شيء ، او يورط في كلمة تصد منه . . وانه موافق تماما على ان الامر متروك لما تراه صاحبة الشأن ، سارة .

في صباح اليوم التالي لهذه المناقشة التي جرت في بيت النائب العام ، فوجيء يوسف بان طلعت قد جاء الى القاهرة ، قبل ان يسمح به ان والده قد حدد له موعدا ، وهكذا بدا ليوسف كما لو كان طلعت مصمما على ما يريد في وقاحة وغرور لا نظير لهما ولكن عبد الحميد بك وحب بالبقاء في بيته عصر نفس اليوم .

انتظرت سارة وصول الحاحوار من نافذتها . وكانت امها قد احترتها بان العريس ابن المليونير قادم . . وطلعت منها ان

تتظاهر امام شقيقها بأنها مجبل الامر . . فصحكت سارة ، وكان في ضحكها ما جعل رهيرة يسريه في الامر . . ولم تتركها سارة مهيا للحواحس ، فقد حككت لها ما حدث من طلعت في الاسكندرية وكشف انه عرض عليها ان تترك مع سيارته الحاحوار ، وانه اراد ان يارلها ، لولا انها عذبه بان ترسله الى السجن اصبحت رهيرة بهذه الاسرار التي لا يعرفها يوسف العبط ، كان يظن انها سوف ترفض طلعت ، لانه يبدو كما لو كان من السوق . . وصحكت سارة مع امها ، وهذا يفران بسرعة ان صاحب الملايين من المستحيل ان يكون من السوق ، وان كل ما يقصه هو المراء التي تعلمه كيف يكون وحيها من الناس . . وان طلعت قد اظهر انه يحب وهو ببلايه صفة لا ترفض . . وفرصة من فرص العمر .

وإذا صبح ما يقال من جاذبية السيارات ، فها هي الحاحوار تجذب بقوة أنظار سارة ، ويهبط منها ذلك الشاب الربعة المدكوك ، يتقدم الى بوابة الحديقة ويتبادل الحديث مع الحارس . . ما هو مشروع الوجه الجديد ، ان الدوات الحديد الذي سستولي صناعه ، واضح من مظهره ومن مشييه ومن الطريقة التي يلوح بها بيديه ، انه من وسط اجتماعي مختلف ، ان مثل هذه الأشياء يستحيل اخفاؤها حتى مع الشراء والمدخ الشديدين ، لابد من وقت ، قبل ان يتعلم ويتمود ، وتتميز حركاته ولفتاته ، ويتغير صوته ، ويتغير حننه ، وهي تقبل ان تتولى مهمة التغير ، ان تحول هذا الجلف . . ان تفسله ونظفه وتهذبه وتقطع أية صلة بانه وبين ماضييه . . لانه سوف يدفع ثما وفقا عسى أى نافذ او معرصر ثم هو يريد ما ، ومثله سوف يركم تحت قدميهما ، ويعمل على استعادها ، ويتمنى ان يرضيها بأية وسيلة ، ولا شك في رجولة وفحولته ، نعم انها لا تمنع ، وسوف تدخل التحرية ، فمهما كان الامر ، سوف تسكن قصرا وتركب افخم السيارات ، وتجنو العالم في أفخر الفنادق . . كل ما هو مطلوب الآن . . هو ان تطلعن الى ان هذا الشاب من الممكن ترويضه ، وانه جاء بالفعل

يطلب الخضوع ، جاء يستسلم لأسفاده ويقول لهم امحوني  
بركنكم ، وأدخلوني في زمرتكم وأنا على استعداد لأن ادفع الثمن .  
دخلت زهرة على طلعت . . وهو يجلس مع النائب العام ،  
فصدها مظهره . حلف اديه مصطع ، يحاول أن يتطرف ، ولكن  
سوقيته فاضحة . يتكلم عن يوس وفي عيبه سخريه ووقاحة ،  
ولكنه بكل تأكيد قوى ، يتحدث بطريقة قطرة عن الثروة التي يملكها  
والتي سيضعها تحت تصرف ابنتهم .

يتحدث بزهو شديد عن أبيه ، الذي سوف يأتي حتما بعد  
هذا اللقاء التمهيدى ، ليتقدم رسميا بطلب يد الهام الصغيرة .  
انه الآن مشغول بأصدقاء أحاب في صياغته بالاسكندرية ، وهو  
مريض ، حركته محدودة ، ولاحظت زهرة انه يتحدث عن مرض أبيه  
بلا سيرة شفقة أو أسى ، بل كادت تلمح ما تخيلت انه طبع اسماة  
لها مفرى وكأنه ما ذكر مرض أبيه ، الا ليقول ان الملايين توشك  
أن تستقل اليه بعد قليل . ولذلك لم تتمالك ان تساله . . عن  
اشقائه . فأجابها ساخرا ان عددهم كالأرز . . كبرون ، ثم عاد  
وقال انهم عشرة ، ثم صحح الرقم وقال انهم اثنا عشر من ثلاث  
زوجات . . وان أمه كانت الروحة الأولى للأسطى مرسى الميكاسكى .  
قالها ضاحكا ، وكأنه يمتحن رد الفعل عندما يذكر لهم في عقر  
دارهم انه اس الميكاسكى . وليس ابن الناشوات والكوات . وهو  
يمتحن من مركز قوة ، وبلا أدنى خوف ، أو تردد ، فهو ينقى الكلمات  
تتحدى وتستفز ، دون أن يخطر بباله أن الدين يستمعون اليه  
قادرين على رده ، أو مهاجمته وكان محقا في توقعاته . فعند الحبيب  
صفوت كان مشغولا رغبا عنه بمدى صلة الأحاب الذين يستضيفهم  
المليونير مرسى فرج بالسلطة ، وما تأثير ذلك ، في حد خدمته بعد  
المعاش . أما طلعت فهو يواصل اجابته بوقاحة نادرة على سؤال  
زهرة ، فسقوله لها . ان المهم هو أن ما يرثه عن أبيه لن يقل بحال  
عن عشرة ملايين . أعنيها بأسمه اليوم حتى لا يتورط في دفع ضريبة  
التركات . انه ذكى حسيور ، لا يتورع عن شيء هكذا أصحاب  
الملايين . وهو يفرض قوته . فيكاد يجعل من سوقيته شيئا

لا معنى له . ان تهديب مثل هذا الرجل هو نوع من الرفاهية ،  
نوع من الدفشة ، التي تضاف الى القوة التي يملكها ولا يحتاج  
في حقيقة الأمر الى سواها ليفرض وجوده .

تحدث عبد الحميد صفوت عن اتجاه الحكومة اليوم مع  
الانفتاح وصداقة الأمريكان . . فقال له طبع ان هؤلاء الأمريكان  
قادرين على أن يفعلوا أى شيء ، فهو عبد الحميد بك رأسه مؤمنا  
على كلامه . وهو يشعر بضطة غير عادية ، ان ابواب مد خدمته  
تتفتح أمامه .

كان يوس يرقب كل هذا ، وهو لا يكاد يصدق ما يراه ،  
وكان أباه ليس أباه . وكان أمه ليس أمه . بل وكان طلعت أيضا  
ليس هو طلعت الذي يعرفه . لقد تمر مع تغير الظروف ، فهو يتعامل  
مع والده معاملة الد . بينما ينكمش أبوه ، النائب العام ، في  
مقعده . انكماشيا كان يبدو أول الأمر نوعا من الحفظ ، لولا تلك  
الأسئلة التي يثيرها ، عن الانفتاح ، وعن الأجانب ، وعن الشيء  
حدث لأمه . فقد كانت متعالية في بداية اللقاء ، يكاد يحرم أن  
عيبها قرفا من هذا الضيف . وكان من المنطقي أن نشور اعصابها  
بعد هذه المعاملة من القرف والاشمئزاز وتطرد طلعت ، ولكنها لم  
تفعل . وها هي تساله عن اشقائه ، وطلعت يحيب ويضحك .  
ويتحدث عن الملايين التي يملكها ويلعب بها ، أو ينصب بأعصاب  
ساعديه .

وانتأب يوس احساسا بانغربة كان وجود طلعت قد طرده  
من بيته . وعاد يفكر في البحر ، أو يتذكر نظراته الشاردة في الأفق  
البعيد عبر الأمواج ، انه لا يكاد يفهم ما يراه وما يسمعه . من أين  
جاء ، حتى يشعر بهذه العربة . السس هو اس هذا الأب . وهذه  
الأم لمأذا هما قادران على مواجعة طلعت . بينما يرداد هو بعد  
وعزلة .

ودخل الخادم بعربة الشاي . وها كان اصحابا حديثا كرهه  
لندما خرجت تلك الأصوات المنعرة من طلعت وهو يشرب الشاي



وبحققت مدعورة بعينها . ولجأت الى يونس ، الذى نظر اليها مستحدا لعينا تعيد الأمور الى صوابها ، أن يصرعها تشمر به . أن تصدق فيما تقوله ، وهى التى ظلت سنوات عمرها بحسم مواقف أكثر نفاعا مما تواجهه الآن . ورفض النشاء بالرعاع الذين لا يعرفون آداب الكلام والسلوك الاجتماعى . وكانت زهره تحدث نفسها ، بهذه المصيبة التى تواها ، وادى جهد لابد أن تبدله سيارة مع الحرير الذى امتدت يده وأمسك بأصابعه قطعة جانبوه « ملهى » يأكلها بشراهة . فتناثر فنانها على صدره ، ويلتصق لسكر بشهوه لبعفه بلسانه .

وقعرت زهره واقعة . ها هى قد كشفت عن حقيقتها ، وسور بهى انسانية . أو نخرج من الحجرة وسرك هذا المشهد الوجيه لواجبه الرجال وحدهم . ولكنها لم تفعل شيئا من هذا . كانت تمسك بقوة . تقدمها لطبع . وتطلب منه أن يسمح الفئات عن صدره وفيه .

واحد طلعت الفوطه منها باسما ، واعتذر لها بدكاء شديد عن صمغيتها . وقال لها انه انسان غير منحضر يقضى معظم وقته فى الصحراء ، ولكن ما هى الفرصة سانح له أن يتحول الى انسان متحضر .

كلمات بسيطة قالها ، فاشعل حماس زهره . انه قادم لسميسير . لمحضض . وليتعلم . انه يشتري انه محتاج . انه يعترف بعجزه وغم قوته . هل هناك ما هو أفضل من ذلك . أن يشعر الروح . بقدرة على السيطرة على روحها وغم قوته .

عندما اخبر ف طبع . نادى زهره سيارة . وقالت لها ، ان عريسها جاء يحيطها . وراح ساره شقيقها بأن قالت أنها رانه وهو يركب الجحواز خارجا من المسب . كانت تطل بالصعدفة من نافذتها . ولم تمد حجلا أو حياء .

حدثت كما لو كانت تملك بالفعل الجحواز ، والملايين التى يملكها طلعت .

قالت :

— لا طانع عدى .

وصاح يونس غاصبا ، وبما من نفسه ، أكثر من غصه منها ، لأنه عجز عن فهم حقيقة مشاعرهما .

— اليس هذا هو ما سخرت منه ؟

قالت سارة :

— لى اترك هذه الملايين . . انها تصبح المعشرات . . . والفت يونس الى أبيه يائسا .

وكان عبد الحميد بك صغوت . قد استعد للموقف النهائي الذى يحافظ على المظاهر . واستعان هذه المرة بأسلوب التحقيق فى القضايا السياسية الهامة . فقل بضد شديدة . وكأنه فى مؤمر من المحامين العامين . شارحا كنمايه الأجره التى جابها لطلعت مودعا :

— الآن . أعاصا خطوة لابد منها قبل أى شيء . . . وقبل أن اعطى كلمة للباشمهندس طلعت . . لابد أن اتصل بمحافظ الاسكندرية وأطلب منه التحرى عن أخلاقه . . ليظلمن قسى . واتحد قرارى . لذلك لم اظهر له موافقتى . ولكنى لم اظهر له اى سارفض .

كان يتكلم بلهجة مطمئنة واثقة . واستمعت اليه زهره . وهى ممحة بآثرانه ووقاره . وزادت سارة تعقلا به ، وهو يعنى لها عن موافقة هذا الأسلوب الرائع . الذى يحافظ على مظاهر الاتزان وعدم الاندفاع .

وهمس يونس :

— يعنى أنت موافق . . . ولن تعدل عن رأيك ؟

قالها ، وكأنه ينتقم . ينزع أستار المظاهر . ويكشف استسلامهم . ولهفتهم جميعا على المال . . . يصحح محرهم وحواء

فوسهم امام صاحب الملايين . وضياع كل القيم التي رعموا انهم يعيشون بها . عن اعدادهم واسلافهم وضياع تقاليد الأصالة والسالة . والتعالي على السوقية وعادة المال .

قال النائب العام مواجهها اتهام يونس .

— ساوافق . . عندما يقول لي المحافظ الاسكفوية . انه لا مأخذ على سلوكك وصلك . .

قالها بثقة . رفعت مصوياب رهرة . وساره . انه لن يتحمل وحده مسئولية الزواج . بل المحافظ هو اول من يصدر القرار . وهذا ضمان كامل للمظاهر . لن يكره او يفرص عليه احد . ووجه النائب العام ضربته المصادة ليونس قائلا في وقار :

— لا تنس يا ابني انك الذي جاء بهذا الحريس زميلك في الفصل . .

وشعرت سارة . بان يونس غير مستريح . فاقبلت عليه وامسكت بيده . وقالت وهي تنظر في عييه في رقة :

— اعلم انك تدافع عني . وتظن اني اقبل الزواج منه رغم اني اتهمه بالسوقية لاني محتاجة الى أمواله . ولكن هذا غير صحيح . . صدقي اني اتروحه بسبب الشعور الذي عندك عندما قلبت العمل في شركة البترول حيث تتحصل الحياة على غير ما تعودتها في معسكر . حياة حشة مرهقة . . ولكنك تمارس عملا وتؤدي واجبا . . وانا اريد ان اعمل في مشروع طمعت . . مشروع أن أحصل منه اسانا محترما . بعد أن عجز على احترام نفسه . ولحم كل ما نملكه من مال . .

ثم انضمت قائمة مدلال .

— وما الضاح يا أمي من وجود المال . .

قال يونس :

— ان مشكلته ليست في عدم احترامه لنفسه . انه لا يحترم احدا على الإطلاق سوى نفسه .

قالت سارة :

— هذا غير صحيح . انه ضعيف اكبر مما تنصور . .

قال يونس مختارا

— لا أفهمك . .

فصحكت سارة قائلة

— لأنك لست امرأة . .

وهنا اختتم عبد الحميد بك صفوت المناقشة بحرم دلال

— هذه المناقشات لا معنى لها . . حتى تصلنا الحريات .

وقالت زهيره

— نعم . . غدا صباحا . . تتصل بالمحافظ . .

قال عبد الحميد بك :

— سأطلب منه ايضا . . ان يتصل بمرسى فرج . . ليعرف

حقيقة موقعه من طلب ابنته . .

قالت زهيره باهتمام واعجاب :

— هذا ما يجب ان نتأكد منه قبل أي شيء . . فقال

عبد الحميد بك وهو يهر رأسه بتؤدة

— وهل يطونني امر مثل هذا يا زهيره ؟

:: شهر الليل :: ليلاس ::

www.lilas.com/vb3

## الفصل السادس

اهتم شهدي أبو اللطف محافظ الاسكندرية .  
بتلك المكالمات التليفونية الخاصة من عبد الحميد  
صفوت النائب العام لها هو الرجل المحافظ  
المتزمت ، الذي يتعامل بالرساميات ، ويتعد عن  
العلاقات العامة والاتصالات الاجتماعية ، يلجأ  
اليه في خدمة شخصية ، ويريد أن يجعل منه  
واسطة خير في عقد قران مزيج بين ابن مرسى فرج  
واحد من أهم رجال الاسكندرية ، واكثرهم مالا  
ونفوذا ، وانه صاحب سلطة الاتهام في الدولة .

ان المحافظ لسعيد حقا بأن يكون له دور في هذه المصاهرة  
الهامية . انه يعرف جيدا أن كل طبات مرسى فرج لابد أن تحاب .  
فهو لو غضب ، غضب معه ، مستثمرون أمريكيون وطيان  
وغضبت الرئاسة ، وغضبت الصحافة ، ليس في مصر وحدها بل  
مسوف ينهال النقد في كبريات الصحف الأمريكية والأوروبية .  
يهم الادارة المصرية بمرحى البروقراطية وتعطيل الانتاج والفساد .  
ولقد تلقى المحافظ درسه كاملا ، عندما وضع رئيس الجمهورية  
في اجتماع عام بسبب تكديس النفايات في الماء . وكان المحافظ  
يعلم ، كما يعلم الرئيس الذي يوجه أن هذا التوضيح يسبب اضرار  
اصدرها المحافظ خطأ . باعطاء الأولوية في التصريح لمواد موسوعة  
كان يعتقد أن الحاجة ماسة اليها وعاجلة ، ولن يحدث ضرر اذا  
ما تأخرت عملية تفريغ حاويات مرسى فرج يوما واحدا . كما  
يعدم المحافظ الا يحدثه مظهر التواضع الشديد الذي يبدو به

مرسى فرج ، وهو تواضع يجمع بين أدب الجرسونات الذي عده  
مرسى عن صلبته القديمة يونانيين وطلين يام كان يعمل ميكانيك  
في ورشة عاركو وديلاي بالاضافة الى أدب وتواضع الحاج مسلم  
التقى الورع ، وعندما يرور شهدي أبو اللطف مكتب مرسى فرج  
في شارع النبي داسال . يهم مرسى بأن يدير تسجيلا بواحد من  
مشاهير المقرئين . فيخلط الحديث بصوت التلاوة . وهو ما يسهه  
شهدي بذكاء ضابط المحاورات السابق . بأن مرسى فرج يحاول  
أن يضعي جوا من الايمان والدين ، يعرض به ما يشعر به من نقص  
في ثقافته . وهو نقص يذل الرجل بهذا كبرا لتعطيته واسلوب  
عليه . حتى أنه أحيانا يستعمل كلمات انطالية أو يونانية في  
حديثه ، في نفس الوقت الذي يدعم فيه حضوره بتلاوة القرآن .

وقد سمع شهدي أبو اللطف من عبد الحميد صفوت أن  
المهندس طلعت تقدم يطلب يد ابنته . كان أول انطباع له انه سمع  
في مناسبة ما أنه متزوج . ولكنه احتياط فلم يخبر النائب العام  
بهذه المعلومات التي لم يكر واتقا منها . كل ما قاله . هو انه كان  
يظن أن هذا المهندس مروج ، ثم تراجع أمام ارتفاع صوت صفوت  
هادرا من التليفون . لابد أن يكون شخصا آخر الذي يتحدث عنه .  
لأن المهندس طلعت كان يروره بالأمس ، يطلب يد ابنته .

وفرغ شهدي لانه توقع أن يكون مرسى فرج سعيدا بهذه  
المصاهرة بين ملايئه وسطة الاتهام ، ولا شك أن عملية الزواج  
هذه . مشروع خطط له مرسى فرج وهو يقوم بسط نفوذ  
امبراطوريته ، واضمحام عبد الحميد صفوت الي عائلة هذه  
الامبراطورية . سعيد حقا . وهو يطمئن شهدي ، الذي أصبح  
يعتمد في كثير من تصرفاته وقراراته على نشاط مرسى فرج . وهو  
يساهم في عضوية مجلس ادارة بنك الاعتمادات الدولية ، وشركات  
القنادق واللاستيك والاحشباب التي يمتلك أسهمها مرسى فرج .  
وقد أرسل له منذ اصنوع هدية عبارة عن أسهم تأسيس في شركة  
الملاحة الحديثة ، التي ستساهم في عمليات نقل البترول في البحر  
الأبيض المتوسط .

طلب شهدي موعدا مع مرسى فرج ، وذهب لمقابلته في بيته يحيى الفراعنة . وما كاد شهدي يفتح الحديث في الموضوع الذي جاء من أجله ، حتى أدرك أن الحاج ليست لديه أية معلومات . ولكنه كما توقع ، بدا عنده الاهتمام والترحيب بالأمر . فقد أعاد سؤال شهدي عن تلك المكالمات التي تمت بينه وبين النائب العام ، وماذا قال له . وكرر السؤال ، واستمع لما يقوله شهدي بدقة وحذر ، ثم انفجرت أساريره ، وقال إنه كان يتوقع أن يقوم طلبه بهذه الخطوة . وأنه قد آن أوانها . ولكنه لم يكن يعلم رايه ، حتى قال لشهدي وهو يطر في عيبيه نظرات قوية فيها مريخ من الأمر والرجاء :

— اسمع يا شهدي .. طمأنا هناك مشكلة .. ولكنها بسيطة ومقدور عليها .

وروى مرسى لشهدي أن طلعت متزوج . وأنه أب لبنت توشك أن تبلغ الثالثة .

قال شهدي وهو يتلخس ريقه والمشكلة تبرز واضحة أمامه .  
— ولكن صفوت بك ليست لديه أية فكرة .

لقاطعه مرسى فرج بحسم :

— ولا داعي لأن يعرف .. لأن طلعت سيطلق البنت . وكان الزواج لم يكن . كان طيش عيال .. تروحها وهو في الكالوريوس .. لعب عيال .. لكن منذ اليوم ستكون هذه الزوجة تحت مسئوليتي أنا .. وهي واستها .. ولا شأن لطلعت بها . هذا هو ما قدرته منذ سنوات .

همس شهدي مرردا :

— ولكن صفوت بك .. يجب أن يعرف .. بمثل هذه الأمور ..

لقاطعه مرسى فرج محتما :

— طمأنا سيوف يا شهدي .. وأنا الذي سيقول له ..

ولكن ليس الآن .. بعد أن يتم الطلاق .. بعد أن تنتهي هذه الحكاية .. وسوف أنتهي منها الليلة . لن أخرجك يا شهدي .. ويمكنك أن تتحدث من الآن موعدا مع صفوت بك لأقايته .. ولكن أترك لي الأمر .

وافق شهدي أبو النطف على الامتنال لرغبة مرسى فرج .. وما كان يوقع أن يفعل غير ذلك ، لولا أنه لما عاد إلى مكتبه في المحافظة ، بدأت هواجس تحاصره ، وتثير محاولته . ما أدراه أن مرسى فرج يحكى أشياء أخرى عن أبيه طلعت . ربما تروج أكثر من واحدة . ربما له أكثر من طفل وطفلة . وهو لا يستطيع أن يقامر مع النائب العام فيشترك في الكذب عليه ، وفي أمر ياتمه عليه . أمر ليس بالهين . فهو خاص بزواج ابنته . ومصاهرة وزواج سيكون حديث كل الناس ، هل يحتمل عداوة النائب العام هل يحميه مرسى فرج أم يتحلى به . ويفقد كل شيء . أنه وضع مخرج . ولا بد أن يجد لنفسه مخرجاً منه .

قضى شهدي أبو النطف . ساعات قلقة ، على اهتدى لحل مؤقت . وهو أن يطلب تحريات خاصة من طريق مدير الأمن والمباحث . من المهندس طلعت . وزوجته . وأولاده .. وعلى ضوء المعلومات التي تصل إليه سوف يتخذ قراره في عدم إبلاغ النائب العام أو إبلاغه ما لديه من معلومات .

وهكذا طلب مدير الأمن . وقال له بعض الحكاية . وطلب المدير رئيس المباحث الذي كيف أحد ضباطه بالتحري . وكان كل واحد يهمس للآخر بالسرا .. المهندس طلعت سيتزوج ابنة النائب العام . وهو السر الذي استمر الذين يقومون بالتحري يهمسون به . حتى وصلوا إلى أهم مصدر للمعلومات في نظرهم . وهو سيد العتر . وكان الضابط الذي استدعاء حريصاً كل الحرص على أن يجمع كل ما يمكنه من معلومات . لذلك أحبر سيد العتر بخطورة الموضوع . وأنه خاص بزواج ابنة النائب العام . شقيقة يونس الذي تسوق سيارته . هو والمحطوب المتقدم للزواج . طلعت ابن مرسى فرج .

عندما برز سيد العتر فجأة امام باب فاطمة ، وثب قلبها بين ضلوعها ، أدركت بحدسها أنه يحمل انباء سيئه ، ربما ساعد على احساسها بذلك بريق في عينيه ، وأنه لا يحمل بين يديه شيئا . . فطلعت الذي احتفى لم يرسل معه ما يسترضيها به وهي مضطرة الى أن تسمح ما سوف يعوله ، وسوف يؤلف ما يقوله .

بادرها سيد بتحيةة تلمح بها ، وعشاء تبرقان ، تعصباها كأنه يبحث عن النقطة التي يصبو اليها السهم الذي سيطقه يبحث عن نقطة ضعفها . كأنه لا يعرف أن ما يصبىها ، اما يأتي من العيون . نقطة ضعفها هي العيون التي راها ، فالعيون قد تسحرها ، أو تحسدتها ، أو تعمرها . العيون قادرة على أن تفعل بها كل شيء . أحيانا ترى العيون تقحمها فتسمر بالاهانة أو بشعر بالذلة ، أما معنا سيد فهما تلمعان وتبرقان بومضات حبث وشر

وها هي تسمح ما يجب أن تسمعه من عيبه ، قبل أن يتكلم بصوته ، وها هو يرفع صوته :  
— طلعت سيتزوج .

أرادت ألا تصدقه ، أن تشتبه ، أن تقاوم كل هذا الذي يحدث بها . ولكنها لم تستطع . كانت تتسنى أن تكون أقوى من سيد وأن تظهر له شيئا من قدراتها على مواجهة المصائب والكوارث ولكنها لم تفعل ما كانت تسميه . وحدث نفسها تتورط شيئا فشيئا في أسئلة ملهولة متنوعة . وكان واضحاً لها أن سيد في حد ذاته وهو يواجهها بمعلوماته ، ويبتسم لها ، كأنه صديق أو حليف . وها هو يحجب على الأسئلة ماغاضة . هذه المرأة التي سيتزوجها هي ابنة النائب العام ، ولكن هناك احتمالاً أن يرفضوا قالت لنفسها كيف يرفضون طلعت ، انهم لا يعرفونه كما تعرفوا إذا أراد شيئاً فسوف يحصل اليه . وغم كل شيء . أنه لا يتور عن شيء . اما ما يقوله سيد أن ابنة النائب العام تحمل أن طلعت متزوج ، فهو أمر لا أهمية له . أنها تسمى وراء ماله . كم

يسعى طلعت وراء مفوضها . أوشكت فاطمة على الانهيار ، أو أن تقع قريسة حبون مؤقت ، وهي تواحه معاربه ، بين فاطمة ابنة زكريا لتولوجست . وبذلك المرأة ابنة النائب العام . . ما اسمها ؟  
اجاب سيد انه لا يعرف ، ولكن شقيقها رمل طلعت في اماركو اسمه يوسف ، وهو جاف متعال ، لا يريد أن يكتم أحدا .  
قال سيد وهو ينظر بقوة في عيني فاطمة :

— ما رأيك في أن أقول له أن طلعت متزوج . . اعتقد أنه سوف ينفي الزواج .

قالت فاطمة وهي تفكر :

— وابن سيذهب له ؟

قال سيد :

— في فندق سبيل . . عندما يعود من مصر .

قالت فاطمة وهي تسترد كل قواها في محاولة لطرد أوهام كثيرة تحاصرها :

— أنا التي ستقول له .

كانت قد قررت ألا تستسلم ، وأن تعارب من أجل الاحباط بطلعت ، وكانت تعلم أن لها أعداء . في حد النائب العام وابنته وشقيقها ، وهي لا تعرف على وجه محدد معنى لقب النائب العام ، حتى وسيد يشرح لها أنه لرئيس الكبير لمدينة والشرطة . . فكأن تفرد لمرحة فاطمة . ثم تعود وتساؤه ، وما شكها ، وما الذي أعجب طلعت فيها . سوى أنها ابنة رجل له أهميته . . ولكن لماذا يحتاج طلعت الى أن يتصل بشخص هذا الرجل . لماذا يتحلى عنها ومن ابنته ، ما الذي سوف يحصل عليه ، ما الذي يكسبه ؟

قال لها سيد مخفراً ، أنها يجب أن تعلم ما دامت تصمم على مواجهة الأمر بنفسها ، أنها أمام ناس أشرار ، لا يتورعون عن القاء الأبرياء في السحى . وانهم من عالم آخر . غير عابسا يا فاطمة . . والاقتراب منهم خطر وكفه ضرر ، ومعرفتهم لا تجلب إلا الحسارة .



استمعت اليه فاطمة ، فارداد التحدى في عريستها ..  
وهكذا ذهبت تبحث عن يونس في فندق ميسل . ووحده  
لأنه كان قد ترك البيت ، وعاد الى الاسكندرية . وهو يشعر  
بحزن واكتئاب لما رآه في لهمة أبه وامه وأخته ، على هذا الزواج  
الذى يعرضه طلعت . ما كان يتصور أنهم قد بلغوا هذه الدرجة  
من الانهيار ، ومن الحواد ، ومن الافلاس . ولم يحصل القاء  
مهم ، ولم يمانعوا في سفره . بل كانوا يحسبون بان يتخذ ببطرانه  
واسئله متى كلها اتهام لهم . كما شعر أبوه أنه من الأفضل  
الا يمانع في سفره المكر ، ليكون قريباً من مقر الأحداث ، وقال  
ليونس وهو يودعه :

— عندما تصل الى الاسكندرية ، اتصل فوراً بالمحافظ  
واستمع لما يقوله .. وأبلغنى به .

همس يونس :

— لا أريد أن أحشر نفسى في هذا الموضوع .

فقال الأب غاضباً :

— هذا واجبك .. نحو شفقتك .. لا أريد أن أسمح منك  
هذه النقطة مرة أخرى .. هل تفهمنى ؟

ونكس يونس رأسه ، لا ينسى بكلمة ، وهو ما تصوره  
صوت بك أنه استسلام من يونس وإقراره بذلك .

وكان يونس في حجرته بالندق ، عندما دق التليفون . وقال  
له موظف الاستقبال :

— ان سيدة تنتظره وتريد مقابلته .

وقال الموظف بلهجة غريبة

— ان السيدة تلح في رؤيه ، ويبدو ان لها طلباً في الزيارة .  
وانه لا يدرى ماذا يفعل أمام الحاحها . وقد حاول أن يتخلص منها .  
ولكنها ظلت واقفة أمام الباب ، وطلب من النواب أن يبعدها ، لأنه  
يبدو من طريقة ملابسها أنها ليست من رواد الفادق ، وقد تكون

امرأة مشوهة .. لولا أن لهجتها الجادة ، ونوع التحدى والاصرار ،  
لا يتفق مع هذا الحكم .

وفجأة همس الموظف أنها تقترب منه .

استمع يونس بهتشة .. حتى قال الموظف بلهجة مختلفة .

— انها تقول أنها زوجة صديق لك .. ها هي يا سيدى  
بجوارى .. تريد أن تحاطبك .

زوجة أى صديق . لم يفهم يونس شيئاً .

حتى سمع صوتها يأتيه عبر الأسلاك . صوت اننى ،  
صوت دخيم دافى .

— أنا امرأة .. الباشمهندس طلعت .

هتف يونس في أعماقه .. ان هذا مستحيل ، لكنه أسرع  
بالبهوت ليقابلها .

وجد في انتظاره امرأة مشوهة أقرب الى الامتلاء دور أن تفقد  
قواماً رشيقاً مشوقاً ، تستخدم المكياج كثافة ، صورة من بنات  
بحرى كما رسمهن محمد سعيد العيون الكحيلة ، البشرة الباهية ،  
الوجه المثلج ، الشعر الأصفر المصوغ ، الدندشة ، الذهب على  
الفراغين ، المستان الأحمر ، فرقه بالطر اسود . جمال بلدى ،  
الوان فاقمة ساحرة عيان حريشان . الصوت دافى يتسلسل  
الى الأذن :

— أنا زوجة طلعت زميلك .. الباشمهندس طلعت ابن الحاج  
مرسى فرج .

لا بد أن يصددها .. لا يستطيع أن يطردها ، ويتهمها  
بالكذب . لابد أن يصبر حتى يتقشع الصباب ، لابد أن يتماست ،  
ولا يترك نفسه تتداعى وهو يفكر لما سوف يحدث في البيت  
لشقيقته ولأبيه ولأبيه .

قالت وهي تنظر في عنيه ، توشك أن تهاحه بشيء ما ..  
ربما كانت تخفيه . فبكذا بدت متحيرة متنمرة :

— هل كنت تعلم أنه متزوج .. وله بنت ؟

همنس يونس

— لا ..

لقد طعته معتدة

— هل صحيح أنه يريد أن يزوج أختك ؟

قال يونس مستكراً ، وهو واثق أن كل ما سوف يقوله من الآن فصاعداً هو ما يعبر عن الحقيقة .. كما كان يحب أن تكون .. كما كان يحب أن يعبر أبوه وأمه وسارة قبل أن يصنفهم العصبية :

— من قال لك ذلك .. لا صلة لأختي به .

فاذا بها لا تكتفرت بأنكاره وتكرر السؤال في عداد وتعه :

— صحيح أم غير صحيح ؟

صاح يونس

— طبعاً غير صحيح .

قالت تواججه .

— سيطلقني بسببكم .

صاح يونس

— مستحيل .. انه عاقل .

قالت ما يشبه اردراء لما يقوله

— أنت لا تعرفه .

ثم أردفت

— ستصيح أن تسمعه .. اذا كنت لا تريد أن يتزوج أختك .

قال صجراً .

— انه لن يتزوجها .

قالت وكأنها لم تسمعه ، أو لا تصدقه :

— النياية هي أبوك .. يستطيع أبوك أن يرفض .. يصححه ويقول له .. كلني فضائح .

قال يونس

— كل ما يستطيع أبي أن يفعله .. هو أن يؤكد لك لا صبه له بشقيقتي .

قالت تنفرس في هذا الوجه الكاديب الذي تتشكك في كل كلمة يقولها

— ألم تطلب من طبعك أن يطلقني ؟

صاح مدعوراً :

— أنا .. مستحيل .. مستحيل .

قالت في هدوء تقرر حقيقة لاشك فيها :

— أبوك هو الذي طلب .

قال بكل ما يملك من طاقة لسبر ويقنعها بصدي نصره :

— مستحيل . أبي لا يفعل ذلك

قالت ساحرة في مرارة :

— لي رب يحسبي .

رد يونس بلهجة آلبة .

طبعاً .. طبعاً .

ثم رفع صوته قائلاً بصوت قوى .

— سوف أحضر لك طبعك بنفسى .. وأحله ثم أمامك .. حقيقة .

نظرت إليه في ألم .. كانت تدرك بعطريتها ، أن الحقيقة عاسا ما تكون مصدر ألم وهي لا تريد أن تسمع أن أحداً سوف يحضر لها طبعك ، أنها لا ترحو ولا تنوسل ، ولا تنتظر عطفاً واحساناً ،

طلعت سوف يأتي من تلقاء نفسه ، فلا شأن لأحد به ، ستواجههم جميعاً ، لن تتركهم يخطفون طلعت منها ومن ابنتها .

قالت ليونى :

— لست أريد منك شيئاً سوى أن تهتم بشقيقتك وتبعدنا

عن طريقى .

قالتها بصوتها الرخيم الذى اكتسب قوة ، وهى تشعر بأن أشخاصاً تترصد بها ، لها أسماء عجيبة مثل اللياسة ، والبائب العام ، وكانت تشعر ، بأن طلعت يخفى وراء هذه الأشخاص ، وربما معه أبوه الحاج مرسى ، وسيد القتر الذى كان يحذرهما منهم ويقول أنهم أشرا .

رفعت صوتها محتدة ، مددفة نحو هذا الشر وتلك الأشخاص التى تتربص بها ، تتجدها ، تريد أن تصل معها الى آخر المدى .  
— سوف أقضحكم .. يا خطافين الرجال ..

حسن يونس مدعورا :

— اطمئنى .. أرحوك .. أقسم لك ..

لم يسمح لها أن تدفع ، أن تواصل المسيرة ، فى عبيه ألم ، وربما صدق ، ولكنها واثقة أنه شريك من عالم الأشرار .

صاحت :

— أنت تكذب .

قال فى ألم :

— صدقيى .. لن يحدث شيء مما تقولين .

ما كاد يودعها ، أو يتخلص منها ، حتى أسرع يتصل بشهدى أبو اللطف الذى استقبله فى لحال واستمع إليه وقصه يثق بشدة ، ان يونس يعرف كل شيء ، لقد قابله روحه طلعت ، وبدأت تثير الفضائح ، ان الموقف يتأزم ولا بد من تصرف سريع . بعد أن فرغ يونس من حكايته ، قال شهدى بوقار يحسده عليه أى ممثل ،

ان الأمر من الخطورة بحيث يستعصى التحقق منه . ففى يدى ، قد تكون تلك المرأة التى قابله ، تدعى أنها روحه طلعت ، ولابد من تفسير نسمعه أولا من أصحاب الشأن ، قبل أن تورط فى موقف يسوء الى الجميع .

وابتسم المحافظ قائلا :

— انا فى هذا الموضوع واسطة خير .. ولى أكون سببا فى مشكلة أو سوء تفاهم بين صديقين عزيزين ، والدك الذى كلفى بهذه المهمة الخاصة الدقيقة ، والحاج مرسى ، وهو رجل كبير وله مركزه ، ولا نستطيع أن ندعى عليه أو عى ابنه ما قد يسوء اليهما .

قال يونس وهو يرى بغياله وجه غاطمة :

— لكنى أشعر .. أنها كانت صادقة ..

نظر اليه المحافظ يريد أن يسبر أغواره ، يريد أن يعرف الى أى مدى يستطيع أن يواصل تمثيلته ليكسب وقتا ثمينا ، يمنع فيه الحاج مرسى بتطورات الموقف .

وقال شهدى أبو اللطف :

— على أية حال .. كل ما أطلبه هو التروى .. ساعتين فقط أو ثلاثا .. قبل أن اتصل بوالدك .. حتى نتحقق من الأمر . ولربما المحافظ اجتماعاته وألقى مقابلاته وأسرع الى بيت مرسى فرج يبحث معه الأمر .

:: شهر الليل :: ليلاس ::

www.lilias.com/vb3

وخطرهم ليس على الحاج وحده ، بل خطرهم الأول على الرئاسة وهذا هو ما يجب أن يفهمه شهدي والا أخطأ في حساباته .

كان شهدي يترك دائما معى كلام مرسى فرج ، انه يهدده بتخييره . وهو يعرف أن الرجل قادر على أن يفعل ذلك . فاشكوك والوساوس ترداد وتضخم كل يوم . حول ناسي اشترامهم الشيوعيون . أو اشترتهم ليبيا . أو اشترتهم ايران ، وكل يوم يدخل الساحة مشترون حدد .

وأصبح هذا هو التفسير لقول والوحيد لأى مشكلة تحدث . سواء عامة أو خاصة ، سواء كانت مشكلة عمال اشحن وبندهم الذى أدى الى تكديس المصانع في المساء أو مشكلة ماطة روحة ابن الحاج . التى تدافع عن بيها حتى لا يطفئها روحها . وكان شهدي اعقل من أن يعارض الحاج .

وكان يعرف انه لابد وأن يقدم ضحية قربانا يسرعى به ذلك المليونير الفاضل النائر . انه لن يقلل ان تصيح ثورته هباء . ولا بد ان يقتنع في الحال انه سيد مرهوب الجانب .

قال شهدي ابو النطف انه يرى ان الأمر فعلا خطير . وانه سبق وان قال للحاج انه غير مطمئن لعمل مع مدير الأمن . فهو صديق رئيس الوزراء السابق . الذى يرأسه الرئيس من وقت لآخر برسائل الى الدول الشيوعية . لانه على علاقة طيبة بهم . وادا كانت مقتضيات الدبلوماسية تتطلب مثل هذه الصلات الا ان اعوان رئيس الوزراء السابق يتوهمون انه مسمود الى السلطة . وهو يشجعهم على ذلك . فعملون على خدمته بكل الوسائل . وهو لا يشك الآن في ان مدير الأمن كان وراء ما حدث . لانه أخبره بنفسه وما كان يتوقع أن يخونه مدير الأمن .

قال الحاج وهو يحصى وجه شهدي بنظرات حادة :

— أنت يا شهدي الذى أخبرتته ؟

عسى شهدي :

## الفصل السابع

وصل شهدي ابو النطف الى بيت الحاج مرسى فرج . فوجد أن الأحداث قد بلغت ذروتها . كان طلعت مع والده . يتفق معه على طلاق فاطمة . وما يفعلونه بها وبابنتها فلما سمع الحاج الأنباء التى جاء بها شهدي وعرف أن فاطمة ذهبت الى يونس شفيق العروسة وابن النائب العام . وقالت له انها زوجة طلعت وعلى ذمته . لئلا الرجل . وهو غسلا يثور . يهاجم الجميع بلا استثناء . فهاجم طلعت وسأله كيف عرفت بنت زكريا المتزوجت انه اعتزم الزواج من بنت النائب العام . . . ونفى طلعت انه تحدث في الأمر مع احد . غير يونس شفيق العروسة . وطبعا تحدث مع النائب العام وزوجته في بيته . وهو لا يتصور أن أحدا من هؤلاء هو الذى أخبر فاطمة .

صاح للحاج أن أحد لابد عرف بالأمر وأن القاعدة الأولى للحاج أى عمل . وحى الكتمان . قد انتهزت بسبب حياته ما . ولا بد ان يعرف مصدرها . والنعت الحاج الى شهدي ابو النطف . الذى كان يشعر بحرج شديد ويحاول أن يبدى دهشته بما يسمعه ولكن محاولته فشلت . فقد هاجمه الحاج مرسى وقال له ان كل شيء واضح امامه . فليس رجال شهدي من يتحسس على أحباره وليست هذه هي المرة الأولى . وهو لا يعرف كيف يشكهم .

— نعم يا حاج ..

فيساله الحاج :

— لماذا ؟ ..

فشرح شهدي مدافعا عن نفسه ، بأنه حتى أن يلجأ النائب العام إلى أحد أعوانه ، ليتصل مباشرة برجال الأمن ويطلب منه تحريرات عن طلعت ، فأراد أن يخبر مدير الأمن أن يست النائب العام محطوبة لطلعت ، حتى إذا حدث أي طيب ، للتحرري فسيبروه به واختتم شهدي دفاعه ، بأنه كان لا يتوقع أبدا أن تصل الأمور إلى هذا الحد ، باستغلال هذا الطرف الشخصي لاثارة متاعب بأسلوب منحط وضيع .

وهنا ثار الحاج مرسى على النائب العام الذي يفكر في أن يتحرى عن ابنه ، فس يكون هذا الرجل وهو ليس أكثر من موظف يتقاضى مرتبه من الحكومة ، وهذا يدخل طلعت وقد رأى الهجو يتبعه بعيدا عنه ، فقال أن ما حدث من فاطمة يفرض عليه الآن أن يطلقها ، وهو لن يكتفى بالطلاق ، فسيضربها أولا علقه لن تساه وسوف يكسر لها ساقا حتى تقع كسيحة فلا تعاود حباقاتها وفضائلها ، أو تدور على الناس تحكي حكايتها في كل مكان وزاد هياج طلعت وهو يتكلم فاقسم بشرفه أنها لو فتحت فيه بكسة واحدة أمام أي محبوب بعد الآن فسوف يققا لها عسا أو يشوه وجهها حتى تندم طوال حياتها أنها عاشت في عهد الدنيا .

فقال شهدي أبو اللطف ، وهو يلتقط أنفاسه ، بعد أن تعب اتجاه العاصفة ، أن الصف لن يفيد مع مثل هذه المرأة ، وأب من الممكن محاصرتها بطرق أخرى ، دون حاجة إلى كسر ساو أو أن يققا لها عسا ، وهذا تدخل الحاج متحدثا بلهجة ساخرة أن شهدي قد اعترف بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا ، لأنه يعتمد على رجال غير موثوق بهم ، فكيف سيحاصر فاطمة وبأية وسيلة هل سيعتمد على مدير الأمن أم ماذا ؟

فقال شهدي ، أن له رجاله الذين ياتمرون بأوامره ، أما مدير الأمن فله معه شأن آخر ، وهو يتوصل إلى الحاج مرسى أن يوضح حقيقة هذا الرجل للرئاسة ، قبل أن يسألي في عينه وحاشاه .  
فقال الحاج مرسى بهدوء :

— لن يطلع عليه الصباح وهو مدير الأمن في هذا البلد .  
واستمع شهدي إلى كلمات الحاج في وحوم ، وقلبه يندق منف ، وقد استولت عليه رهبة عمر عن احداثها وهو يردد :  
— تمام يا حاج .. تمام .. تمام .

بينما التفت الحاج إلى طلعت وقال : انه يريد منه أن يأخذ أمر بهدوء ، والشئ الذي على طلعت أن يقدم عليه في كل الأحوال ، هو أن يتم الطلاق ، لأنه لن يقبل أن تشهر به فاطمة ست ذكرها وشفيقة .

قال طلعت : أن هذا الطلاق سوف يتم في الحال ، وضحك حسيبة وقال انه واثق بعد مقابلة لنائب العام ورجلته ، انهما ن يطرطا في مرسى مثله .

وهنا سارع شهدي أبو اللطف بتأييده ، فقد وحدها فرصة أن يعبر عن مشاعره نحو الحاج وانه ، ويقول : أن طاقة لينة لغمر قد انضمت للنائب العام اذا قبل طلعت الزواج من ابنه ، لكن الحاج مرسى حر رأسه وقال أن تحريره في الحياة قد علمته ن هناك نوعا من الناس يبلغ بهم الحمق أنهم يهتمون بالمظاهر لي أقصى حد ، ومن بينهم الأنديات أمثال عبد الحميد صعوت لنائب العام ، وليس غريبا أن يضرب ويعتبرها اهانة لا تشتتر أن تقدم طلعت للزواج من ابنته الوحيدة الكبر كروجة ثابتة له .

فاعترض طلعت على كلام أبيه ، وقال أن هذا الذي يقوله فكبر قديم لا يتفق مع عقلية الناس في هذه الأيام ، ولكن الحاج فحس أن يستمع إليه ، وقال فقاطعا أن عبد الحميد صعوت تفكيره أيضا قديم ، فهو ليس مثل أولاد هذه الأيام ، سسخت عن صفته



نأية طريقه . فمدخل طبعته مرة أخرى ، وقال بلهجة بائرة .. ومن يكون عبد الحميد صفوت ؟ تقول أنه لا يملك مستوى المظاهر .  
يعني انسان أحسن منغل . ولكنه مهما بلغ حبه فلن يرفض ما تقدمه له .

وهنا تدخل شهدي أبو النطف . وقد وجد أمامه الفرصة لأن يرداد اقتراما من الأب والاس . وقال بالفعل ان هذا الذي يقوبه طبعته صحيح مائة في المائة ، وانرحل كما قال الحاج موظف في بحكومة . وعده خدمته كدائب عام سينتهي بعد شهر عدليا في يسير او فراير اعاديين عندما يسمع السي ويحال الى العشي . وعندئذ لن يكون يرحل اية كمية في المجموع . ولن يكون معه مال ، وسوف يقل اليد التي تمتد لمساعدته ، او تتوسط له فترة خدمته لسنتين او ثلاث سنوات . ولذلك هو مستعد ان يراهن على ان عبد الحميد بك صفوت . يكن مظاهرة ووداره وتزمتة ، سوف يرضخ ويرضى لابنته طبعته ، سواء كان متزوجا ام مطلقا .

تابع الحاج مرسى كلام شهدي باهتمام ، ولعله رجب له ولكنه اراد ان يستحي مدى صدقه . فسأل بلهجة من لا صدق ما يسمعه

.. انت تتحدث يا شهدي عن الرجل كما لو كان مستعدا لأن يبيع نفسه وابنته . من أجل ان يبقى في منصبه .

فارتبك شهدي . هل اليه ان الحاج يهيم هو بأنه على استعداد لأن يبيع أي شيء ليبقى في منصب المحافظ .  
وارفع صوت طبعته :

.. هذه هي الحقيقة .. قايأ أشدري الست .. لأنها الضاعه التي أريدها ..

فقال شهدي مرحبا بتدخل طبعته ومهورا بالتفسير الذي تقدمه :

.. البنت جميلة .. وبضاعة ممتازة فعلا .

كان لابد ان يندفع شهدي الى قاييد ومساندة طبعته ، ليكسبه . ولأنه في قراره نفسه يعلم ان الأب في نهاية المطاف ، ومهما حدث ، لن يتحلى عن ابنته ، وان الطريق الذي لا يحظى لكسب رضا الحاج هو بدون أي حاسب اليه . حتى لو عارض اباه لبعض الوقت . وهو استوفى في القرب من ان يكون مرسى فرح تعلمه شهدي من مبادئ الاسيراتحية التي درسها في كنيسته اركان الحرب . فكان يقول نفسه اذا كان الهدف امامه هو القرب من الرئاسة والحصول على رضاها انكسب بفتح اذنه لبعض للترقي والترويج على أكثر امصاص والاستيلاء على أكثر منصب من السلطة والنفوذ . فهذا لا يتحقق كما درس في علوم الاسرار سحرة بالاقتراب المباشر من الرئيس به يتحقق بصورة أسرع وأفضل عن طريق الاقتراب غير مباشر . ولذلك هو يصر على برئاسة عن طريق غير مباشر هو الحاج مرسى فرح صاحب الحقوة والعلاقات الوثيقة بالرئاسة وهو يصر على الحاج عن طريق غير مباشر وهو ابنته طلعت . وهكذا كتب وطء علاقاته وصلاته عبر المناصرة بأعدائه الرئيسية . كان امره أسرع نحوها وبأمن تكفئة ممكنة ..

ومضى شهدي يقول :

.. البنت من أصل فوقاري .. من أمها زهرة هاشم ..

فإذا بطعته يمارسه بلهجة ساحرة

.. لو الجمال وحده هو الذي يهيم ما شملت نفسي بهذه

البنت ، والجمال أنواع واشكال والوان . ومهما كان جمال المرأة فلا بد أن تملأها بعد شهر او سنة شهوة على الأكثر . أنا اشترى هذه الست ، لأنني أريد ان أعيش حياة أفضل مما أنا فيه . مستعملتي كيف اتحرك بين الناس ، لا أقصد هنا .. ولكني أريد ان أذهب الى أوروبا ، وتكون لي علاقات مالية وتحابية .. وهذا

يحتاج الى تعامل بأسلوب مختلف عن الذي تعودنا هنا في حياتنا .

كان الحاج يستمع الى طلعت بأعصاب ، وقال بصوت قوى :

ربما يحبك يا امنى ..

والنعت الى شهادى وقال

— الولد عنى حق .. ولذلك .. اريد أن أحلصه من الماضى الذى يقيد حركته .. انه مع فاطمة لم يشعر بحرية كما يجب لأنها ستكون عبئا عليه . وسوف نتخلص منه الآن .

وجاء المأذون ، ووقع الطلاق . وكان شهادى أبو اللطف محافظ الاسكندرية شاهدا على الطلاق . ومعه عبد الحميد سائق سيارة الحاج .. وما كاد المأذون يفرغ من مهامه . حتى نهض طلعت ، وأعلن انه سيذهب الى يونس . ليخبره بنفسه بأنه كان روجا لفاطمة . وسيطلب منه أن يبلغ والده . بأن تلك المرأة كانت مطلقة . وأنها شوه في حياته لا أهمية له . ورحب شهادى باقتراح طلعت لأنه يوفر عليه الحرج الذى سيواجهه وهو يكذب على النائب العام ، ويخفى عنه أن الطلاق تم الآن فقط .

ولم يرد طلعت أن يأخذ يونس على شهرة . فذهب الى الفندق . وتأكد من وجوده في حمرة ، وصعد اليه بلا استئذان . واقتحم الحجرة . ليواجه يونس الذى كان راقدا على السرير مرتديا القميص والسطلون . وما كاد يرى طلعت ، حتى قهر مرتبكا ، يتراجع بخطوات الى الوراء . يكاد لا يصدق عيبه . وطلعت يصيح في شراسة نمر هائج

— أين زوجتى .. قالوا لي أنها حاتت إليك .

قال يونس بصوت معشرج وقد تعطلت قدرته على التفكير

— قابضها نحت .. لم تصعد الى هنا .

فرعق طلعت :

— لا تكذب .. أين أحفيتها .. سابلغ الشرطة . سابلغ النيابة ..

فتوصل يونس الى هلع

— صدقنى .. انها لم تصعد الى هنا ..

فجلس طلعت على حافة السرير . وابتسم ابتسامة وقحة .

وقال .. تصعد الى هنا .. أو لا تصعد . هذا لا يهمنى .

واستمع اليه يونس ذاهلا . فتقدم منه طلعت بخطوات لابتة . وقال :

— انها ليست زوجتى يا منفل .. أقسم لك انها ليست زوجتى ..

كان يونس ينظر اليه متلهضا .. فأكمل :

— كانت يوما ما زوجتى .. ولكنى طلقته .. ولا شأن لى بها .. وسوف أكرم رجلها حتى لا تتصرف كما فعلت معك هذا الصباح .

همس يونس محاولا أن يلهم :

— يعنى انها كانت زوجتك .. ؟

قال طلعت متحمدا :

— نعم ..

أطلقها كما لو كانت رصاصة يريد بها مقتل فى يونس .

فقال يونس بصوت خفيض ليخفف من انفعاله .. والمعلومات التى يسترف بها طلعت خناجر تفوس في لحمه .

— كان يجب أن تقول لى .. قبل ..

ففاطمة طلعت قبل أن يكمل .. كان لا يريد أن يترك له فرصة لأن يتهمه .. لا لأنه خائف من يونس . ولكنه واثق انه لى قليل أى لوم من يونس .. ولا من أبيه .. وسوف سيجر ثائرا

لو حدث هذا ، وسيحطم كل شيء ، ويلقى مشرّوح الرواح ..  
وهو لا يريد أن يصل إلى هذه السجّة ، لذلك .. لابد أن يمنع  
يونس من أن يوجه إليه لوما ، أو تأنيبا ، لابد أن يظل يونس في  
موقف الدفاع ، وهو في موقف الهجوم . فهذا هو الوصف الطّبيعي  
لكنيهما . أما لو حاول يونس أن يخرج من مظنة الدفاع ويحول  
إلى الهجوم ، فمبدئاً سوف يصحّقه طلعت . سوف يسفه ،  
وهو حيلة لا يريد أن يصل إلى هذه السجّة التي ليس هدف  
من أهدافه ، ولا يريد أن يقول لنفسه ، أنه بدل جهودا من يسها  
السفر إلى نواصره ومقابلة النائب العام وروحته ، وبعد أن اتفق  
أياماً وليلالي ، وهو يحيل ويتصور ويشتهي ويرغب ثم يصع  
كل هذه الجهود هباء .

قال طلعت بفرح من نفسه بصوت مرتفع وهو يبد كعبه أمام  
وجه يونس :

— انظر .. ليس في أصعب ديلة .. لا ديلة رواج ولا ديلة  
خطوة .. ارحرك لا تسألني أسئلة سخيفة . ولست على استعداد  
لأن يحقق معي أحد ..

ثم ضحك ضحكة عالية ساخرة وقال :

— ألا إذا كان الذي يحقق هو النائب العام .. لا إنه ..  
ومد يده يرمي على كتف يونس قائلاً باستخفاف

— اسمع يا ابني .. اطلب والدك . واخبره بما قلته لك .  
ولسته من هذا الموضوع ..  
قال يونس بهدوء :

— لقد طلعت فعلاً .. وانظر مكانته في أية لحظة .

وصمم طلعت على أن ينظر المكالمة ، ولكن ما كاد يونس  
يروي الحكاية ، حتى ثار والده وسمع طلعت أطرافاً من ثورة النائب  
العام « .. تقول أنه متزوج .. كيف يحرق .. هذه فضيحة .. »  
وعبثاً حاول يونس أن يقول لوالده أن طلعت بحواره .. كان مجرد

ذكر اسم طلعت كاداً لأن ينسحق الرجل معاً أنه لا صلة له بعد  
اليوم بهؤلاء الرعاغ ..

وكانت كلمة الرعاغ هذه ، هي التي وصلت إلى أدنى طلعت  
فاحتطف السماعه من يونس ، وصرخ في عبد الحميد بك صفوت .  
أنه ليس من حق رجل مثله أن يشتم أسياد الناس .. لأنها  
يا عبد الحميد بك ، نشرحت عندما نطلب يد ابنتك .

وصرخ طلعت :

— اسمعني يا عبد الحميد بك ..

كان الرجل قد أبهى المكلمة من حابه . فانسج صمت ثائراً  
إلى يونس وقال :

— الرجل لا يريد أن يفهم ..

قال يونس مرتبكاً :

— أنها مسألة تقاليد .. لا يتصور أن يخرج عليها ..

فصاح طلعت :

— أي تقاليد .. على حدائي هذه التقاليد .. من حلي إلى  
أروج مسي وثلاث ورباع . لن نعلم بذك ما أحبه الله . ولنعلم  
أن ما كنت حائفة على شقيقتك .. بل وعليه هو وأهلك .. لن  
يستطيع أي زوج آخر لها أن يبعه في أي عام . بصراحة اسم  
محس .. وأبوك مجور خرف .. لتعلم أن عروسكم ليست أول  
ولا آخر النساء في الصالح والسوء ترى أني سأزوج سيدة  
سيداتها ..

كاد طلعت تاراً ، محمداً وكان لا يدري ماذا يقول ، كأنه  
أصيب بضربة على رأسه أفعدته بواره . كان غاصاً وكان  
يمسح ، وكان يدور حول نفسه وهو ينكم . ثم فجأ باب حجره  
يونس . وخرج بعد أن صفق الباب وراءه ، كما لو كان يريد أن  
يحطم الحجرة بس فيها .

ولم يصدق زهيرة هانم ما قاله لها عبد الحميد بك .. وصممت على أن زوجها لم يفهم ، وإساءة تقدير الموقف ، وإساءة التصرف ، ولقد كان في تصرفها هذا شيء من الدكاء غير المتعمد . لأنها رفضت أن تواجه الواقع الأليم ، وتحاملت الحقائق ، لأنها تحصل على فترة من الوقت تفكر فيها ، وتجده محررا للمبارق الذي وقعت فيه وتورطت فيه ابنتها سارة . وكانت زهيرة تعرف أن سارة قد أسرت بالحر لبعض صديقاتها . وسألتهن إذا ما كانت تقبل الزواج من طلعت ابن المليوير ، أم ترفضه . وكانت فرحة وهي تسمح لهذه البسات على ريجة مثل هذه ، وعجنهن من مجرد ترددنها وسأولها . فمن يرفض السليم ، ومن لا يقبل دخول الجنة ، والمال يصح من طلعت بإشرافها جنتلانا إذا شاءت . وآن ديلون . أو جون ترافولتا إذا شاءت . وكانت زهيرة قد بدأت تسج مشاهد من أفراح ألف ليلة وليلة ، في فرح الموسم .. وتشيد قصورا للسعادة والرفاهية ، بعد أن انفتحت لها طاقة ليلة القدر .

ولكن كان لابد أن تواجه أخيرا الواقع ، وقد أبلغ شهادي أبو النطف النائب العام بالحقيقة في محادثة خاصة بينهما .. وعرف النائب العام أن طلعت .. هذا الولد الوقح المجنون دخل بيته ، وهو هارال متزوجا من زوجته ، وأنه كذب وقال أنها مطلقته في حين أنه طلقها بعد أن أحضره أبوه ومعه شهادي أبو النطف على أن يفعل هذا ، وقد روعت زهيرة بعض الوقت بهذه المظوهات التي كشفت عن انعاد العظيمة التي أوشكوا أن يتعرضوا لها . عندما تتزوج ابنتهم على ضرة ، وهي لا تعلم . ويقول الناس أن أناها وأماها باعها لأم المليوير لقد تعرضوا لكارثة محققة . بسبب جهل يونس بأمور الحياة ، إذ كيف يتصور عاقل أنه يعمل مع طلعت في عمل واحد ، يجمع بينهما في الصحراء ومع ذلك لا يصل إلى علمه أن طلعت متروح ، أبة بلادة ، أي أعمال أبة عرلة ضارة عن الناس تلك التي يعيش فيها يونس .

ولكن لوم يونس ، والقول بأن سارة نجت من ورطة أو فضيحة ، كان مجرد كلام لا يصبر عن المشاعر التي استولت

على زهيرة هانم وابنتها سارة ، والتي اتصحت بعد أيام ، عندما انتاب سارة وحوم حقيقي ، وخوف من مواجهة صديقتها بأحبار الماء مشروع الزواج ، لأن مثل هذه الأحبار تطلق السسة النساء في الصالونات في كل بيت في القاهرة والإسكندرية ، حتى يأتين بالخبر اليقين .

ثم هناك امرأة اسمها فاطمة في الإسكندرية على استعداد لإثارة الفضائح . فما العمل ، وكيف تكون مواجهة هذه الأزمة . وواصلت زهيرة هانم متابعة التحريات التي كان يجمعها النائب العام عن طريق شهادي عبد اللطيف ، وكان مصدرها دائما هو سيد العتر ينقلها عنه المخبرون وضباط المباحث . وكانت لهذه النائب العام على معرفة أخبار فاطمة وابنتها محاسن ، أهم عنده من أخبار أوغار الفسائل والمتعجرات ، والجصاصات الإرهابية والفوضوية التي كانت ترسل له بين الحين والحين خطابات تهديد بالقتل أو نسف سراي النيابة ، أو احتطاف أسرته . كل شيء كان في كفة . وأخبار طلعت في كفة أخرى ، لأنه كان يمثل له في لحظة ما الأمل الحقيقي في الاقتراب من الحاج مرسى صاحب الملايين ، وصاحب النفوذ السياسي بما له من صلات . كانت ستؤدي حتما إلى طلب بقاءه في منصبه عامين آخرين على الأقل . أن الأيام تمر بسرعة ، وبعد قليل سيواجه يوم الاحالة إلى المعاش . كل لحظة محسوبة عليه ، كل يوم يمر لن يستطيع تعويضه ، وهو إذا أراد أن يبقى على بعض بعده ، وأن يضمن زواجا متاريا لابنته ، فعليه أن يتصرف بسرعة وحلال الشهور القادمة . وإلا فاته القطار كما يقولون ، وعندئذ سوف يواجه في شيخوخته أيام نكد ومذلة تقصف العمر . وتجعل نهايته كئيبة ، وكان كل ما كان في الحياة من أفراح ولحظات سعادة وانتصار هي مجرد أوهام ، وخدمة خبيثة تجر قصبة إلى مزلق ، يهودى منه إلى إثر المهابة والنسبم وزهيرة لن ترحمه ، وهي له بالمرصاد ، وسارة لن تغفر له أنه ضحى بسعادتها ، أنه أحيانا يفسر لوم زهيرة له وهي تندد بإساءته بتقدير الموقف في تعامله مع طلعت ، بأنها كانت تسمى لو أنه لم

يعصب ولم يرفض الأرواح . وكان كل المطلوب منه هو أن يحادى  
عنى المظاهر ويكتم السر . فلا يدري أحد أن طبع كان مروحاً .  
وبعضى في سعة اشروع . . . به فعن ديت . لقد اسمح له الحظ  
ولكنه رفضه . وربما عاقبته المقادير ويرفض الحظ أن يمتسب  
مرة أخرى لمن لم يبادل الابتسام .

وجاء يوم تحدث فيه صفوت مع زوجته . عن أخبار غريبة  
وصبه أن طبع سوف يروح من بيت يسمى إلى لأسره المائكة  
وما كذب رهرة هائم سمع هذا الخبر . حتى استولى عيب  
بعمال كبير . ورفضت أن يصدق ما يقوله زوجها وانتهت بأنه  
صحية من يحدوه . لأن طبع كان جادا في عرضه بأن يروح  
سارة . واشاعة رواجه من فتاة أخرى . هي نوع من المساورة  
للكشوفة . وحرب أعصاب . يطلقها طبع . فهو يحب سارة

ولن يروح غيرها . هذا هو ما تحدث به عربيت الأسوية . وهذه  
أشياء لا تفهمها إلا النساء . ورهرة واثقة أن طبع سوف يعاود  
الكرة ويسعد لسارة . لولا أن عبد الحميد بك . لا يعرف كيف  
ينصرف ويوتس إليها . هذا العنة التي لا عقل لها . لا يريد أن  
يتدخل . ويأتي بصديقه ليشرح شقيقه سارة . وزهرة هار  
لي تسيطر . ولن يقع بحسب الرجال . معمرهم في المصروف . وخاصة  
أن بعض الهرجس تسألها عن حساب أن يعقد طبع أترابه بعد أن  
بعد صبره . ويأس من موافقة عبد الحميد صفوت على زواجه  
من ابنته . فيتزوج أية فتاة أخرى . لن تكون بكل تأكيد امرأة  
يحبها . لأنه لا يحب سوى سارة . وأقعدت زهرة هائم على خطوه  
حريئة فطبع أسها يوس في التليد . لنسأله عن حقيقة ما جرى

وما الذي سمعه من طبع والنس هناك احتمال لأن يأتي معه إلى  
القاهرة في الأجاره القادمة . ولم يعجب أن قال لها بوس أن طبع  
لم يأت إلى العمل . وأنه صعب منه فترة . وأنه سمع أنه سيقبل  
من الشركة . وطالت هذه روحها بأن يأتي لها بأخبار طبع  
وسر تعبته عن عمده . ولم تقبل محاولات عبد الحميد صفوت التهرب  
من احابة طبعها . ولم تفهم ما يقوله من أنه لا معنى ولا تفسير

لأن يستمر في تعقب طلعت بالحري عنه . كانت رهرة . مصممه  
على مطاردة طبع . ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عنه .

ولقد كانت تريد اخبارا عن قاضيه واسها . صحتي الرغبة  
في الزواج من سارة . فما الد أن تقدم على اشياء صحيحة .  
وما أروع أن تشعر أن هناك بشر يصنع حياتهم من جن . نبقى  
حياتك . ويهابون ويشقون من أجل أن تسمع وأن تسعد وكانت  
أحيانا تقول لنفسها أن طبع الذي قدم على بطلان مرة . لن  
يكون عامونا . وقد يطلق سارة بعد أن يزوجها . ثم تعود هذه  
المخاوف التي تعرقل بسورها . وقد نوحل هذه المخاوف بسورها فيما  
بعد . أما الآن فبها الأول . يركع طبع . ون يقول . ن الصحية  
التي أحز عليها كانت قرنا للروح من سارة . كم هو جميل  
أن يكون هناك نس باهد يدفع لأرسلها وسراج من سارة  
ابنتها . وكم هو جميل لو لم نسيده بكل صفوة . ولم الزواج

وبعد ذلك تكون أمامها فرصة . نعد افكر وهي مسريجة اسال  
في تفاصيل أخرى لابد من مرخص . ون كان مرده هيا ومقدور  
عليه . ولن يصر عن مواجبة هذه لمفاسل روح يملك الملايين  
وعلى استعداد لأن يقدم ي صمات مقبولة منه حتى لا يكرر منه  
تصرف خطير كالتفلاق . سيقبل حسا أن يسعد بدفع مؤخر صدى  
مناسب . ومع مليون أو نصف مليون على الأقل . بالأضافة إلى  
شقة فاخرة . أو فيلا في مكان مناسب . يصل على النيل وسيارة  
فاخرة . وأثاث يشتره من فرنسا أو إيطاليا . وبأمر على الحياة  
ووديعة باسم سارة في البنك . كل هذا من الممكن تحقيقه .  
لو تحرك معها روحها النائب العام . أن عهده وكرياء الكذب  
كأما سسما في هذا التلكن الذي نرحو الا يطول فقه آن الألوان  
لأن يعود طبع إلى سارة هذا العاشق الوثيق الذي صحن بكل  
نساء العالم وطلق زوجته من أجل أن يتزوج سارة .

كل هذه الأحلام . انهارت فحاة . عندما فوجئت سارة بصديقة  
لها . تحدثت معها في السهر . وتساها في حث عن أخبار طبع



## الفصل الثامن

لم تحضر عائلة عبد الحميد صفوت فرج  
 الموسم الذى قامه الحاج مرسى فرج احتفالا  
 بزواج ابنه المهندس طلعت من سبيلة الجدة  
 والشرف الأنسة مرفت مهيى حفيدة النبيل  
 مختار مهيى ، وكريمة رجل الأعمال علاء مهيى  
 صاحب مطعم الياقوتة الحمراء . ولقد شهد  
 الرئيس وعائلته الحفل الذى أقيم بعهدائق  
 انطونيادس بالاسكندرية ، كما حملت الطائرات  
 الى مصر كبار الشخصيات من جميع أنحاء العالم  
 جاموا تلبية لدعوة المليونير مرسى فرج .

وكان بينهم كبار رجال البترول ، والبان من أهم تجار  
 السلاح فى المنطقة ، وممثلة هوليد الشقراء الفاتمة « ساندرا فورد »  
 ومصمم الأزياء الباريسى « شارل ديكا » واشترك فى أحياء الحفل  
 المطرب الأسباني « الفارو » والمطربة الإيطالية « ايمانويلا » وقامت  
 برفقة العروسة الراقصة « نوسة » .

واستمع يونس الى ما جرى فى الحفل من الخبر الأمريكى  
 مستر كلارك ، وصاحا جالسان امام خيسته ساعة القروب . . وكان  
 كلارك لا يكاد يصدق ما رآه ، ولقد شرب كميات هائلة من التسمانيا  
 فى صحة طلعت الرئيس . تكفى لأن تحتفظ للشارب بحالة من  
 النشوة تستمر لأكثر من عام .

وقال كلارك لرجاء :

— كنت أظن أن الذى يسمى وين طلعت صداقة حقيقية

ثم تنقش اليها سا وصول دعوة لأبيها وسباً حضور حفل عقد  
 قرآن المهندس طلعت فرج من رجل الأعمال مرسى فرج على الأنسة  
 مرفت مهيى ، حفيدة النبيل مختار مهيى وكريمة السيد علاء  
 مهيى صاحب مطعم الياقوتة الحمراء أحرر مطاعم القاهرة .

الفت سارة بنفسها باكنة بين أخصان أمها ، أن المناس  
 يسخرن منها . وطلعت يتروح من وراء أخرى . وأياها لم يفعل  
 شيئا بنفوده . . أو ربما يستطيع أن يفعل شيئا . فهو النائب  
 العام . ولو أراد لوجه الاتهام الى مرسى فرج فى الف تهمة  
 وتهمة . . وعليه أن يتدخل فوراً لانقاذ الموقف بسطوته الجبارة .

وعاد لأب الى البيت لتقول له زهيره ، أن طلعت يرسل  
 بطاقات الدعوة الى حفل عقد قرانه . . ومن عبد الحميد بك صفوت  
 يده فى صمت الى جيبه . وأخرج بطاقة الدعوة التى وحدها طلعت  
 اليه . . واصفر وجه زهيره . . وهستت وهى تلمس أسنانها من  
 الصيظ .

— الكذب . . انه يعتمد الاحابة . .

لقال عبد الحميد بلهجة متعالية . .

— هذا ما يجب أن نتوقعه من الرعاع . . انهم لا يهينون غير  
 انفسهم يا زهيره .

وامي اهمه تما ، ولكني اعرف لك انكم ابها المصريون تكشفون  
عنا عن اشياء لا يتوقعها احد ولا يفهمها .

كان يونس يستمع اليه ، وعز يراقب البحر الهادي . وقد  
اكسى الاقوى بلون احمر حريص ، فهمس : كانه لا يريد ان يرمي  
بصوته احرا ان الاقوى

— ما الذي لا تفهمه ؟

فقال كلارك

— كنت لا اتوقع ان يطلق طلعت زوجته . وبسحر كلسه  
صدرت منه امام المأذون لي بيت ابيه .

وتوقف كلارك من الكلام فقد رأى يونس يهر راسه . فتوهم  
انه يستنكر ما يسمعه او يتشكك فيه .

وقال كلارك مستنابا حديثه

— انا لا اخبرك ما اقله . . طلعت اعترف لي بكل شيء .

هو الذي كشف لي عن شيء في شخصيته كنت لا اتوقعه .

ونظر كلارك في عيسى يونس ، يريد ان ينقل اليه . . انه يعد

كل ما حدث ، فاشباح يونس بفراجه بعيدا ، ورأى في الاقوى وح

دعه ويحيا الكعبيين . وكاد ان يسمع صوته الذي . .

يسير له بطر رية . وهي تسمع انها سحابت على روحها صد

عدوان عاية عبد الحميد صفوت . مسكسة فاطمة ، تركها

طلعت كما لو كانت متاعا مستهلكا ، لم يعد في حاجة اليه . كانه

روبايكيا . مسكن ايضا طلعت ، انه يبحث عن حياة جديدة

كما لو كانت حياته الماضية عارا لابد ان يتطهر منه ، يتمنى

يو اسلمع من عاصبه . لو اسلمع من عاداته . . لو اسلمع من حنانه

وتحول الى انسان آخر . يمشي بعادات جديدة . وها هو يدفع

ثما ياهظا لهذا الشيء الذي يهت وراءه بأسانه وظاهره . واثمن

الحظ الذي يدفعه هو تضحيته بفاطمة ، وتجاهله المحب لاسه

منها . ترى هل يكفي هذا الثمن للحصول على ما يريد .

وايتسم كلارك وقال ، كانه يشارك يونس في حواطره

— لقد حكى لي طلعت عن رفضكم لرواحه من شقيقك .

وبدا عليه التردد قبل ان يسأل :

— هل استطيع ان اتكلم معك في هذا ؟ . . ام تريد مني

ان اغلق فمي . . لا تتردد في ان تصارحي بما تريد .

قال يونس محتفظا بهدوئه :

— ما الذي تريد ان تسأل عنه ؟

فقال كلارك :

— تريد ان اعرف . . هل رفضهم رواج طلعت لأسباب

دينية . . ام لتقاليد خاصة تحافظون عليها .

قال يونس في غير فهم :

— ماذا تعني ؟

فقال كلارك :

— اعني . . هل لديكم هنا . . مثلما يوجد في الهند . . نوع

من التفرقة بين الطبقات على اساس ديني . . كان المصريون واحدا

مثل طلعت من طبقة المسودين . . لا يصح ان يزوج منه . . اعني انه

محرم عليكم وعليه ان تتصلوا برابطة زواج ؟

ارتبك يونس ، وهو يتذكر انه في قمة غضبها بعد ان تأكدت

ان طلعت سيتزوج فعلا بنت صاحب المطعم . . وكيف تحدثت عنه

كما لو كان فعلا من المنبوذين او من المصابين بالحدام . وتحول

طلعت في نظرها الى ابن ميكايكي . وعروسه الجديدة الى اسه

طباخ . ثم كان ذلك المشهد الذي لن ينساه ، وانه تحاطب والده

وتطلب منه ان يصغر اوامره بالقصص على عرس لرح ، لان كل

للناس تعرف انه اس ، وانه مهرب ، وانه يدفع الرشاوى ، كانت

زهيرة هائم قد منعت سيطرتها على نفسها ، وكانت تريد

ان يثبت زوجها الثالث العام انه قادر على مواجعة هؤلاء

السفلة الذين يرمعون اثمهم من عنده القوم ، وهاجته . لانه عاجز

عن التصرف ، لانه ليس حديرا منصه . لانه لا يملأ هدومه ،

ويحاولون في كرامته . ولم تسكت زهره . حتى وروحها يصيح فيها

انها لا تفهم ماذا تقول . وان شهورا قلقة امامه قبل ان يحرج من

منصه ، ويفقد كل شيء . بيت وكانها لم تسمع هذه الكلمات  
كان الرجل يكذب ، ويرادف ليبرو تهاونه ، وصاحت فيه .. انه  
حانف من كلب حفر ، بينما لو قال عه انه شيعوى ، فسنطمح  
ان يقبض عليه ويودعه في السجن فورا . وهل يكون رجلا كان يعمل  
ميكايكيا سوى واحد من طعمة الشيعيين .

طاعت هذه المشاجعات في صور حاطمة براس يونس ، فقال  
وهو يعطي ارتناكه نطف انتسامة يحصى بها كلارك ويحبب بها  
تلك انشاهد التي تطوف براسه :

— لا .. ليس الأمر كذلك .. لا توجد تفرقة دينية  
ولا مسيودون .

فقال كلارك :

— تصرفات طلعت هي التي جعلتني انساءل .. انه يريد ان  
يتستر على نفسه .. ان ميوبرا منه في بلادنا . يصحح ما يريد  
ولا يشعر بالحرج من اى تصرف يقدم عليه .. بل كل ما يصحه  
حتى لو كان شادا يصبح مصدر رهو واعتزاز له . لانه لا يفكر في  
ان يتخلص من طبيعته ، حتى لو كانت شادة او غير مقبولة من  
الاجتمع . انه لا يقلد احدا بالعكس يتصرف بوحى من ذاته ، وثقة  
بالفلس . ويتمتع بقوة التي تتيح له ان يحقق رغباته حتى لو كانت  
شادة . الذي ادهشني في منعت هو انه حائر رغم قوته . يستخدم  
ثراءه في قبيد الآخرين . في تقلد شخصيات تراها في الأفلام ..  
ما الذي يريد ان يبرهن عليه .. هل تفهم ما أعنيه ؟

كان كلارك يتكلم بسرعة وانفعال ، واحتتم كلامه قائلا  
— لقد سارحه رأيي .. قلت له انت تتخلى عن اجمل  
ما فيك .

فقال يونس :

— انه يريد ان يسافر .. ويخدم بمشاريع في الخارج .

فاكمل كلارك

— نعم .. هذا هو ما قاله .. وهو يتوهم ان هذا يتطلب منه  
ان يتزوج امرأة .. مثل ...

ومررد كلارك لحظه حاطمة قبل ان يكمل

— اعني مثل شققك .. وهذا غير صحيح . ان حد لـ  
يساعده على ان يتعاهم معا .. لقد كتب انعام معه وهو كتب  
هو .. فلماذا يعتقد ان علاقته بنا سوف تكون قصير عندما  
يتزوج امرأة تحيد لغة احسة ؟

وضحك كلارك ضحكة عريضة وقال

— طبعا ان مثل هذه الزوجة نرحب بها كزبون همار يسهيك  
بضاعتنا .. ملايس أمريكة واوروبية .. وسيارات كاديلاك .  
واشياء من هذا القبيل .. ولكن لا صلة بين هذه الأمور وعمسب  
استثمار الاموال واعامة مشاريع .

كان يونس يتابع مرة اخرى وجه حاطمة في الأفق الدامي  
وقال كالمخاطب نفسه :

— ترى ماذا تفعل تلك المسكية ؟

فسأله كلارك بدهشة :

— من تعنى ؟

فقال يونس مستيقظا من هذا الذي يراه كحلم غريب .

— لقد كرت زوجته التي طلقها .

فقال كلارك :

— انه مصمم على ان يأخذ ابنته .. ويمطيها لأبيه لتتولى  
تربيتها احدي شقيقاته .

فسأل يونس :

— هل تفعل ؟

فاجاب كلارك :

— ربما يتوقع انها ستصطر الى القبول امام حاجتها الى  
المال .

ثم ضحك وأردف قائلا في حماس واضح :

— ولكن من المؤكد انها شخصية قوية

ونظر كلارك الى يوس ، وعيناه تلمعان ، واعتدل في جلسته  
معدا انه سيقول كلاما مثيرا .. وصف :

— امت لم تسمع بما حدث في الحمل .. انها قصة الموسم .  
كيف فانسى ان احكى لك ما حدث .. كانت الحراسة شديدة  
طبعاً ، بسبب وجود الرئيس والشخصيات الكبيرة .. الا ان العصر  
كان يدور بين المدعويين .. بان السبب الحقيقي في شديده الحراسة  
انهم كانوا حائزين من هجوم يقوم به فاطمة على الحصن . ويسيد  
العالم مشهود بينها وبين رئيسكم وهي تنسكو ظلم ظنم طمعت لـ  
ولايتها .. ولقد سرت هذه الاشاعة ، حتى ان بعض اصديق  
مرسى خرج قالوا ان شوعيين اسخاض مع انصاره . هـ  
الذين يشنون هذا الهجوم لاجراح الرئيس . ولم اصدق حد  
الكلام ، تصورت انه امر مبالغ فيه حتى جاء احد رجال سفارت  
وهو صديق امرله منذ ك في فيسام . فوجد له راحة شبار  
وسالته عن سبب نأحره فقال لي انه غير مسريح لبعض ما يحدث  
في الاسكندرية . فقد فرص لحامط حصارا على عدة مواقع عبر  
حديقة انطوبادس ، ومن بين هذه المواقع ست روحه سابقه  
لطلعت ، يقال انها مشتركة في مؤامرة . وان أحد المحررين مكلف  
بسمها من الخروج من بيتها .

وتوقف كلارك عن الكلام ، وحقق في يوس وسأله :

— هل تصدق شيئا من هذا .. هل هي خطر على الأمن ..  
هل هي من كبار المشتغلين بالسياسة .. أو رعيمة بين رجال  
المخابرات ؟

فضحك يوس ، وهو يتذكر أمه من حديد ، وقال وهو يصر  
حاضرا حنوبيا ان اياه قد يسمع هذا في الأمر بالقصر عندها  
أو على مرسى قرج :

هذا تخريف .

فصاح كلارك :

— انه حنون .. انهم يفكرون كما لو كانوا في مستشفى  
مجاديب .  
— قال يوس :

تفقد كما لو كانوا المحابين . في المستشفى ؟  
فقال كلارك :

— طبعاً .. عشت انصور انهم الأطباء .. ومن اسبح  
ان يكونوا عقلاء .

وغم المضحكات والابتسامات والمعليقات الساحرة ، شعر  
يوس باكتئاب يرحف على نفسيه بعد هذا الحديث ولأرمه  
الاكتئاب طويلا بعد غياب الشمس وقدم الليل . وكان يذكر  
فاطمة على فترات متقاربة ، وكانها موحاة سرود على ديدان ممسة  
فتؤثر في عقله وانعصابه . وكان يلزم تذكره لها ..

خواطر ترعجه بأن عائده . شقيقه وامه وأبيه كانوا على  
نحو ما سببا في هذا الشقاء الذي اصاب فاطمة .

كيف يتجاهل قوة امه ورعيتها في مطاردة فاطمة ،  
والاصرار على تسع احارها . كما تطارد الحيوانات العائمة لربسها  
الجريئة . كيف يجادل اسمعيل أمه وسيفقه بن انطلاه وكنه  
مصدر سعادة وانصار . ودلل على ان سارة لها مقامها العالي .  
فهي الهة صمرة . تقدم لها العائد الولهان قربان آدمي في صورة  
امراة مذبوحة أو امراء مطبوعة . فالأمر سبار . كانت مشاعرهم  
بعيفة عن العدل . هل هو يحظى عندما يفكر في العدالة ، اليس  
هذا هو الهدف الذي يسعى اليه أبوه .. العدل .. العدالة ..  
التحقق لتطبيق القانون بالعدل .. اليس هذا هو مصدر فخره

انه يشعر بنوع من الحصانة ، وانه يمتلك احتراماً لا شئك فيه  
للنفس . لأنه ينسب الى امرة قضائية . ولأن اياه وحل عدالة ..  
ولكن ما واجهه في أسرته . تكاد نهارا تكن هذا الذي كان يعيش  
به . نظرات فاطمة التي كانت تستريب فيه .. تشعره الآن بأنه  
عريان وكاذب . بأنه انسان ضائع لا أهل له . انه لا يستطيع ان

يتخصص من شعور بالدب لا يستطيع أن يهرب ويتخلى عن مسئول  
ما تورط فيه أهله ، أن طلعت لم يروج سارة ، ولكن هذا لم  
يعبر من الموقف شيئا . انه مدب ، وعائلته ليست كما كان تصور  
عائلة لها امتيازها بما يمثله الأب من مثل عليا . انهم ذوو اطماع  
مثل بقية الناس ، في الحياء والثروة والنفوذ . انهم يرغمون ابنهم  
قدوة لناس . وهذا غير صحيح . فما يتركونه يلاحق يوسر  
بشاعر الاحساس بالدب التي توشك ان تعصف بكل ما كان  
يتمسك به او يثق به كسبب من أسباب وجوده .

وجاء سيد العمر الى المعسكر ، ليجود الى الاسكندرية  
يونس في احارته . كان يركب سياره فولفو لونها احمر براني  
وقال ليونس ان طلعت يريد ان يراه . وانه ينتظره الليلة بعد  
فلسطين . وانه مسافر لهذا الى اوربا مع زوجته الجديدة . وواصل  
سيد حديثه طوال العودة . عن طلاق طلعت من فاطمة . كان حديثا  
وقحا . وكان يونس يفرس في وجه سيد وهو يتحدث . فبى وسامته  
قد تحولت الى دمامة . بل حيل الى يونس ان سيد له وجه نساس  
شرير . وكان يتحدث عن فاطمة متحررا من أية قيود . وكان طلعت  
يسافر مع زوجته الجديدة ليركها لاطماع سيد . الذي قال ليونس  
وابتنسامة صفراء تبرز النوم في ملامح وجهه . ان ست الافرنجى  
ارادت ان تكون سيدة . ولكنها لا تصلح لشيء . ولو كانت سيدة حقا  
لاستطاعت ان تجمع ثروة . ولكن طلعت تركها وهي يا مولاي كما  
حنفسي . كانت معها نفوذ تركها طلعت في العوالم . ولكنه عاد  
اليها بعد الطلاق وصربها واحد منها النفوذ . حتى لا يكون تحت  
يدها سوى البلقة الشهرية التي سيرسلها لها . وبذلك يضمن  
حضورها له . ولكن الى متى . حتى تتخلى عن محاسن .

كان يونس يسمح اليه في وحوم . كانه يعانى من كابوس  
لا حبة له في الخروج منه . وما هو سيد يتحدث كوحش عن  
فريسة يطعم فيها . وسمع سيد يقول له ياسما :  
- ألم تلاحظ انى أركب حربة جديدة . ما واك . هل

تشتريها ؟

نظر اليه يونس مترددا . يجد صعوبة في أن يدخل مع سيد  
في حديث ومعاملات وشراء وبيع . ولكن سيد واصل كلامه غير  
مكتوث بتورده . وقال له :

- ان صاحبها يريد تمسا معقولا . وانها فرصة . وقد جدد  
لها المحرك واعاد طلايعا .

فتتم يونس :

- يعني افكر .

قال سيد : انه ينصحك بأن يقرر بسرعة . قبل ان تغت  
فرصة . ثم قال متشغيا :

- كما ضاعت الفرصة من فاطمة .

لم يحب يونس . ولكنه قال لنفسه . ان سيد يرداد جراءة  
ووقاحة . وانه لابد ان يوقعه عند حده . بالا يعطيه فرصة  
للاستمرار في الحديث . فيتشغل عنه . ولكن سيد مضى في ثورته  
وقال ان مصير فاطمة هو ان تتزوج اذا امعدها الحظ بواحد قادم  
من ليبيا . وان ميرة العالة هي الوحيدة التي تستطيع ان  
تساعدها .

حسن يونس مرغما :

- والبنت ؟

فهز سيد كتفه . كأنه يدهش لاقحام الطمعة في هذا الحديث  
باعتبار أنها مشكلة تستحق الاهتمام وقال باستخفاف :

- البنت تنهب الى أى بي آدم .

سأل يونس قلنا :

- تنهب الى بيت جدها ؟

قال مسند :

- تنهب الى من يريد ان يأخذها .

شعر يونس بالخوف . سرت قشعريرة باردة في بطنه .  
وانتابه ذلك الاحساس بأنه مشترك في جريمة .

وشجع سيد ياسنة يوس رغم اقتضاها ، ورغم انه عاد الى صبيته ، فسأل يوس بنهجة فيها نوع من الألعة ل يعود عليه

— ألم تلاحظ بنفسك أن فاطمة هذه .. لا تصلح زوجة لطعت ؟

قال يوس برود :

— ما أدراي بهذا ؟

فقال سيد العتر ، وهو لم ينتبه بعد الى ما طرأ على نفسه يوس .

— ألم ترها يا باشمهندس .. ألم تذهب اليك في العبدق ، لابد أنك عاينتها .

وظهرت الانسامة النمريرة على وجهه ، وبرقت عيائه .

فقطعه يوس بجفاء :

— أوجوك .. أيا لا أهم هذا الكلام .. انها سيد

محترمة .. وهي روجة وميل لي .

فقال سيد بالفعال

— لا هي محترمة .. ولا هي روجة لميل سيادك .. انها

منذ الآن .. امرأة ستدور على جن شعرها .. وأنا أعرف ما الذي سيحدث لها .

قال يوس بصوت باثر

— أرحوك كفى .

كانت لهجة يوس متعالية عاصية الى الدرجة التي اسكت سيد العتر وجعله يحق على يوس ويود لو محم عنه وعمره ، ومع ذلك فهو ليس في حاجة الى أن يهت بهذا انشاب المعن لانه يحتاج اليه . ويسمعه ويكفي انه يركب هذه الحرية التي مرقها ، والاسكندرية كنها براء وهو يقودها وداخلها ابن النائب العام ، وقبل أن يأتي بها الى المعسكر ، كان كل من يراه راكبا السياره يقول له انها سيارة المهندس يوس عند الحميد

صفوت . ولسوف يسعها له او حتى لأمنه ، الذي يركب سيارات الحكومة . ولكنه بعد شعور عمسة سرف يخرج من عنده وبحاج لسيارة خاصة به . وما لسول أن يدير سيد العتر باسم النائب العام اوراقا للسيارة ورحصه لها ورف حديدا سمور دون أن يبدن أحد لفحص السياره وانكشف عن مصدرها الحقيقي . انها صغمة حقيقية يحصل منها على الآلاف . يبيع بعضها مع فاطمة في شهور من المتعة ، قبل أن تستولي عليها ميرة وتصرف معها كما يشاء على أية حال فليصبر على هذا اللاء الذي اسمه يوس . وربما انطأ عندما تحدث أمامه عن فاطمة ، فيد امر لا صله به وهو لم يفهمه ، ولا داعي للاشمسالك معه حي سم الصغمة . وعلى الأقل يستغل ركوبه في السيارة حتى يسم الصفقة معه او مع بيه او مع أي مخلوق يشتريها .

وحصلا مشارف الاسكندرية صامسين . وقطع سيد الصمت يسأل يوس مرة ثانية عن رأيه في السيارة . فاجاب يوس باقتضاب .

— انها في حالة جيدة .

قال سيد

— انها لك .. او لسعادة البك الوالد .. وفي اللحظة التي تقرر فيها .. سائر كها معك .. أما مسألة النقود فلا عجة بشأنها .

شعر يوس بوطاة الاغواء ، انه في حاجة الى مثل هذه السيارة ، وحاجة أليه أشد وربما كانت هذه هي العرصه التي يبحث عنها . ولكنه لا يكاد يفهم هذه الحرية التي يحدث بها سيد العتر ، لا يتردد أمام المسال . لا يحفل النقود ، لا يشعر بهوم المسال . يسما والده يتحسس طريقه في الحياة مفتندا على مرقبه . وتصور انه حصل على كنوز لأرض عندما استطاع أن يحصل لابنه على وطيفة مرتها مضع مئات في الشهر . من قبل سيد العتر التقسط .. من لدى والده العشرة آلاف التي يطلبها سيد للسيارة .



قال يونس كانه يخاطب نفسه :

— سأخبر والدني .

فنهف سبيد :

— انها فرصة لن تموض .

## الفصل التاسع

وانتفض سبيد ، بما لاحظته على يونس من ارتباك أو حجل  
 لعاودته وقاحته .. وقال وهو يشير الى مطعم في الطريق . انه  
 توقف عند هذا المطعم عند مجيئه الى المعسكر واكل جبرى  
 بخمسة عشر جنيها .. وانه سيدعو يونس الى هذا المطعم عندما  
 يعود به الى المعسكر في الاسبوع القادم .

دق قلب يونس بشدة . كان يكتفم انفعالاته . هذه هي المرة  
 الاولى في حياته التي يواجه فيها دعوة من رجل على هذا المستوى  
 الاجتماعي البسيط ، ما كان ليخطر بباله ، ان سائق السيارة ،  
 اى سيارة ، ممن تعود على رؤيتهم يلقون في احترام لوالده .  
 ويسرعون بفتح الأبواب ، ويعاملون كخدم . ينقسمون الى اعداد  
 يريسون عقد الصفقات ، ويوجهون الدعوة الى تناول الطعام .

ووصلت السيارة الى فندق سيسل . فلفظ منها يونس  
 وصعد الى حجرته لتغيير ملابسه . بينما انتظره سيد لذهب  
 به الى فندق فلسطين . وكانه مازال سائقا ، مارال خادما ، ولكن  
 لا شيء يظل كما كان ، كل شيء يتغير ، ويتحول ، وعلى يونس  
 أن يقرر .. هل يدخل في مفاوضات مع سيد العتر ، ويشتري  
 السيارة ، ويرجو ان يقبل تسييط الثمن . ام يتجاهل هذه  
 الصلة التي يتورط فيها مع سيد العتر ، ويحتفظ بوضعه  
 الاجتماعي كما يتصوره ، ويريد أن يحافظ عليه ، فحرم نفسه  
 من فرصة شراء السيارة .. ويتحمل مدة التنقل من مكان الى  
 مكان ، وما يصاحب ذلك من امانات ، واحدا للكرامة والطاقة ..  
 فلنؤجل كل هذا .. فسيارة سيد العتر تنتظره لتذهب به الى  
 طلعت في فندق فلسطين .

ضحك طلعت وهو يجنب يونس من يده يدعوه  
 الى فنجان قهوة معه في الكافيتريا .. كانت  
 عيانه منقذين بلعة حادة ، وهو يتكلم بصوت  
 زائدة ، كما لو كان يشعر أن الكلام وحده لا يكفي  
 للتعبير عن الذي يريد ان يقوله . ثم يترك ليونس  
 فرصة لان يتوقع داخل نفسه .. قال له :

— أولا اريد أن اتأكد انك غير غاضب منى وصافى بالبن .  
 لا اريد بايونس أن يكون ما حدث سببا لانقطاع الصلة بيننا ..

قال يونس وقد فلتته حيوية طلعت :

— طبعاً ... طبعاً ..

نقال طلعت ساخرا :

— لا تقل طبعاً طبعاً .. وكان شيئاً لم يحدث لأن الذي حدث

حين كئيباً بأن يواعد بيننا ..

قال يونس مرتبكاً .

— لا أتصور هذا

نقال طلعت بصرح يبلغ حد الدهور

— لا أتصور ماذا يلوح لك .. هل نسيت أنى تقدمت

للزواج من شقيقتك .. وانكم رفضتم لانكم مجانين .. الآن

وبعد ان انتهى كل شيء . اريد ان اقول لك كلمتين .. أولاً ..

أنا لمست غاضباً منك .. وثانياً اريد ان أقولهم أنى عندما تقدمت

اليكم كنت جاداً .. لا أعيت .. كنت اريد أن أتزوج شقيقتك

لأحمل منها ملكة .. ولاطبب بها أن تنظم لى حلقى .. فى بيت  
أشترىه من سويسرا بعدد من عشية العقر والتخلف والحصاء  
للمسبة التى تقصف العمر ..

— كان يوسى بنسجم .. مضائق عينا طلعت وسأله ..

— لمد تنقسم .. ؟

قال يوسى

— لآلك بعد أن قلت صافى يا لمن .. تعود الى الموضوع .

يقال طلعت بنسجم .. ولكنه سيطر عليه بالنسبة ..

— طبع اعود الى الموضوع .. يا ابن الكلب .

واتسعت ابتسامته ، وسطح المرح فى عييه ، وبدأ انه  
مسرور من شتمته ليوسى الذى شعر بها كمنافرة للتقرب منه ،  
مطلعت لا تشتم لا الأصدقاء ويغدى عليهم اقدع النعوت والألقاب .  
ولابد أن يتحمل يوسى ما كان لا يتصور أنه يطبق تحمله ومضى  
طلعت فى حديثه ، وقد اكتسب صوته نبرة خنونة ، كأنه يبت  
أسراره لصديق حميم ..

— أنا سلمت يا يونس هذه الحياة الراكدة .. سلمت  
المعسكر ، والحصار .. والنزول ، سلمت الصجرات وسنى ،  
وسلمت أن أرى حقل المهدبة اسليدة كل صباح .. أريد أن أنقل  
من عالم الى عالم .. لا نقل لى أنى محبون .

وتوقف طلعت لحظة .. كأنه يتذكر شيئا ما ، ثم قال :

— مسير كلارك يظن أنى عبرت .. ملعون أبوه .. كيف  
أنعير .. هل ذهابى لأوروبا يعبرنى .. هلأت لى تسعين أوروبا  
ومدة أمريكا .. وأطلقنى عليهم .. سأجعلهم يتكلمون بلسان  
عربى .. صدقنى .. أنا لانهنى شئ .. لست مثلكم تعودت على  
الكلام المهدب ، وحركات السوان ، أنا جدع .. وأعصك .. انبسم  
لك أنى تو نحتت من مشروعاتى سأشترى بيتا من سويسرا وأقيم  
مسجدا فى نفس البلدة التى أشترى فيها البيت ..

ومضك طلعت محدة ضحكة عالية .. وسأل يونس :

— هل اقتنعت .. ؟

فقال يوسى بدوره

— لماذا ؟

قال طلعت وعشاء تعصان بحرية

— أن تروحن شققك

فلنقسم يوسى .. بحرا .. لا يدري كيف يجاريه من هذا  
لهزار ، ومد دأخته سكوك معدة أو غامضة أن طبع ليس  
هناك ملها . وأنه لم يطلب رؤيته لمصالحته كما يزعم .. بل  
مد يتهنى الأمر لى أنه لحظه لى ن يهاجمه وقد فكر لى الاعتداء  
عليه .. وسب عائته .. واتنص قلب يوسى .. أنه يواحه من  
كل حركة يخطوها أحبال النساء من نوع عرب لها .. ورأى  
طلعت بنسجم فى حب وبند بد وبند بد يبنى من نفسه ،  
وبعصر أصابعه ويقول :

— هذه حمية اقتديا لكم .

همس يوسى يريد أن يلغشى قصته .

— أنت حقا محبيب لى هراك ..

قال طلعت

— ومجبون .. وابن كلب .. هل صدقتنى ..

واكمل بلهجة حادة

— لبتك تفهمنى يا يوسى .. أنا ولد جدع .. أريد أن أحم  
ملطول .. وأحيا بالعرض .. لا أريد أن أعيش من قصص مثل  
أميك .. ولا أريد أن أعنى كذا أو كان ما أمك جاسى مضربة  
حظ .. فارتعد ليل يهز جسده ن يذهب ب حاء مضربة حظ  
مضادة .. بصراحة أنا مفسى مضوكة ولا يفهمى أبوك ولا أبوا ..  
وسكت طلعت يبحث من كلية تاهت منه .. ولكنه عدل عن  
المحك ، وسأل يوسى وهو ينظر اليه فاحصا :

— لماذا لم تتزوج يا يونس ؟

اجلب يونس :

— لم انكر ..

فقال طلعت :

— غريبة .. الا تشفى .. الا ترقب .. انك بغير امراد

تصبح لا شيء .. الا لتخيل امرأة تعجبك .. تشتهيها ..  
تفتصبها ..

قال يونس :

— صدقنى .. لست هكذا ..

فقال طلعت بصوت قوى واثق :

— أنت كاذب .. الا اذا كنت شادا ..

وضحك طلعت وهو يسأله :

— هل أنت شاذ .. ؟

قال يونس بارتباك :

— لا ..

سأله طلعت فى دهشة :

— ألن ماذا بك .. أتريد أن يلحسك طيب .. ؟

قال يونس مقاوما ارتباكك بلهجة يعلب عليها الانفعال :

— كل ما فى الأمر أن تربيتى مختلفة ..

ينظر اليه طلعت فى ضيق .. وردد باحتقار بريد اظهاره

بعد أن سمع أحالة لا يتوقعها . أحالة لا يستريح اليها ..

— تربية مختلفة .. تربية شواد .. تربية نسوان ..

قال يونس يدافع من نفسه ، وهو يعلم أنه يستغزىه ، ولكن

ماحبلته ؟

— أن زوجتك الجديدة .. سوف تربى أولادك فى أحسن

الأحوال مثل تربيتى ..

نظر انه طلعت مدهولا .. وحقق فيه ، كما لو كان يفكر

فى عقله ، وقد تشعبت عضلات وجهه . ثم استرجت أساريره ،  
وانتفشع التجهه الذى بدا عليه ، واتسعت ابتسامته وقال فى  
مرح خلجى :

— صدقت .. يا ابن الكلب ..

قال يونس :

— مستر كلارك .. يرى أنك أخطأت .. وكان يفصل أن

تواصل حياتك مع زوجتك أم البنت ..

قال طلعت محتظا ببرحه .. لا يشعر بأى هرج :

— لا ياسيدى .. لا .. هى التى هاجمتنى .. وأرادت

أن تضغننى .. ألم تأت اليك فى المصدق ؟

هجم يونس :

— كانت تدافع من بيتها .. عن ابنتها ..

قال طلعت بضيق :

— غريبة ..

— لردف وهو ييشم ابتسامه مصطنعة ..

— لن نخل أنفسنا بها ..

وضايقه أن يرى الاهتمام فى وجه يونس ، خيل اليه أن  
يونس يصطنع هذا الاهتمام ببطلته وابنته متميدا انماظته متميدا  
أن يأخذ موقف المعارض مصرا على أن يكون دائما على التقبص  
منه .. لقد ترك غاطية وطلقها .. فأصبحت محل اهتمام يونس ..

ورفع طلعت صوته متحديا :

— لا أفرى لماذا تحشر نفسك فى هذه المسائل ..

قال يونس :

— أنا لم أحشر بنسى .. حاولت فقط أن أبرر أو أشرح

سبب مجيئها لمررتى فى الفندق .

نظر اليه طلعت متبظا .. لابد أن يرد عليه .. ولكن يونس

أدهشه بقوله :

— اك فلق يا طلعت ..

مسأله طلعت

— ماذا تعنى ؟

قال يونس :

— سيد الحتر .. احشى ان بضايقها ..

تشحب وجه طمب وسال بالفعال مكنوم

— ماذا فعل .. هل فعل شيئا .. ؟

قال يونس محتفظا بهدونه ، رغم انه يتحدث عن قلته

ومحاوله :

— انه يتحدث عنها بطريقة لا تمجنى .

اسال طلعت بلهفة :

— ماذا قال ؟

قال يونس :

— لا شيء مهم ..

بصاقت حين طلعت وقال :

— لا تصمى على شيك .. اعرف انه وفد .

قال يونس :

— انها الشبانة التى يطهرها .

حذق طلعت ايامه لحظة .. يرى شيئا لا يرغب فى رؤيته .  
وعاد ينكم كما لو كان يخاطب نفسه — اسمى سيدهب الى سب  
حدها .. لاند من هذا اما ايها ماش وحده يعلم ماذا ستفعل ..  
نى لا استطيع ان اضع تصرماتها .. ولكن ما شأنى بها الآن كل  
ما يهينى هو لست .. بها ان بانى ايها الى ست ابنى .. وتعشى  
فيه .. وهذا اذا كانت عاقلة .. او تترك الست وتذهب الى حيث  
تريد ..

هيس يونس مى تأثر واصح :

— لماذا يا طلعت .. ؟

فماذا طلعت بقول مباح مكنوم حتى لا يسمع اناس من هوله  
ما يقوله :

— تصالنى عن اى شيء .. اليس من حقى ان اطلق .. وان

التزوج ؟

وصوب الى يونس نظرات حائقة ومسأله :

— هل كنت تمكر فى الرواح من واحد مثل ماطية ؟ ..

امثلا تعاملوتهن كحاضيات سرير .. تأخذون متعتكم بلا ارتباط و

مسئولية .. اما انا فتحملت مسؤولية رغباتى .. ولا تحدعى وتقول

انك بلا رغبات .. انت مى الحقيقة اسان عاخر .. انت تتحاهن

رغباتك لانك عاخر عن تحقيق ما تريد لقد جاء وقت كنت تستطيع

فيه ان تعمل بفاعلية ما اشاء .. نور ان اتحمل اى شيء والان

اريد ان اعيش حياتى .. ونحن مسعدون ، ابنى مسعد لايوائها

.. للاتفاق عليها ..

قال يونس قبل ان يكمل :

— انت تفسد حياتك .. مانت تترك ما هو لك .. وتريد

الهرب من هذا البلد .. مع انت الذى تستطيع ان يبقى .. انت

الذى يمرغه الناس .. ويعرمون كيف يتعاملون معه .. انت ابن

البلد ..

قال طلعت ساحرا :

— لا ياسيد .. انا فى بطركم اس كلب .. ولكنى مانت

لكم واحدا واحدا انكم انتم الكلاب ..

مسأله يونس فى دهشة :

— تثبت لمن .. من الذين تريد ان تفت لهم .. من نحن

الذين نتحدث عنهم ؟

قال طلعت وهو ينظر اليه شخرا :

— انت وامثالك .

فقال يونس مدحا دهشته :

— هل تكرهنى يا طلعت ؟

نقال طلعت بسرعة :

— لا .. لا أكرهك .. ولكنى أحقر أمثالك ..

نهض يونس قائلا :

— لا معنى لبقائى ..

فابتدت إليه يد طلعت .. وامسكت به من كفه بقوة .

وجدته الى متمدده قائلا .

— أقعد .. يعنى أقعد ..

كان صوته هادرا وعبيده تطلقان بطرات مرمحة ، ومع ذلك مايتساقطن السحابة لا تفرق شفتيه ، كأنه بهزل ، وتدمعت الكليات من شفتيه ، واسخريه تنوارى شيئا مشينا ، فتحل مكانها نيره عصبية ليس فيها تلك بثقة التى يطهرها لى مثل هذه اللحظات . واستمع يونس إليه ، وهو يتحدث عن زوجته الجديدة .

— هل نظن انى أتركك قبل أن ترى زوجتى .. وتعرف عليها .. انها من نفس الطينة التى ولدت أنت بنها .. بل هى من طينة أحسن .. لأن حدها كان من البلاء .. بينما سمعت أن جدك كان يظاهر لى المواشى المسروقة ..

قاطعه يونس :

— جدى كان فى القضاء ..

قال طلعت هائلا :

— أعنى جدك الكبير .. هذه حقيقة معروفة ..

فتح يونس فيه ليتكلم .. فصارع طلعت بينهم .

— لا تقل شيئا .. مائل نصابون .. واجدادهم من نفس العينة .. اليس جد الأسرة المالكة التى تنفى اليها زوجتى .

نحاحى .. أنتم الذين تالعون من المظاهر .. والفشر .. وادعاء انكم من أصل ولعل ولو سألتنى لماذا اخبرت زوجتى ؟ .. فالاجابة سهلة .. اخترتها لأنى معها أنا دائما فوق وهى تحت .. هى الجارية

التي قبلت أن تتزوجنى .. وهى على استعداد لأن تلعق خدائى من أجل تقودى .. وسوف تنقى روجة لى حتى ارفع منها .. وعبدت أمثالك .. أو احتفظ بها .. وقد أتزوج أختها .. مرسية أو لملوية شسقراء ..

ومجأة دق مكفه على المائدة ، حتى كاد بقلب كوب ماء أمامه وقال :

— ألم بك أختك أفضل .. يا ابن الكلب .

قال يونس مفرحا :

— حقا .. أنت مجنون

نقال طلعت :

— لا .. لست مجنونا .. ولكن أذكر هذه اللحظة .. أذكر

أنى قلت لك .. انه سيأتى يوم وأحصل فيه على شفتيتك .

قال يونس متفجرا :

— أنت مجنون — وباهر .. وماقبتك لن تكون سليمة ..

فلاذنيا ليست كما تصور ..

قاطعه طلعت محتدا :

— بل هى هكذا .. وأكثر من هكذا .. وإن أكون عاجرا

خير ألف مرة من أن أكون مكينا عاجرا .. مضطحا مثلك .

همس يونس وهو ينهض ..

— اتق رمك .. ولن أصبح لك ..

فزحزح طلعت وقد وقف بينهم من الحركة ..

— تسمح لى ! وهل أمثالك قدسرون على السماح بشيء ..

وموحي يونس بانتماية ترسم على وجه طلعت ، وهو يهمس له كما لو ان الحديث الذى بينهما ، كان حديث مودة وصداقة ..

— هاهى .. قادمة ..

والح طلعت هليسا :

— هنا قل ما رايت فيها .. وعاد بلح وهو يلكر يونس ..  
— قل سرمة .. ما رايتك .. ؟

ويكن يونس لم يمنح فيه بكلمه .. وهو يرى تلك المراء  
القديمة ، الملوحة ، المراكشة ، وجهها حاد القسـمـيت ، وجه  
شركسي فيه جموح لو جنون شعرها أصفر ، وجه حبل طويل  
كوجه نرس ، لها عيـنـن واسعتان ، فيروزتان ، لها جاديسه  
بارده حاديه المرمر والرحام . حل يونس أن مثل هاتين العيـنـين  
يصعب عليهما أن تـربـنـن تحت حـارـح صاحبهما ، كـتـ صـابـمه ،  
نـطـراتـها المـلـقـه ، نـعـوصـن مـن اـعـنـاتـهـن ، عـنـدما اقـتـربـت هـب مـع  
مـقـدـمـها عـطـر مـسـد ، حـرـيـف ، وـنـظـرت مـعـداً وـيـوسـن يـهـمـس بـكـلمات  
مـجـالـمـة وـتـهـنـئـة ، وـلم تـسـمـح لـه أن يـتـكـم كـثـيـر ، مـقـد التـفـت مـن سـام  
الـى طـلـعت ، وـقـالـت بـصـوت عـر مـسـمـوع كـلمات لـم تـتـبـيـها يـوسـن  
وـنـظـر طـلـعت الـى يـونـس مـعـتـدراً ، وـقـال بـصـوت خـشـن :

— نحن مضطران الى ان نتركك الآن يا يونس

وـم تـنـمـر المـراة هـديـث طـلـعت ، وـلم تـهـنـم مـنـجـبة يـونـس ،  
تـحـركـت الـى حـارـح بـكـافـيـرنا ، مـنـصـمـها يـوسـن سـطـرت حـادـة .  
لا مـصـحـع عـن شـيء ، بـيـنـها اـرتـك طـلـعت ، وـهـب بـسـادى لـحـرـسـور  
وـاسـرـع بـحـرـج بـقـوداً مـن حـسـه ، مـسـطـط مـعـصـها عـلى اـرـمـس مـد يـده  
سـتـطـلـها ، وـلا حـد مـوسـى أن عـى حـسـن طـلـعت عـرـقا حـيـب .. وـتـأـلـه  
وـهو يـقـدـم مـالـقـود لـحـرـسـور ، وـهو مـقـور مـن مـرـه ، مـسـكـين طـلـعت ،  
كـان يـرـيد أن مـقـول لـى هـده بـرـوحـه اـلـحـديـدة مـلك مـده ، وـانـه مـحـرد  
مـناـع مـسـمـع مـه ، وـحـارـمـة حـاضـمة لـه وـلـكن هـذا غـيـر مـصـحـح مـالـرة  
لـمـد كـان مـحـدـع مـسـه ، لـأنـه وـاضـح اـنـها الـتى تـأـمر ، وـتـتـهـرك مـن  
ثـقـة ، وـاضـح أن طـلـعت لا يـمـلك اـمـامـها الا الـانـصـبـاع .

كـان طـلـعت مـهـس لـآن وـقد مـعـبرـت لـحـمـه تـيـاماً ، بـكـاد يـوسـل  
الـسـه ..

— هـه .. ما رايتك ؟

قال يونس مـن مـرود  
— لا اعرف ..

— سـالـه وـهو يـحـدـثـه مـن يـده .  
— لا تـكن مـخـيـفاً .. الـسـت جـمـيـلـة .  
قال يونس :

— نـعـم ..  
سـالـه بـلـهـفـة اكـبـر :

— بـنـت قـوات حـقـيـقـة .  
قال يونس وـهو يـكـتم خـشـكـه  
— نـعـم ..

قال طـلـعت بـزـهو  
— لا تـسـتـطـيع أن تـكـر هـذا ..  
قال يونس مـسـتـسـلـما :

— بـكـل تـاكـيـد .  
قال طـلـعت وـهو يـكـامـح لـاسـتـعـادـة وـقـاحـته :

— وـأـجـل مـن أـضـك ..  
قال يونس بـاسـما :

— طـيـباً ..  
فـخـربـه طـلـعت عـلى كـتـفـه مـن مـرح .. وـقـال ،  
— مـلـحـون اـبـوـها — كـلـها اـيـام وـسـوف تـرى مـاذا انا صـانـع  
مـهـما ..

ثم اـرتـفـط بـلـهـجـة عـمـلـية :  
— آسـف مـا يـونـس .. كـنت اـسـمـى أن اقـصـى مـعـك وـقـتاً أطـول  
.. وـلـكن اـنت تـعـلم .. ثم السـفر غـداً ..  
وـهـجـم طـلـعت عـلى يـوسـن يـعـالـقه . وـبـصـط عـلى مـصـدـره  
بـشـوق وـحـرارة .. وـهو يـرـدـد .  
— أـريد أن اـكـون صـديـقا لك .. حـقا هـذا هـو مـا أـريدـه ..



واعمر لي حياتي .. ولا تعصب بما ظنته .. وانت لن تفهمي  
 حتى تتزوج ..

ثم هزه بكتا بديه ، وأدرف :

ـ هل تريد أن أبحث لك عن عروسة يا ابن الكلب .. ؟  
 وانطلق بحري .. ناركا يونس بنظر اليه ، وهو يحثني من  
 باب الكاثتيريا وشيء من العساطمة أو ريبا المهم ، أو ريب  
 الاحلس بنوع غريب من اللفة .. لها مذاقها الخاص ، يتسلل  
 اليه ..

كان من الصعب أن يسي يونس تلك اللحظات التي تصاهر  
 مع طلعت ، وهذا الحديث المعلوم بها فيه من مشاحسات ومصادبات  
 ومصارحات وشتائم وعواطف صداقة ومهجة .

في الصباح ، جاء سيد العتر الى الفندق ، يحمل معه  
 خطاب مغلقا ، كتبه طلعت ليونس ، وأوصى سيد بأن يحمله اليه .  
 وفتح يونس الخطاب وقرا ..

أخي وحبيبي يونس

تحياتي وأشواني . أنت على حق . أنت محاسن تشعلى  
 واحشني ألا ترضي أمها بالذهاب الى بيت أبي . مكنت طوال  
 الليل ، فلم أجد غيرك ألجا اليه - أرجو أن ترسل من البيت ،  
 وتحاول اقناع أمها بالذهاب الى بيت أبي . لا تهمل هذا الموضوع  
 أرجوك . لأن أحدا غيرك لن يهتم بما يحدث . حتى أنا .. لأنني  
 أب غاشل ومحنون وقاهر كما تقول . ولا أعرف غيرك بسطيع  
 التصرف بما أمهده فبك من شهامة وجدعة يا يونس يا ابن  
 الاصول . أما سيد العتر مراقبه وإذا لعب بطله ماطلب من أبيك  
 أن يقض عليه ، أو يهدده . فهو جبان ولثيم .. سأرسل لك  
 مفواني وتستطيع أن ترسل لي أي أحبار عن طريق مكتب الحاج .  
 سلامي وشلاتي أخوك طلعت .

## الفصل العاشر

جاء يزورها سيد العتر . ثعبان يتلوي ، ينفث  
 عواطفه أو سبوه ، يصور لها البحر الهائج  
 العاصف بحرا من العسل والطحينة ، يتحدث عن  
 طلائها كمعجزة خلاص ، ونواب سعد تفتحت .

قال لها أن منيرة تسأل عنها تريد أن تزورها ، لمند علبت  
 بطلائها ولا يحمس لها جلن ، لأنها تريد أن تطئن على أحوال أبة  
 زكريا ، قالت لسيد أن لطيفة وحشة ، وهي تريد أن تلقاها ، لأنها  
 لن تتخلى منها ، وهي تسأل إذا كانت الظروف تسمح بحضورها ،  
 لأنها تعلم أن هناك مشاكل خاصة باللفة ، وبعضية البنت ،  
 وهي لا تريد أن يكون حضورها مسا في أية مشكلة يثيرها الحاج  
 مرسى وأبيه .

استبعت فاطمة الى سيد ، لمحات منه ، وهانت من كلامه ،  
 وخافت أن تظهر له حولها ، لأنها واثقة أنه ينتظر لحظة ضعف  
 ليهاجم ويلدغها . كانت كليات سيد تحاصرهم ونظراته تحوم حولها ،  
 ومنيرة هناك يترصد شبحها بها من وراء سيد ، أنها تعرف ماذا  
 يريد ، وماذا تريد منيرة ، وكلاهما شرير ، لن يتردد في ارتكاب  
 أي شيء ، ولن ينزع في الاقدام على أي شيء ، وسوف تدافع  
 عن نفسها ، وهي تعلم أنه لن يكون دفاعا سهلا ، وربما اضطرت  
 إلى قتل سيد ، أو ربما ضحكت بروحها ، ولأنه أن مدافع عن  
 محاسن ، ولن يمسها سوء ، ولن يخطئها سيد ، ولها رب اسمه  
 الكريم ، لاند أن يقدحها من هذه الشرور ، ورغم كآبة الواقع

وشاعة ما تراه يحقق بها ، ويصيق من حلقات الحصار حولها ، إلا أن شعورا قويا في أعينها يحدثها أن الدنيا فيها خير ، وأن كانت لا ينجس من ابن يائى ، وهى واثقة أن الذى يهب لها ولاستها الحياء حتى هذه اللحظات ، لن يحرما من أبل ومن رحمة ، ولن يسح بسيرة أن تستولى عليها ، ومن يسمح لطلعت أو أبيه أن يحرما من انقلها .

كانت سيد العتر مازال يحدثها عن منيرة ، وكفى أنها وعدت بأن تكفل بكل شيء لترعى أمة ركريا وحيدته . متذكرت آخر لقاء مع منيرة ، عذبة جاءت لتعريها فى وماء والفتها . وكان لقاء محيرا ، لأن شقيقة أمها كانت لا تحب منيرة ، ولأن منيرة كانت تعلم ما كان يسلطها به لسان شقيقة ، فقد كانت شتاتها وهبختها ولعناتها مسموعة من الحارة ، ويتناقلها الحى ..

فلماذا تجرات منيرة وجاءت ، أتريد أن تنشلى فى وفاة غريبتها ، أم هى تؤدى واجب لاند منه هو أمة ركريا ، أو هى تنسى عن نفسها الاتهام الملقى بأنها كانت السبب فى موت ركريا . أو لعلها مصلوكة تريد أن ترى أبيت مدى تعثر منه عاطفة ، وتحسد المر الذى تنتمى به ، وتحسد الطيلة الصغيرة التى ولدتها . أنها جاءت لواء من هذه الأسباب ، أو من أجلها كلها ، ولكن من المستحيل أن تكون قد جاءت لأنها حرة فعلا على وفاة شقيقة . وهى بالمثل لن تحىء اليوم وهى حرة لطلاق عاطفة ، بل هى سعيدة ، وتريد أن تستعطفها . سوف مطلب منها أن ترقص لتطوف بالأمراح ومعها الرافضة أم البنت عذبة الحاج مرسى ، وائنة طلعت . ولتقتنى من وراء ذلك المريد من أساور الذهب التى أحاطت بدرعها المسنن عندما جاءت تعريها ، محطت أنصار المهربات اللاتى سمعن عنها وتنفس أحبارها .. وحطت بينهن كتلة من اللحم موقها طبات من حلقات المسح ، وكرات صخه على صدرها ويظنها وعجزها ومحبها ، تدخن السجارة ، وتلو

السجارة ، وتبادل اللبسات نصرات صريحة حربية . ومع ذلك تأثرت رؤسها عندما زارتها تلك المرة ، ! لأنها فكرتها بأنها ، فيها كلن ، كلاهما ارتبط بالآخر ، وعلاقة أيتها منيرة كانت أقوى من علاقته بأبها فى سمواته الأخيرة . وبعد تكون منيرة هى النهاية والمصير الذى لاند منه آخر الأمر . ولكنه مصير تفكر فيه ، فها كما تفكر فى الموت ، مصير يداها ، يفرض نفسه عليها ، فادا فعل ، كان معنى ذلك أن حياها انتهت ولم يعد لها وجود . أنها لن توافق على رؤية منيرة ، ولحمها ألى تعرضها عليها ، معها أن تنظمها ، أن تحمصها بكل ما تريد أن تشدها ألى هوىه ، منيرة وحدها التى تعرف قرارها .

قاومت فاطمة أن تصرخ فى سيد ، وأن تطرده من البيت ، لو فعلت سوف تستمره ، ويمنح له باب الهجوم والعدوان على مصرعته . انتمى لا يسرع بالهجوم لا اذا شعر بالخطر يحدق به ، وبها عدا ذلك هو يحرك نحو هدنة فى كسل لا يخلو من شعوره بالثورة . وبعد هو يمسر الارباع الذى بكسو وجه سيد ، لاند أنه يقول لنفسه أنها راضية ، وأنها طين ، وسوف تستسلم ، ولاند أنه سأل نفسه فى هذه اللحظة إذا كان لوقت معاسيا ليد بده ، ألى صدرها ، أو لعله بهجم عليها ناديا بمحاولة استعداده محاولات أمضى . بين أصابعه وحسدها ثلاثة أشهر ، لعله بطن أنه يستطيع أن يقطعها فى ثوان .. وكفى سببت به أن ما بين أصابعه وحسدها سموات وسنواب ، وسوف تصرخ ، وسوف تحرى ألى المطبخ ، وتبكي بالسكن ، ومن سرده ، ولن يهبها إذا ما قنقه أو أسرع يهب السكين وقتلها ، لأنها لن تنوم عن مهاجمة ، لن تفكر إلا فى تدميره ، ستكون فى أمة حركة منه ، مهاجمة أو مهالته . أما كلامه على حرك ، فليتكلم كما يشاء ، وليكلم كما يشاء ، ولو لبعض الوقت .. معنى تشتري أياها أو ساعات أو ربما لحظات .. قبل أن تقع الواقعة ، ويهجم هذا

الثعلبان . هاهو يسألها متى تذهب معه الى منيرة . منذ برهة كان يسألها متى تزورها منيرة . كيف الخلاص منه . أمكن ان يجد الخلاص . اتهرب وترك هذا البلد ، ولكن الى أين ، أنها لا تعرف سوى الاسسكندرية ، ولن تطبق الحياة بعيدة عنها ، كان ابوها يطمش ويعيب ان يوه . وكان معنى ، وكان أحيانا يرتدى الطربوش الأحمر الذى يقول ان الناس كانت ترتديه ايام رمان . ويهشى متبايلا متحايلا ، فيردد الدين يروونه كلمات أعجاب .. فهو نحف وهو ورد وهو السطه وهو ملكة ، ولكنها لا تستطيع ان تطمش وتتوه مثله . ولا تستطيع ان تهرب وحدها كما كان يفعل أبوها .. لابد ان تأخذ معها محاسن أنها ذهبت . تحبها على كنفها وتذهب ، ولكن الى أين .. اتذهب لنخدم فى بيوت الناس ، مستحيل ، وهى لن تعمل بيت الحاج مرسى ، لأنها تعلم عن يقين أنهم سيعاملونها كخادمة ، كما كانوا يعاملون فى الماضى .. يتصددقون عليها ويسمحون لها بان تنكس لهم البيت . لن تواجه هذا الفل ، لن تستسلم لهذه الهزيمة ، لن تترك عيونهم تفرسها وهى ذليلة ، يتفرخون على من كانت روجة ابنة الحاج ، مطلثة حاسية ، لا حياة لها ، الا بالشفقة والاحسان .

قالت لسيد ، ان يحضر منيرة ، أنها على حق اذ تسأل جميل زيارتها ، لأن الحاج يريد ان يأخذ استنها ، وهى لا تريد ان تعد مررا ليسلب الحصانة منها ، أو يحرمها من النفقة ، لا تريد ان يقول . ان من حقه ان يأخذ محاسن ، لأن منيرة أحدث غاطية . أنها لن تقابل أحدا ، ولن تخرج من البيت ، حتى نحد مخرجها لهذه المشكلة ، وأدرك سيد العنبر على الفور أنها كانت تحذره عندما تطاهر باللين والاستسلام ، أو لعله تسرع فى استمناجه . ولاحظت عليه وحوما مباحا . وكفى عن ثرثرته ، ولأنه ثعلبان له حاسة خاصة مثل كل الثعابين ، لابد أنه أدرك ان عليه ان يستظر ، وأنها ليست مهابة بعد للرصوح . فأغفل ما يفكر فيه ولم يمد يده ، ولم

طلبها أصلا . وانصرف بعد ان قال أنه سيعود . وكانت واثقة أنه سيعود ومعه منيرة . رغم أنها راوعته ، رغم أنها قالت له أنها ليست فى حاجة الى بقود . وأنها لا تريد ان يرهق منيرة بأى طلب .

سيعب سيد بعض الوقت ، حتى تشعر بالوحدة ، وعندما تحتاج الى أنس ، وعندما يصعد الحسان ، وعندما تصعل من المشورة ، وعندما لا تجد أحدا تكلمه ، وعندما يتلصق وصول البنت ، وعندما بجوع جسدها وعندما تزداد محاولتها وتتسع شكوكها .. عندها سيعود ، ويملأه حومه .

وعندما سمعت جرس الباب يدق ، عصر ذلك اليوم ، دق قلبها ، وأبقت ان ساعة الامتحان قد دنت ، هاهو سيد او منيرة او كلاهما ، فقد مضى حوالى أسبوع منذ اختفى سيد . ذهبت الى الباب ، وهى ترى بقبالها مكان انسكين فى المصح ، وهى تتوقع المصائب ، وتتوقع أنها ستكون فى حاجة الى كل لحظة فى ذلك الصراع الوشيك لدى ستواجهه ، صراعا بين الحياة او الموت ..

ومضت الباب ، لتحد أمامها آخر من كانت تتصور رؤيته ، كان أمامها بونس عبد المصيد صفوت ، ابن النائب العام . كان يقف شاحب الوجه ، معتبرا وجلا ، يقدم رجلا ويتأخر خطوتين . ولم تكن أقل منه ارتباكاً ، ومع ذلك كانت أقدر منه على ان تلغى بكلمات ترحيب لاند منها .. أهلا بك ، تفصل .. كلمات محايلة تتطير فى الهواء ، كلمات يكتنفها الغموض ، فتحسب شئ لا تعرف كفه ، تداعب أملا لا تدري ما هو ، وبكفه موحود فى رأسها ، وفى صدرها ، أمل موحود بكل تأكيد ، لأنه يصعق على أناسها .. أمل ينقطع بأنه متصل بطلعت .. حاد ليقول لها ان طلعت سيعود ، لا شك أنه يحمل أنباء من طلعت ، والا لماذا يحىء مثله الى هذا البيت . كان يتحدث بصوت عصبى يوشك ان يخرط فى بكاء .

ما الذي يقوله ، انه يسألها اذا كانت تريد شيئا . وسألها عن  
 ابتها ، لماذا يسأل ، ما الذي يريده ما الذي يدبره ، هاهو يفكر  
 طلعت ، يقول ان طلعت هو الذي طلب منه الحى قبل ان يسافر  
 الى الخارج ، سألته وهى تحاول ان تريح هذا الشئ الذى يصعب  
 على صدره ، متى يعود ، احب لا أعلم . يتحدث عن طلب  
 آخر غير الذى تعرفه . يتحدث على طلعت الذى أراد ان يروح  
 شقيقته . طلعت الذى يطلب منك أنت ان تسأل عن ابنه وكانت  
 قريبة . طلعت ابى تعرفه هى ، شخص آخر ، يرتبط بها منذ  
 زمن بعيد ، كان يعيش معها فى حارة ، وكان أبوه أسطى ، وكان  
 يعرف كيف يعامل الناس ، وكان يحترم أباه . ويثق عليه ،  
 ويحفظ الود ، يرمى الجيرة .

لم تعد نهم ما يقوله يونس ، لعل لا تسمح حيدا ، ولعلها  
 ترفض ان تسمع ، ولعل الأصوات التى تتدافع من رأسها  
 تشعلها عن سماع ما يقوله .. ولأنها بالتأكيد كانت مصممة على ان  
 تسمع النبا الوحيد الذى ترضى أن تسمع ، وهو ان طلعت  
 سيعود ، وهو مانم ، وهو على شوق أكثر من ان يقاومه ، أما  
 عبر ذلك من كلام فلا أهمية له . وهذا الرجل الذى أحبطته على  
 مقعد ، يتحدث بكلمات لا معنى لها ، بحرف ، بهدى ، وهى على  
 أية حال وثقة انها لو أرهقت نفسها لنهم شيئا مما يقوله ،  
 لتكتشف انه يكذب ، وبخدع ، وأنه أكثر شرا ولؤما من سيد العتر  
 ومن ميرة ، ومن كل أوثك الدس احتطموا معها طلعت ، وماركوا  
 خاسه بها . ان هذا الرجل جاء ليقول لها ان طلعت قد انضم اليها ،  
 أصبح واحدا منا ، وأنه لا يريد ان يتعامل معك الا عن طريقنا .

ولكن صوت يونس فرض نفسه وهو يقول متفعلا :

— سأكون محانتك . لن اتحلى عنت .. وسأساعدك فى أى  
 شئ تطلبين .

كيف يساعدها ، وهى تريد ان تدافع عن نفسها ضده ،  
 وصد أمثاله .

انه قادم من العالم الذى استطع طلعت ، ذلك العالم الآخر  
 الطريق الذى يسير فيه الناس ملا معودون ، أبى قدرة على السيد  
 العتر ، قادره على ميرة ، لأنها منهم ما يقويوه ، يدرك ما يدور  
 فى روعهم ، تعرف أمكارهم وحلجانهم ، ويكاد تتسأ كل ما يقويوه  
 خطوة خطوة . أما عدا لوعده ، فهو سكرم بلعته العريسة ، من طرف  
 لفته . متعلبا ، كلامه يهبط عنده من مكان بعيد ، وبعد ذلك ،  
 يريد ان يساعدها ، يريد ان يفتح وأن يعطى ، يريد ان يسلط ،  
 ان يتحصر ، ان يصيح من نفسه بها . ماذا تقول له ، انطب عليه  
 الا يتدخل . انصارحه أن سونه ، مجرد صوته ، يبعده عن طلعت .  
 يؤكد لها ان سدودا يقوم بينهما . النعمة عليه ، قبل أن تأتي كانت  
 ملتزلا تحلم من تحدث معجزة ، كانت تتوقع خير يأتي . كانت  
 جاتزال تثق من ان شيئا ما سوف يحدث ، مسرح هذه نعمة . انها  
 ترضى بطلعت لو عاد . ترضى به راحة ثانية ، أو جـاربه ،  
 ترضى به حلابة ، ترضى به نأى وصنع يشاء . ولكن هذا لرجل  
 لن يكون أبدا الوسيط الذى يحقق لها شيئا مما ترضاه .

لاند ان يونس أدرك أنها خائفة ، لا تثق فيه ، ولابد أنه  
 شعر بأن حديثه معها لا يحد قنولا من خاسها ، وأبى نصيبه بصبر  
 وتحفظ ، والحقا ليس خطأها ، أنها العيب فيه ، وهذا المحيط  
 من جانبها يردد من احساسه بالذنب ، يؤكد على ما فيه من ألم .  
 قال لها :

— اذا كنت فى حاجة الى نقود .. أى خدمة بلهنت ..  
 أرجوك .

وتوقف عن الكلام لاهنا .. وهى ترتبه بدهشة . ثم تهديج  
 صوته قائلا :

— أرجوك .. ساعدنى ..

وتلفت حوله فى تأثر :

— هل أستطيع ان أرى محاسنك ؟

قالت له في توجس :

— نائمة ..

قال معنفرا :

— آسف ..

وقال بكل ما يمكنه من صدق ، وكان نوق ذلك بنالم :

— كنت أتمنى أن أراها ..

انه بلع ، وهو الآن أكثر تحررا ، وأقل ارتياكا .. والاعمال  
الدى بلون صوته ، يمنحه قوة ، وقدرة على الانضاع ، وقد امتلك  
نفرا من الحرية ، جعله يشعر مع الألم ، بشعور حين بالاعجاب  
بنفسه ، شعور لم يعرفه من قبل .

ونهض ، وما كاد يقف ، حتى وثب قلب ماطية .. وارنطم  
فى صدرها ، وأوشكت أن تتشبث به . فجأة وجدت نفسها تريد  
أن تمسك به ، أن تجبره على البقاء . فجأة ، شعرت بالخوف من  
الوحدة التى ستعود إليها . روعها أن تراه يقف ، ونهبت كلمات  
الامتذار ، وكلمات الاستئذان فى الانصراف ، وهى تتحمر حتى  
لا تترك الفرصة تضيق فى غبار مشاعر الكراهية والصور التى  
نمائن بها نحو يونس ، وكل ما يمثله لها . لاشك انها محتاجة  
اليه ، وهى تريد حياة رجل قوى يصد عنها أخطارا تدرك من  
يقين انها مقبلة ، وليس بل سيوم سيد ومسرة ، لا سيوم يوس .  
هذا ضد داك ، ولناكل كل منهما الآخر ، ليس امامها الا أن تكون  
قوية صامدة امام الاثنين ، حتى يحترقا .

كانت تبحث الآن عن عيني سيد فى عيني يوس .. فلم  
تر غير شعاع غريب ، وحبل المبالاة للحظة أنها سبق وأن رأت  
هذا الشعاع من قبل ، ولكن أين .. لا تدري ..

كان واقفا ينتظر أن تتقدم الى الباب ، وكان يسأل نفسه ..  
هل تورط فى شيء ، أوجب أن يعتذر مرة أخرى ، هل أخطأ فى

محضه . وموخرى بها تقول له بصوت رحيم حنون ، لاشك انها لم  
تحدث به من قبل ، وكأنه يسمعها لأول مرة ، وكانت تقول :

— محاسن فى حاجة الى من يسأل عنها

قال لها وقد حسم أمره ، كأنها أتقنه من بحر صلب :

سأزورها عنفا أعود من أماركو .

لمسألته وكأنها تعلمته :

— ومتى تعود ؟

وقبل أن يجيب . قالت ، لأنها كانت تعلم مواعيد الإجازات :

— ستأتى بعد ثلاثة أسابيع .

أدرك من صوته أن هناك شيئا يلقها .

قال لها باهتمام :

— ماذا .. هل هناك شيء ؟

همست :

— لا شيء ..

فجأة وجد نفسه يقول لها :

— هل مضابتك سيد العنتر ؟

ما كاد يذكر الاسم ، حتى وثب قلبها دهشة ، ووجدت نفسها  
تقول بشجاعة وكان ذكره لاسم سيد العنتر قد بدد سحره ، وأبطل  
معمول أعماله الشريرة :

— أنا قادرة على أن أوقفه عند هذه .

قال فى هدوء :

— أنا واثق من هذا .

مسألته :

— ولكن كيف عرفت ؟

أجاب فى ارتباك

— مجرد أحساس .

وامهارت على الرغم منها . نظرت اليه في طلع ، وامحرب  
في الكاء .  
وهمس :

— ماذا حدث .. كوني صريحة معي .

راصت الكاء .. انها تنكي لانها توشك ان تسيرج ،  
توشك ان تطمئن .. وسمعتة يقول :

— اعلم انك لا تثقين بي .. تعامليني كغريب .

نظرت اليه بين دموعها فرائه يتوسل اليها :

— جري .. لست شريرا .. أقسم لك ان الدنيا بخير .  
انحره !

اتعامله كبنى .. آدم .. كواحد من البشر .. كإنسان له قلب  
إنسان . تدخل عالم هذا الرجل اندي يتحدث بكل الطسه و لربه  
اتثق في هذا الوجه الوسيم الحرس . أشق في هذا الصمود  
الخبون الحربي . اتعامل مع صراف عسى لعفس حرس  
اتقبل .. اترضى .. أتصدق انه من الممكن ان يحمل كل هذه  
الأحزان من أحبا .. هذا الإنسان يقف حبه نائب عم وحكوه  
وسلطة . هذا هو ميموث من العلم اندي احتطف رجبها من سب .  
من العالم اندي فيه نساء ساحرات خسئات .. وهو بدعوها لان  
تدخله في التحرية .. وهي مبهارة ، تترلق في طريق نهده الدموع  
شهر من عسها ، محمل اندفاعها أكثر سهولة ونبوه وراحه  
وبعد لحظات سوف يصل الى النقطة التي تمتع بها معها منتكم .  
وعندئذ لن بعد عند كلمتين او ثلاث . سوف يحدث شرخ في حدار .  
وسوف ينهار سد ، وسوف تتدمق بها مشاعر ، وسوف يحدث  
اختلاط بين عالمها وعالمه ، وهي لا تدري ماذا يحدث بعد ذلك .

كان مازا لمح عليها ، ان يمنحه مرصه ، وأن يقول له عن  
متاعها ، ان مشركه في هومها . ان تعامله برفق ولا يحقر  
وجوده ، وتعلمه .

رمت رأسها ومن بين دموعها صوت اليه مظاهرات لوم ..  
أحرما ستى لديها من نظرب بلوم وانكرهه .

وسأله بحدة

— سول .. برود مساعدتي ؟

قال

نعم ..

— أنت بحدة اقل .

— اصبتك ؟

قال

— نعم ..

اخرقت براسها . كانت تسقط في دوامة بلا قرار ، وتدور  
وتفوس . وتدور وتغوص . وحاولت ان ترمع رأسها ، وهي عبر  
ولتة انها سيسمع ان ترمع لرأس ، مشنتى عيناها بعسبه ،  
لتواجه . سجده . محرم امرها وتتحصن به ، او لتثبت به .  
للتقل ان يحدعها او يحدعه هي ، او تحدع بسبها وتصدقته ..  
بغتت جهد فوق لطافة ، كانت هناك قوى رهبة غامضة داخلها ،  
فصارع . ونجمها من ان ترمع رأسها ، وان تراه .. كان مشوارا  
صما مرعق مصبا ، كيف حققته .. وقطعت رأسها ذلك الشوط  
السايع بين احماصه وارتفاعه . انها لا تدري ، ولكنها رمت  
الرأس في الهبة ، وواحت عيناها بمصبيها .. وقد احتفت الدموع ،  
أو لعنها حيث نحة ، وهامى تراه من جديد ، يكامل وعيها ويقتنها ،  
وهامى بكلم

— أستطيع ان تصينني ؟

مازال يقول .. نعم .. كل ما عده .. نعم ..

فالت مصرة .. تصحر أوامرها ، تطالب ، تبارس حقوقا ،  
تطلق بلا حدود :

— لا بد ان تحميني من سيد العثر .. انه يطاردني .



وحكت له . كل ما فعله سيد ، وكل ما تتوقع أن يفعله ،  
روى له ما كان لا يتصور أنها سترويه له ووجد نفسه وقد تحول  
إلى مسرح حرب ، بين مخاوف غامضة تهاجمها مخاوف واضحة .  
مخاوف واضحة ، كان أخطر ما فيها هو غموضها ، تتراجع أمام  
مخاوف أكثر واشتد ، ولكنها رغم وصوحها لا تثير في نفسه  
خوفا حقيقيا ، لأنه سيقف إلى جانبها ، مهما كن الأمر .

وسأله بعد أن استمع إلى حكايتهما :

— هل تستطيع أن تفعل شيئا ؟

قال بهدوء :

— أطمئنني ..

ثم أضاف :

— لن يضايك سيد بعد الآن .

نهضت ، كانت تريد أعداد طعام له .. لماذا لا يأكل .. ؟  
اعتذر .. لا يستطيع أن يقضى كل هذا الوقت معها .. الوقت  
سر ، وهي امرأة ، وصراحتها وتجاريتها ، وحكايتها تكشف عن  
أبوة ترفض نفسها ، ولا يستطيع أن يتعاملها ، وتذكر اللحظة ،  
طبعت وهو يسأله ساعرا .. ألا تشتهي .. ألا ترغب .. وتذكر  
طبعت وهو يتبهم بالمعز .. أو الشؤذ .

لم يستطيع أن يشرح لها ما بداخله .. ولكنها كانت أكثر حياء  
منه .. لأنها تصر :

— أبق .

وهي تراه يطر في ساعته ، فتردد :

— أنتظر .. سوف نستيقظ محاضن الآن . لا تتركها

وحيدة ..

إنها تتكلم بلا صايط ، كلماتها سرمدية حاسمة ، تتكلم وكأنها  
لا تريد أن تسمع ما تقوله . الكلمات تحتل بالأمسيات ، تختلط  
بالانفعالات ، وتخرج رغبا عنها ، ودون أن تفكر فيها ، أو

تتخونها وتترك مفراها ، أو تراجع ماذا يكون لها من رد فعل  
« هذا الرجل الذي يستمع إليها » .

كانت كلماتها تتصخم في صخرة ، وتنقل عليه بأحمال باهظة ،  
تقال بعصية .

— لابد أن أذهب .

وقالت بسرعة وبغير تفكير :

— طيب .

كانت أفضل الكلمات .. بعد أن واحبت وجوده كرجل ،  
وتوقعت أن يقدم على شيء .. وأن يحميها من سيد .. وهو  
على أي حال . ليس مثل أولاد البحارة ، وهو كرحس يبدو غريب ..  
ملردا ، غير مهم ، اهكد الرجل عندهم — أهدا هو السبب في  
أن مساهم ترضى بالرواح من طبعت .. هذا الرجل مربوط  
بمسلسل ، ولكنه يشعرها بالأطمئنان .. وليسوب تدخيه التحربة .  
ماذا لم يأت سيد العثر يطرق بابها ، يكون مد صدق فيما قال .

**:: شهر الليل :: ليلاس ::**

[www.lilias.com/vb3](http://www.lilias.com/vb3)

بينما يحفظ رقبته ويبدل محالا الى جانب .. وهو يثني ركبته اليمنى  
لو المسمى قنلا .. هكذا يراهم جميعا ، وسوما يرى نفس الشيء  
في يونس بعد قليل ، وبعد أن يقدم له الحرة المناسبة من الدل  
والمكنة .

## الفصل الحادي عشر

يحب صوت سيد من البلع وهو يسأل .  
— من شك بك ؟

ثم يحب يونس من لسوار . من يبيع ناسه وأخوه .  
من يبيع إلا من مكنه بطيخ ، كب يحب أن يتعامل مع هذا  
المحسرم .

رد يونس ما عونه من سرود .

— لا تعرب بها .. وكفى .

يردد سيد بسرعة

— اتسم لك .. ليس لي بها صلة .

ياشار يونس بيده وهمس :

— كفى .

كان يونس بدعوه ياشارته الى معادرة الصديق .. وهذا  
يتحرك سبطه نحو الداخل في اتجاه المصعد .

ولكن سيد لن يتركه .. صار خلفه خطوتين ، فلما رأى  
يونس يتوقف ، ويشير له ، سارع بقول من دلة :

— مبادتك لا تأخر بأي شيء .

قال يونس بسرعة .

— لا ..

مستم سيد وأحسن مראהه ، وقال :

— سعادتك لم تقل لي شيئا .

عنه يونس بدهشة :

— عن أي شيء ؟

سمعت انصالية يونس وقال :

استمع سيد العتر الى تهديد يونس بخوف  
حقيقي ، وراد من حومه انه لم يتوقع ان يخاطبه  
يونس بهذه اللهجة عن عاطمة . بل لم يتوقع أي  
ذكر لعاطمة ، وكان ينظر عندما طلبه يونس ،  
ان يعانقه في شراء السيارة ، فذهب اليه في  
الفندق وهو يتوقع ان يعود بحبوب دافئة ملبنة  
بالنقود ، فذهب الى عاطمة وهو على أنه  
استعداد ، ليظهر لها في أية لحظة أن معه من  
النقود مثل طلعت ، وأنه أحسن من طلعت الذي  
غدر بها كما غدر بسيد ..

كانت كلمات التهديد تخرج من فم يونس بصوت هادي ،  
واثق ، لو اقترب سيد من عاطمة ، أو حاول أن يمر شمرة من  
رأسها ، فلن تقوم له قائمة .

رأى سيد العتر ، السلطة ، والمنة الصبة ، من عنده  
يونس ، وصوته ، وسمه ، كأن السلطة جزء من شخصيته ،  
وكان لا يمر من أن يدع ، أن يستسلم ، أن يركع ، ويتوسل  
من هلع يحد استظاها به ، كما تعود أن يعمل لكل من تدنو عليه  
علامات السسلطة .. أنهم يحسون ادلالك ، مزاحهم أن تلعق  
أحديتهم ، وأن تزع رأسك في التراب أمامهم ، عندئذ يستش  
صدر الواحد منهم ، وترتسم عليه ابتسامة رضا .. وتمتلي  
ببناء منشوة ، ويرتفع كفاء من محاولة دائمة لأن يرفع رأسه ،

— من السيارة ..

وأخرج ممانح بحركة سريعة من جيبه ، وهو يقول بلهجة  
طليعية حارة :

— سيارة — عادتك .

الوغد يعرف أنه يحترق تحصناته ، بهاجم دفاعاته ، وهو  
بهاجم سلاح قوى ، سيارة قوية . وثمن محس بالمسبة لها ،  
وبالتنسيق .. لماذا تذكر السيارة الآن ؟ ، أياكون يريد أن يقول له  
أن السيارة في كفة وغاطية في كفة أخرى .. أهذا هو رده على  
ما سمعه من تهديدات ، أهذا هو ما يواحه به الكلمات الآمرة التي  
أطلقها من واقع أسيانه بضرورة حماية تلك المرأة ، وإخضاع عن  
كرامتها وحققها من الحياة .

أهو يبالغ وشطط به الخيال ، وهو يسمح لهذه الخواطر  
أن تتداعى في مخيلته ، أهو محنون لا يرى الواقع ، وبعبارة بطريفة  
شادة غير مقبولة من الناس . لماذا أصبحت مواقف الحياة معقدة ،  
مما كل هذا الاضطراب والخلط والانفعال والتعامل ، لماذا ضاع  
الصفاء ، واختمى الوضوح ، وارثكت الرؤى والمشاهد . أنه ينمى  
لو أخذ هذه السيارة ، فهي فرصة قد لا تعوض ، وإذا لم يأخذها ،  
فهو واثق أن أياه لن يتردد في شرائها ، فهو يذكر كلمات حريصة له  
هيس بها في أذنه ، عندما طلب منه أن يرى ما الميب في العربة  
انصر التي اشتراها منذ عشر سنوات ، صحيح أنت مهندس متروبول ،  
لكن لابد لك دراية بالسيارات .. أختك هي السبب في تعب  
المحرك ، وأما تشجعها حتى تتخلص من هذه السيارة واضطر إلى  
شراء أخرى ، ولكن كيف اشترىها وأنا أبيع كل عام مدانا مما ورتته  
عن أبي . لن أترك لك شيئا بعد مياي ، سوى الكرامة واسم  
عائلة حافظت على تقاليدنا في إقامة العدل في البلاد .

ثم هذا الرجاء الذي نطق به الأب .. لو أستطيع أن  
أشتري سيارة منلسة معروضة للبيع بعد استعمال بسيط ،  
سيارة دبلوماسي مسافر مثلا .

لم تأخذ هذه الخواطر أكثر من ثوان قبل أن يقول لسيد  
بلهجة قاطمة :

— لا أفكر في شراء هذه السيارة .

واسطلق مبتعدا ، وقبل أن يصل إلى المصعد ، وحد درجات  
السلم أمامه ، مارقتى الدرجات ، حتى تنطلق بسرعة من سيد ،  
الذي أبرك في تلك اللحظة فقط مدى خطورة التهديد الذي يوجهه  
له يونس . أنه لم يعمل مثل الآخرين ، وتجاهله ، وهذا يعني أنه  
سيجاريه ، وأنه عدو له ، طبأخذ حذره ، وليتعد عن فاطمة ،  
حتى ينحلي الأمر ، وسهم سر هذا الرجل ، الذي لا يتعامل مثل  
بقية الحكام مع أنه ابن أحد الحكام .

وكان هذا سبابة دعوة لسيد المتر ، لأن يتتبع أحبار فاطمة  
عن كتب ، وأن يلاحظ أن يونس صفا عاد من « أهركو » في  
أجارته التالية ، لم يسافر إلى القاهرة ، وتردد على بيت فاطمة  
هرتين و ثلاثة أيام ، ست ماطيه نصرت سرعة ، هكذا فكر  
سيد المتر ، واختارت بديلا لطلعت ، اختارت ابن المائب العام ،  
شعر سيد بعض الرهو رغم هريته . فهي لم تفصل عليه أي  
انسان ، وإذا كانت قد تجحت في الاستيلاء على يونس ، فهذا  
النجاح هو الذي يحميها ، ما يونس نفسه فلا أهمية له ، ولا أبوه ،  
لأن أمثال هؤلاء لهم أيام برهون فيها ، ويتمشون ، ويجمعهمون ، ثم  
يحنمون ، وتستطيع أن تصفق على ذكراهم بلا أدنى خوف أو  
يوجل ..

ولم سعد سعد عن الواقع كثيرا ، وهو يحيل ما يحدث  
بين فاطمة ويونس ، كل ما في الأمر أنل تعجل الأمور ، وسبق  
الأحداث ، وثنا بما سوف يقع قبل أن يقع .

فعندما عاد يونس إلى بيت فاطمة ، كانت محاسن هي محور  
اللقاء ، وقد اشترى لها لعبة ، دبة سميكة كبيرة ، ولم تمنح  
مقاتق حتى كانت فاطمة تسأل إذا كان يريد يعمل وجهه ، فقد  
غلجها أنه قائم لنوه من الصحراء ، وذهب إلى دكان اللعب ،

وحاء الى سبها مباشرة ، وبعد ان حرج من الحمام وجدها تسأله  
دا كان يريد شئسها ، أو يريد أن يحلح ستره ، وكنت سألته  
وهي تتحرك ، واخضت ، وعانت ومعها الشمشب ، وتركته مع  
محاسن ، واشعلت عنهما .

حبل اليه ان يرضا بنفسه الى عقله ، البيت رطب ،  
والسائر معلقة ، وانحو يدعو الى احساس ، رغم ان اصوب  
الشارع تأتي من بعيد ، وحاول ان يتذكر بصوته شئ اسمه  
بعمليات حساب تدور في رأسه ، ولكنه مسد عذره على التردد  
ومعالجة تلك المعادلة التي ترتسم في ذهنه دون ان يسر رموزها  
بوضوح ، وشعر ان هذا المرص حديد ياب عليه ، وانه في  
حالة مختلفة تماما عما كان عليه في أية لحظة من لحظات حياته ،  
وانه على ادب محمول ، ولا يسر بهذا المحمول ، ولا يسر في  
يتعرف عليه ، ويقل هذا بتدبير المصممة ، وهذا شعور بالاحساس  
والوحم ، وهذا الطلبة التي تخر الدقة ، وشق قلب معها ، ونشبه  
له ، ونمى ، وتجذبه من ستره ، وهذه لحرارة ليس بصفة مع  
البنيت ، بينما احضت الأم ، بعد ان قابلته بترحاب ، وكرم صيانة ،  
ونعمومة وأثوثة ، ا يكون هذا هو الشيطان .. ذللتها ، اهو  
يستسلم لحدس اطلقه ابليس .. اهي لحظة ضعف يمر بها .  
الانسان اصعب من ان يكون قويا في كل لحظة ، ولكنه لا يستطيع  
ان يضاعف فيخذلها . أول سؤال القاء عليها ، كان من مسد  
العتر وهل صادقها ، مقالات له بعينين معها شكر واعتراف به .  
ان سيد احتفى تماما ، ولم تر خلقته . ولا يستطيع ان ينكسر عن  
وعوده بصايتها ، وما تفعله الآن ليس أكثر من محاولة تنسب  
لنشكر له وقوفه الى جانبها .. لا يجب ان يترك المرضي يتطور ،  
والشيطان يهور ، هاهي ذكرياته تعاوده ، هاهي حساباته التي  
بحربها في عقله تطل عليه — معادلة الحذر بمرورها تتضح .  
ولكنها تتراجع ، وتهرب بسرعة ، فقد ظهرت عند باب الحجرة .

واشمسة نصي ، وحقتها ، انها تتحرك ، شسطة ، مطبشة ، تقير  
له القبوة ، وكسها تقدم مشعر صدقة ، مكل ما تفعله بساب  
في عروبه . ومحاسن خالسه على الأرض ، ولديه محورها .  
سبحرحان موز اسحادة ، حتى ترتطم بعذبه ، وهي تنهره  
هذه الطلبة هي ثالثهما ، وليس الشيطان ، طالما تقرض هذه  
الحنلة وجودها من محدث شئ ، وطالما هي هناك على المقعد  
الأخر ، فتعد عنه حوالى مئتين .. كل مستيتر له أهنته . انه  
حرف من بيت العمية احساسه أو لمعادلة الحريرة اسي يريد ان  
سبوعه . كل راوية ، أو سبببر أو ملبسبر ، أو حرة من الملبسبر ،  
الى متى تصبر الحسابات ، أي شعور آخر مهاجبه الآن هو ذنب  
لا معتر هو مسئولية ، أو مصير . انه لن يتحول الى سيد العتر ،  
ولن يرتك حريرة ، من سورط . ولن يستعمل صعبها ، ومع ذلك ،  
نما تمحر داحنه من المشاعر ما كان لستطيع ان يشعر بها ،  
نولها ، محليها وعشيقها ، شعرها المسدل على حبسها ، بعينها  
السودوس الانوسيش ، كل ما كان بره قنبها ، ندنا ، شهوة  
أو غريرة ، تنقلب بعلقه باعة ، ونشدا ، وينعش ، ويتحلى ،  
وبنوثب ، وكأنه يعود الى طفولته هل يتقدم بها .. يعارلها ،  
هل يرتك العنان لهذه الرعدات للصيانة التي تنصاعد داخل .  
انها رعدات لعدة ، وهو لا يشعر بأنه يحطى ، أو يرتك ذنبا ،  
أو فعلا حقيرا .

استلقى وانما ، علمه ان يقاوم نكل هذا الذي يحول برأسه ،  
ينمعه دما الى ان يتقدم منها برمق ، ويحدها من يدها ، ويحيطها  
بحراعه ، ويحضنها ليتقنما معا نحو حريرة اليوم ، بعدا عن  
هذه الطلبة التي ظهو بالخدمة ، بعدا عن كل شئ .

ولكنها حريرة يوم طلعت .. الحجرة التي تركها طلعت ،  
اهدا هو ما سوف .. يقدم عليه .. ان تعويه البقايا التي تركها

طلعت ، العصابة .. بقية المعلم .. هاهي الحصيلات تتصمخ ،  
والرموز تكشف عن معانيها الحقيقية .

تهتم بعد ان وقف ، بكلمات مربعة ، لابد ان اعود للفندق .  
لابد ان استريح ورمض ان ندعوه لطعام ، ونص ان يسمع  
اية كلمة . ولم يهتم كثيرا بان يراقب وجهها الذي يلب فيه  
علامات دهشة وعصب وعدم فهم وكم انبأه ، او هكذا حل  
اليه ، حتى وجد نفسه يقطع الطريق الصيق من اتجاه طريق  
الحرية بشارته المسرعة الصاخة الرامقة ، ومن عددا  
سور المادي من خلفه اشجار واشجار .. ووقف على الرصيف  
مبهوتا وقد دأبه خاطر غريب .. اذ تمنى لو لم يكن بشرا ،  
تمنى لو كان خالقه احياء شجرة مثل تلك الاشجار .

انقصى يوم ، لا يذكره ، ولا يستطيع ان يحدد ما جرى  
ليه ، يوم امله ، يوم غيى ، شاهد فيه قلبا سخيلا لم يفهمه ،  
وقرا صفحا لم يفهم سطرا واحدا من سطورها ، وكان يفكر  
بين ساعة واخرى ان من واجبه ان يتصل بانه في القاهرة ..  
او يسافر اليهم ، ثم ينسى ما كان يفكره ، ولا يفعل ما كان  
يتصور انه لابد ان يفعله .. في اليوم التالي ، ذهب يزورها ،  
وفي هذه المرة استطاع ان يفرض على مشاعره اشكالا متعددة ،  
استجابات لها كلها ، في الانشام الذي يحول الى ضحك وضحكة ،  
والشعور بالاسترخاء ، والحديث الحاد عن مستقبل محسن التي  
حصلت على نصيبها من علمة الشيكولاته : ثم انسحاب مريح  
بماحي ، لانه مرتبط بموعد لا يستطيع ان يتخلى عنه . وتركته وهي  
اقل دهشة ، واكثر نهما ، ولا ذرة غصب تحس بها نحوه . كانت  
تنسبه الى انه محتلب ، وانه حدير بان تراقبه ، وان تنفجر عليه ،  
وان ترى هذه السيطرة التي يمارسها على انفعالاته ، عندما يتهتمه  
ثم يتوقف ، عندما يلتقي الدعابة ، منطلق لاسرارها ولانفسها  
ومشاعرها العنان ، وكأما تعانق الدنيا بالمرح الذي تقبل عليه ،

علدا به بهذا ، وبناسك ، ولا بسلت عباره . وكان ما تراه  
وترافقه ، يريد من اطمئنانها ، ويريد من حريتها انى لم سمود ان  
تسيطر عليها ، واستراحت عندها وثقت به وايقنت انه سمود  
يسيطر ولن يتهور فيما قد تقدم عليه ، معها تقاربت العيون ،  
ومعها تلامست الابدى صدمة . ومهما تنور بصوت او تهدح بن  
همس ، او لهات او سيد او صبح او صحب ، الا انه يحافظ على  
ما بينهما ، وان كانت لا تفهم ما هذا الابدى بينهما .

وهكذا تركها ، ليمود في اجازته التالية ، وصداقتهما تفتح  
عن دنها سما مولان ، وتصرفان ، حتى لو كانت محاسن ترمز  
في غمرها . ولا ثالث معها ، الا هذا انباسك الذي يسمع  
الاميل .

اوشك ذات مرة ان تقول له ، وهي تقدم له كمشري لياكلها  
ونهمس : ثدوقها .. طعمها خلو ..

انها هي ايضا خطوة . واكملت على الرغم منها في سرها ،  
وبهمس اوشك ان يكون مسموما .  
- لنفوقنى ..

سمع بوس غمضتها ، ولكنه لم يتبين سوى هذه العيمه  
الى تشبه الصبح ، او لناوه المكوث ، صوت كه ابوة وحلاوة .

ومرت لحظات صمت ، كان يأكل فيها انكثري ، وانباسها  
ترنم ، وكديها معقدان سمها حوار من الشيق والرفير . حوارا  
بالصدر والرئتين ونبات القلب ، وليس حوارا باللسان ، والصوت  
الذي تسمعه الان . بل اصبح الحديث بالصوت المسموع نوعا  
من الصبح ، فقد وصلا على مشارف تلك اللحظات التي تعطل  
فيها الكلمات كل فعل ، وقد تخرج الكلمة ، وقد تخرج ،  
وقد تصد ، علبس من السهل انتقاء الكلمات التي تعبر عما بينهما ،  
فهو غير محدد الكلمات ، وليس هناك اوضح لها من هذا الصمت  
يتبدلان فيه كل ما دار في نفسيهما من هواجس ، بصراحة كاملة ،

لا يحشيان شيئا ، وليسوا بحاجة الى مزيد من أي شيء ، غير  
هذا الذي أصبح قائما بغير كلمات .

وكانت مطرقة براسها ، فكما لا تحتاج الى سماعه ،  
لا تحتاج الى رؤيته ، وهي تبذل من هذا الذي يبيها ، وتتوقع  
منه المزيد ، وهو لا يريه آت ، وشجعت به يقترب ، فرائت  
راسها انحصاصا ، كانت واثقة ان يديه ستطمسها الآن ، انه  
لحيلة . منها لمست اصابعه كلها ، ارتجعت ، وانكشيت غلما  
احتصنها ، شجعت ، وبكت بين ذراعيه .

وادرک بوس من تلك اللحظة ، ان كل شيء قد تغير من  
حيثياته .

كانت حينها معلقتين ، وكانت تغمس جسدها في صدره ،  
ويكس بشعرها مسكينة ناياما به ، ولكن عقله بدأ يشطط ،  
وتسرب اليه الكلمات في صورة اسئلة .

هل هي حقا تزيد ؟

هل سنظل ؟

الن تقاوم ؟

الن كثير غضبحة ؟

اهي نروة متورطان فيها ، ثم تتور ضده ؟

اهو يضرب ؟

ولكن الاسئلة .. توارت منفس السرعة التي ظهرت بها ،  
انفشت كسحابة شاردة أحطاب صرمتها من سماء صامتة .  
لمس بها اسمه سوى انفسه تتلاقى مع انفسه ، وظبا ، وكل  
الأنهر سحري الى البحر ، والبحر لمس ميلان .

وفي ذلك اليوم ، كانت رهيرة هائم تعاني من اهمال انبها  
بوحياته بحوه ، ولا تدري كتب منسحر عنه عينا لاكثر من  
شهرين ، سور ان يستدر . وكانت عد طلت من روحها ان يصل

بالولد في موقع العيل . وبالمندق ، ولكن الاجابة كانت واحدة ،  
انه غير موجود .

ولما عاد يونس الى المندق في تلك الليلة ، قالوا له انه لابد  
ان يتصل بوالده بمصر في الحال ، ولكنه لم يفعل ، حتى جنته  
المكاملة في منتصف الليل وسمع صياح ابنه ، وصياح ابنه وكذب  
عليها ، وقتل ابنه بلس دعوه اسدقاء . أي اسدقاء ؟ رملاء  
قداس من الجامعة .. من هم ؟

لا تعرفهم يا أبي

وسمع ابنه طلوعه . اما لا اطلب منك شيئا يا يونس ، هكذا  
سأد المور . بها ليس ان يكون أحسن الناس ، ودون ان تأخذ  
معه . دون ان يخطب معه . ك . نروده صدقته ، وان تبخه حبه .  
لانه من بعد حد مثله . فاعاد كبه يرى ، لكنها تعرف بماصيل ما  
لجبله ، لكنها سمعت حديث غاطية معه .

— هل ارد ان اراك لأنى اطلب منك هبة او مساعدة ..  
ارد ان اراك لاعطيك أموتى مني ستحل ان تحد مثلها عبد اي  
برقة اخرى .

ومحذ سائته

— هل اسب امرأة ؟

قال بسرعة

— لا ..

قلت وكأنه احاب سمع

— كل حب أخذ وعطاء . وأي ست تعمرها .. ستطلب منك  
اكثر مما تعطيك .. حب البيت في هذه الأيام .. كله تصب وقرف  
وناس تتلقى على اكتاف بعضها بعضا .

قال برصكا :

— اطمئني يا أمي ..

قالت

— بصراحة لست مطمئة .

وأصرت أوامرها .

— يجب أن أراك هذا .

قال :

— حاضر

ثم ترجع بسرعة ناديا

— سأحاول .

قالت

— لا . . . سبب ثانى

— حاضر

وفي اليوم التالى ، تم سبر الى امه ، وذهب الى لقاء

ناظية . وقالت رهيرة لروحها :

— يجب أن تعرف حقيقة ما يحدث لأمك .

أمها واثقة الآن ، أن الولد قد تورط مع امرأة ومثل هذا

الاستنتاج لا يحتاج إلى دكاء ، يكفي أن قلبها يحدثها بالخطر .

وهو خطر في حدود أنها تحول المرء التي احذرها . وشكوكها

لأن كثرة ، ولعواهر لا مطمئنها ، لأن هذا الصواب والسكوب

المضوح ، والوعد بالمحبة إلى القاهرة ثم عدم استطاعته أن

يلس نداءه له ، والذي وعد بتميده ، كل هذا يعنى أنه وقع في

كيس امرأة ، وأن كانت بنت عائلته ، من سائر الأصول والعائلات

لكريمة ، ما استطاعت ، وما خطر لها ، أن تسمع عن اهله ،

وتدفعه الى الكذب .

أما ليست مثرمة ولا يمحها أن يفكر يونس في الزواج .

وكانت بينها وبين نفسها تشعر بعض القلق عندما تراه لا يهتم

بالمئات مثل بقية الأولاد . ولكن هاهنا بطورات مباحثة نحدث .

ولن نتحدث لها تفسيراً حتى تراه ، وبصراحها . أو تأتي لها صفوت

بالتحريات التي لابد أن يطلبها يعرف مع من محبى يونس مع أي

امرأة ، وفي أي ست . لتحوص معسكة لا تحبل الثكؤ أو  
التصوف .

ولم تملح الأعراس المهدنة في تخفيف الضغط النفسى الذى

تعلنى منه رهيرة ، ولاحقها الحواطر متفرقة بمبشرة تشبعت

انكارها وتحرق اعصابها ، وحدث أنها كانت مستلقية في فراشها

بين البقطة واليوم . عندما رأت محاه في حبالها يونس مع امرأة

فلك الرجل الذى أراد الزواج من سارة يوما ما .

وما كاد هذا الصطر الضوى بهاحب ، حتى انهارت كانه

كارثة وقعت بالفعل ، وايدها قلبها وهي لتذكر آخر مرة رأت

فيها يونس ، وكيف كان مهوما بسبب بدالة طلعت ، وكيف أنه

يحد أنه أن سارة لم تتروحه ولم يرتبطوا به لأنه وحش غادر ،

مخروور بقوته أو ثرائه ، لا يتورع عن أي شيء . كانت لهجة

يونس غير طبيعية ، وبهاجم طلعت كما لم يهاجم أحدا من قبل .

وكلى بتكلم بحس ، وينصح ، ويتخذ لهجة الوامض حتى أن رهيرة

سألته وقد شعرت بأنه مهم مصير المطلقة وابنتها .

— أهي جيلة .

فأجاب تلك الاجلة التي اطابت لها في ذلك الوقت . إذ

قال بدهشة :

— لا أخرى يا أمي . لم التفت إليها .

الآن قد حانت له المصلحة ، لتلنت اليها . والمرأة

استحوذت عليه ، سيطرت على أنها الذى حبلته في بطنها ،

وأعطته لحبا وروته بدميتها تلك المرأة تخدع أنها ، روحها ،

مصدر كل ما يهبها في حيلتها كيف تجرؤ مثل هذه المومس أن

تأخذ منها في اجازته .

ولم تستطر رهيرة أن تنقل لها صفوت اخار تحرياته .

قالت له أمها واثقة ، أن يونس يتردد على تلك المرأة . وأن عليه

أن يتصرف بسرعة قبل أن يتحول الأمر الى فضيحة .



وأنه يصدق النائب العام أن أمه محرقة حتى أن يرتكبه  
 هذا بصرف المصروف من نفوسه ، غورن غير وبيها ، وما  
 يعرف عنه أنه غير ذي ، وليس بمسؤول ، بخلافه ، أنه  
 عم من بين قور ، ويعتبر خدوف من بعض ، أو  
 أن ظهور الأخرى من جهة مؤيد أن يسهل ، وأي شيء يفسر  
 سمعته من قرب أو بعد ، أنه يخدم خدمه من  
 الحكومة بده خدمه بكما أنه على ما يتدله من جهود مصيبة في  
 متابعة تحقيقات الخراب السياسية ، التي تنشر كالنوء .

وهم تهم رهيرة هذه الحجاج التي يسوقها زوجها ، وهي  
 لا تسمح أي كلام يذكر فيه أن عمله كقائد عام ، له بده محددة ،  
 سبهي بعدد غير هذا الكلام لا يسمح مع توقع لدى تعثر  
 فيه ، ولا يدين مع سمعته من بملكها زوجها ، وما يمارسه من  
 مسؤوليات ، نشر أخبارها أصبح ، . وتتابع مشيرات الأخبار  
 من الخسريون ولاد أنه تحركه حب بده ، وتتمدد أنه لاند  
 بمسكة مسكروموب وأخبره بسخر من انتظار كنه أو نصر  
 منه ، من من المعقول أن من هذا الرجل ، لا يملك أن يفسر من  
 منصبه وسوده ، هل يأتي يوم وينتهي كل هذا الذي يعيش فيه  
 لو أصبح هذا ، لكان به سوده ، ولد أهتم به أحد ، وبنك هر  
 تسمحته من صخر ، بتقاطعه بالسؤال عن الحقائق كما تراها  
 واعتبار أن أول هذه الحقائق أنه النائب العام دائما غير معقل أن  
 يقتضيه على أنه من ست تلك المرأة بومس ، والتي قد تكون  
 تحت بيتها أن يلعبون القمار ، أو حوائفها إلى عررة حشيش ، و  
 أصبح أن يؤخذ الأمور بساطة ، ويقال أن بومس شيب صمير  
 وقد يكون من حقه أن يلعب بعض الوقت ، وأن تكون له مروا مه  
 في بهانه الأمر تحارب في أعباء ، قد يهجه حصره ، وتوسع من  
 مداركه ، وتقيده عقبا يكر ويخل الدنيا الحقيقية فتكون روح  
 وإن لأولاد ، أن هذا مرموص بالسياسة ليونس ، لأنه ابن النائب

العام ، ولو حدث شجار ، محرد شجار في بيت تلك المرأة ،  
 وكل شيء حائر ، فهي لطافة الكري لاند أن يتصرف بصوت  
 مسرعة ، قبل أن يحدث مكروه من هؤلاء الأوباش السفلة .

وأملك سموت التلمعون ، وطلب شهودي أبو اللطف محافظ  
 الإسكندرية وحدثه بصراحة ، أنتي احتفى ، أحسن أن تكون  
 امرأة هي السبب مع بومس ، أنه وتيع ومهذب كالست ، أعمل  
 معروف ، وتصبر كوالده ، تحسري الأمر ينتهي الهدوء .  
 وأخبرني .

انتقل الطلب من المحافظ ، إلى رئيس المباحث ، إلى المحرر  
 الذي كان لاند وأن يتصل بسيد العتر .

مع بومس بده من أخاذه إلى بيت تلك المرأة عاطفة  
 مطنقة أن الحاج مرسى مرج ، أنه يكاد يعيش معها ، يقصى  
 أخاذه معها ويخرج معها وأسيها ، كما لو كان روحين ، لا يتم  
 الليل من سها ، ولكنه عشيقها بكل تأكيد ، ومن يدري ، أنه  
 ثروها رواجها عرفت ، فقد هدد سيد العتر بالاقتراب منها ،  
 حتى يصير عدم معرفه أحد من بيت الحاج مرسى مرج بصلته  
 عاطفة .

وهكذا عرف سيد العتر ، أن هناك تهريات عن سلوك  
 بومس ابن النائب العام ، وأن هذه التهريات متصلة بعلاقته  
 عاطفة .

كيف غاته ، أن هذه العلاقة ، سوف تضرب النائب العام ،  
 وسوف تعصب الحاج مرسى مرج وسوف تحرك الجميع ضد  
 هذا الممثل للناس بومس الذي يصرف على هواه ، ولا يتصرف  
 مثل بقية من ، أمكوا بسطه . واقتربوا حتى المخيم ، من معه  
 أدلال الناس .

وأدرك سيد العتر أن الأبواب قد انفتحت أمامه .

صاح الرجل يائسا ..  
 — كلما فى خطر . هل هناك تهديد لسمعى أكثر من هذا ؟  
 فواصلت زهيره زمحرتها :  
 — سامر فى الحال قل ان تندم . قبل ان يأتى يوم يرمض  
 به ان يعود الى بيته .

## الفصل الثانى عشر

قال عبد الحميد بصوت بصوت محشرج :  
 — زهيره .. اينك يقضى نهارته مع تلك  
 المرأة .  
 فصاحت الام بشراسة ..  
 — قلبى قال لى . قبل ان يقول لى لحد .  
 ثم صرخت :  
 — هل هذا يصدر عنك يا يونس . مستحيل .  
 ماذا جرى لعقلك .. ؟

وبخلقت لى زوجها بعينين محتشمين ، وقالت كأنها تخاطب  
 شخصا لا نراه .

— هات لى ابنى .. لابد ان يأتى الى هنا فى الحال .  
 قال عبد الحميد :  
 — سأطلبه ..

قاطعت صارحة قل ان يكمل :  
 — سامر له

مقال عبد الحميد والام بمحضر صدره :  
 — سيأتى يا زهيره لا تخافى .  
 فزمجرت ..

— سامر له ولا تقل ان ورايت اعيالا .. لن أسمع منك ار  
 لديك اجتماعات وتحقيقات . اينك فى خطر . وهو أهم من كل  
 تحقيقات النيابة ..

مقال عبد الحميد محاولا طرد أشباح تحوم من حوله :  
 — لن يصل الأمر الى حد العصيان .  
 فصاحت :  
 — لا بأسعادة البك . انه يصل الى أكثر من العصيان ..  
 بما الذى يربطه منا بعد ان يستمرىء الحياة مع موسى .  
 تراجع عبد الحميد مذمورا هليبا :  
 — زهيره ..  
 كان يريد ان يلومها لأنها سبحت لكبة موسى ان تاتى على  
 صانها . ولكنها لم تكثر باحتجاجه المكبوت وبضت تقول لى  
 استمرار :  
 — نعم موسى .. البست هذه هى الحقيقة .. أسمع  
 يا عبد الحميد .. أطلب عقله من هناك .. أبعد له عن عمل فى  
 القاهرة لورا .. وعندما يعود .. سوف أزوجه لى أسسموع  
 واحد .  
 وظلقت حولها . كانت تخرق ، وتبحث من هواء تستنشقه .  
 ولكبت وهى تتقدمى طائفت جديدة من الغضب .  
 — منعا نصل الى الاسكندرية .. أطلب من المحلل ان  
 يقض على تلك المرأة .. لابد ان نتدخل .. هل أنت فاهم  
 يا عبد الحميد .. مثل هذه المرأة لن يردعها الا اظهار العين  
 الحمراء لها .. لابد ان تخاف .. وتدرك ان محاولاتها مع يونس  
 سوف تنتهى بالفناء عليها .  
 همس عبد الحميد مبهوما :

— يرهيرة ارحوك . لا تنقدي اعصاك فتريدي المود  
مسووا ..

مرغضت رهيرة ، امتراضه ، ورفضت ان يناقشها ،  
يعذل في اقتراحاتها ، لان اي تراحم و تكلؤ من حاشه مسو.  
نقوص دعائم هذ الست وكرس المصيبة لتي لاند من دعمها .  
لم يسم احد من بيت الثائب العام في تلك الليلة .. احيد  
كست رهيرة نرمر هواء حاقدا خارجا وتقول :

— المرأة التي تركها صاحبه .. يأخذها هو ..

وكانت لا تكل ، ولا تفصح عن لصوت اندي شرد مر  
اعماقها ، وقد مثلت اقراص المأهذات في اخيلاده .

وسامر عند الصبد صفوت الي الاسكندرية ، وكان لفسر  
المعجزة اثره من برند اشعات عن تطورات حذره في مس  
أوكار التمايل والمتحركات وتلقى المهندس يوسف مكانة محبة .  
المعسكر .. و وده بسطوره لأمر هم ، ومن ان من سيد .  
مصارفه بخذفه ، لعموده الي الاسكندرية من يوسف .  
ببته ومن بسبه ان وده قد عرف بأمر غرقته بظنه .  
لديه امساب وصحه لهد التوقع . ومع ذلك عبه شعور مو  
بان هذ الاستدعا المماجي ، سيء المصيبة ، وان عبه بسبه  
لهما ..

ومى طريقه ر الاسكندرية ، كن يظن كل الاحتمالات ،  
و سهر في ضرورة ان يواحه والده واهه ناقتوي بالديه ، وعو  
حذره ، انها في حاجة اليه ، وهو يريد ان يحسها . ويشعر  
بمسب بوليه بخوها ، وهي لم تحذره ، ولم تهذره كذا توقعو  
وبعد ان يواحههم بالحققة ، سوف يذهب لهد ، ويمضي بعد  
نقطة اليوم ، وسفاحلها بحضوره ، وسيفترى لها طعاما  
وسيفترى لعه حذفة لمحاس ، وسيرر لها مجبته مانه شم

حشة كبيرة ورغبة حلحة في ان يرها وان يعانقها ويعصب في  
ساقها .

وحمل بونس على انه في مكتبه بالساعة ، وللوهلة الأولى  
عن من صدق حذره ، وعرف ان الصراع بقدر لا ريب فيه  
انت نظرت واده عربه . وكانت على وجه اسرارر محبة ،  
ملمع عها ، حتى انها كانت تشر الانسجام في ظروف أخرى وبعد  
إدت بالفعل بسببه ما ان يرسم على وجه بونس في مواجهة  
لحرب لآب وبحميه ، مولا به لا أخرى سر هذه الانتسامة التي  
ريد ان يرضي بسببه عنه من هذ الموقف بخرج .. مقاومها .

كان وجه عبد الحميد صفوت يفيض بشيء ما ، ما هو ؟  
رى بونس بساء بعابه بمصاهره وسعلوب في وجه انه .  
مذا نون من بين ان يكون شساة ملامح يرسم على لوجه ،  
مها كتب لكل سلعه ملامحها ، وهو عن أية حال وثق ان الرجل  
لدى له به بظر انه كبحرم ، لا كمن ، كاتب كلمات عبد الحميد  
صفوت ، حاشه من بحاش ، أو الرعنه ، أو بحب ، كان بينهم ،  
ربهاهم . وسطر من بونس ان يدافع ، وأن يصدر ، وأن يترجع  
هائف مرعد ، بسبب بونس يرفض ان يدافع ، وقد ركب رأسه  
عناد صلد ، فهو من بونس مع الثائب الصام . واداه لم يعترف هذ  
الفائب بأنه أب ، فبادر بتعامل معه . هل ينور عليه ، هل يكاشفه  
بها بشعره ، ولكنه سوب محتاح الى جهد غير عادي ليهصد  
الكلمات في بعرها عن كل هذ المعاني المحتلطة بالمشاكه ،  
بين سلطة اساة وسلطة لآب ، بين الثائب العام ، وبنا ، بين  
أقلام المحرم ورعاية الابن . بين طبيعتين مختلفتين للتعامل ، وب  
علم يحدث عن المظهر . بونس مع ابن يحدث بشاعر يرى انها  
الصدق . ما اندي يستطيع ان يقوله بوضوح ، منببه هذ الرجل  
ألمه ، هذا الاب الذي يحتس وراء لقب وسلطة ، ان أية محاولة  
للانصاح عبا يريده مسورطه في موقف سحيق ، وسنقط به في

فلما تبين أن سيد العتر بحفته من السيارة التي يريد بيعها ،  
قال بغير اكترات وهو ينكر مصوبة أن الرجل الذي خرج من  
بكنه هو والده الذي يتحدث عنه سيد العتر .

— عندك في الداخل .. اعرض عليه الأمر بنفسك ..  
واسرع يونس بخطاه ، فلاحق به سيد العتر يسأله أين هو  
أهـب ، ومتى يعود إلى المسكر . فقتل يونس واجماً ؛  
— يكرر ..

يسأله سيد العتر وهو يصوب إليه عيبن لمحصنين ؛  
— هل تريد أن أذهب بك إلى أي مكان الآن ؟  
قال يونس بسرعة وهو يتعبد ؛  
— لا ...

ثم سعه سيد نظرائه وهو واثق أنه ذاهب إلى غاطية ، ثم عاد  
أفراجه إلى منى الليلة ، ودخل مكتب سكرتير النائب العام ،  
متظاهراً بأنه يسأل عن المهندس يونس أين سعادة النائب ..  
واندى دهشته لأنه خرج من عند والده فوس أن يخبره أو يطلب  
منه توصيله ، ودخل السكرتير على النائب العام ، وعاد مسرعاً ،  
بطلب من سيد العتر المثلول أمام سعادة النائب .

صوب عند الحفيد بك صفوت نظرات قاسية إلى سيد العتر ،  
وسأله بلا مقدمات ؛

— أنت سائق سيارة المهندس ؟

أجاب سيد وهو يتراجع في رهبة بعيد اظهارها ؛  
— نعم بالسعادة الباشا .

يسأل عند الحفيد بلهجة جافة ؛

— كيف لم يحذرك ؟

أجاب سيد في خوف ؛

— أنا انتظرت داخل السيارة ألهم نائب المرأى بالسعادة

الباشا ..

فراغ غير محتمل كل ما يملكه يونس ، وهو أن يتكلم ، كما لو  
كان يحاطب نفسه ، في حجرة خالية ، غير مكترث بالمنعالات من  
الرجل أمامه ، وغصه وصاحبه ، وأن يتحدث محاولاً أن يعبر  
الحقيقة ، مع أنه في الحقيقة لا يعلم ما الذي يحدث . نعم حدث  
شيء ما يحدث بينه وبين غاطية ، ولكن ما هو ، شيء يتحسس  
ويتشسكل .. يصح عن نفسه في علاقة حية ، دائمة ، في  
لحظات ، ولكنه لا يدري ما الذي سوف تنتهي إليه في أنه لحظه  
قائمة . سه وس غاطية .. كلمت وأصوات تخرج من الصدر  
متندمة ، وفطرات ، وأنفاس ، وتلامس ، وصمت ، وضحك ،  
وحوق ، ودلال ، وأنانة ورحولة ، وأنوثة . وأشياء كثيرة .  
تافهة أو غير تافهة ولا يستطيع أن ينكر لها أو يحد منها لأن  
يحدثه هذا الرجل في ضرورة أن يتخلص منها . كيف يتخلص من  
لحظت لا يعرف حدودها ، ندات منذ وقت لا يستطيع تحديده ،  
مطلقة إلى مستقبل لا يستطيع تحديده ، لم يفكر حتى الآن ، لا هو  
ولا هي ، في تحديد أي شيء ، وما هو هذا الرجل . النائب  
العام . يريد منه أن يحدد تلك اللحظات ، أيريد تحديدها ، أن  
قتلها ، أيسفسر عنها ، أم يسعى إلى إعادتها ومحوها من  
ذاكرته ، ويثرها من حياته . الذكريات ، واللحظات في حياة  
الإنسان ، ليست أقل أهمية من أعضاء الجسم ، هي اللحم والعظم  
والدم والأمصاب للنفس ، هي مسج الدات ، لو بشر هذه الذكريات ،  
لو قصى على هذه اللحظات ، ملاند أي تصييه مائة ، أو بيوت

عندما سمع الرجل يقول له ، أنها امرأة ساقطة وجد نفسه  
يمهس ، ويرمض أن يسمع صياح الرجل . وسمح الباب وخرج والد  
بنته حتى رأى سيد العتر الذي جاء بحري نامسا ، يسأله اد  
كان والده قتل أن يشتري السيارة .

نظر إليه يونس في غير مهم وتسم كأنه يسمع كلاماً غريباً

— أبي .. ماله أبي ..

سأل عبد الحميد بسرعة :

— هل عاد إلى الفندق على نفسه ؟

قال سيد مظهرًا التردد :

— لا أعلم أنه ذهب إلى الفندق بمساعدة الباشا .

صاح عبد الحميد هائلا :

— لا بطر .. يا معنى هذا .

قال سيد بلهجة من مصرع

— يا سماعة الباشا .. هو يذهب إلى بيت المهندس ظلع

لمرج .. كلما جاء إلى الإسكندرية

وانتظر سيد .. ولكن عبد الحميد صفوت .. كان يعظر إليه

في حمود .. مكس .

— أنه سذهب ليطلب من أولاد المهندس

سأل عبد الحميد بصوت بارد

— وهو سذهب إليه هناك ؟

قال سيد

— لا يا سماعة الباشا .. أنه يسعى من الذهاب هناك

مهر عبد الحميد صفوت رأسه ، وحس وهو يشير به

لسيد أن يحتل من أماله .

— طيب ..

ولكن سيد تلكا .. فلما رفع عبد الحميد عينيه ، يستعير من

سر بقاءه ، وحده ينغم في خنوع ومخافة عن أسسيرة سر

أعجب بها ابنك الصغير .. وكف أنها رخصة ، ويشد أن سر

ثمنه عن سبعة عشر ألف ، وأن ابنك الصغير لا يريد أن سح

قرارا بشأنها ، قل أن يعرف رأى سماعة الباشا والده .

اهتم عبد الحميد صفوت بهذه الحاجة . وطلب من سيد أن ينتظره

ليرى السيارة ، وخطر له ، أن هذا سرر قوى ، لأن طيب حضور

رهيرة لتساعده في مواجعة يونس ، بعد أن تبين أن الولد غير

قابل للتعاظم ، وأن تلك المرافقة قد سميت أنكره وسطرت على  
عقله . حتى أنه بعد معرفة أن يقود رهيرة أنه مثل مع  
يونس . لكن أن سرر أخيه سسرر لحسده وعليها أن تواحه  
يونس سسبه .

واتصل عبد الحميد بالجنائز ، كان يريد أن يعرف منه  
تفاصيل أكثر . عن المصروفات في وصيته عن يونس على  
مطلته سس طعت في سوسر مرسى مرج عاد بالجنائز  
يقول له ، أنها مدعوان لتناول العشاء على مائدة مرسى مرج  
في بيته . لأن هناك كذا عدا يريد أن يقوه الحجاج فخرج  
للتفهم العام ، وكان لابد أن يذعن عبد الحميد صفوت ويلقي هذه  
الدعوة . سرر به كسر يسر بولا ورطه السر وأوقعه سس به .

واتصل عبد الحميد رهيرة ، التي قالت له : أنه سوف تأتي  
لأنها ، قبل أن تأتي لمشاهدة السيارة فواضح أن عبد الحميد لم  
يخرج مع سس . وسس أن يونس أس سس معه وعد يتسكثت بها  
بالصنوبر . ووسس أن سس دموه السر سس ، في بيت الحجاج  
مرسى ، ورأها أحيالات كثيرة . سست بمسنة ، وأن كان أحد  
هذه لأحمد . كس حضر رهيرة . وسس سس سس . أن يكون  
طبع سر سس رهيرة سس سس . ويريد أن يعود بابها  
ليطلب مد سسر . أنه خيال مرمر . رأها لا يستطيع أن يسمع  
ظهوره . كسجيم أو أس في محس . وسس عقر من أن تتحدث  
عنه . أو تشتر أس من قريب أو بعد

وكان عبد الحميد صفوت ، أكثر طيبة وثباتا من أبيه ، وهو  
يحب مع سيد العتر عفتها ركب معه السيارة ليحرب ، وذهب  
به سر سس مرسى مرج . ودر لسيد أنه سسسر في الأمر . وأنه  
سسجج سرره عس سرر أس . وسس عدا سر مصر . خ .  
سيد أن يذهب مقابلها في محطة مصر حيث نصر في القطر

القادم من القاهرة الساعة العاشرة صباحا . وسوف يذهب به مباشرة الى فندق ميسل .

واستقبل مرسى فرج النائب العام بالعناق والقبلات ، وكرمه معه شهدي أبو اللطف المحافظ . ولم يضيع مرسى وقته من المحاملات ، فقال لعبد الحميد ، انه يريد ان يتحدث معه عن ابنه يونس ، وانه صاحب مصلحة في هذا الحديث ، مثله نياها ، لا الامر يخص حبيبته محاسن ، ومطلقة طلعت . وروى مرسى لنائب العام كيف تزوج ابنته من غاطية . وكيف كان قراره بتزويج هذا الرواح ، حتى لا يرتكب طلعت ابنا متدم عليه . وتحدث من غاطية ، كما لو ان منابة السماء ترعاها ، وتعوصها عن عذاب كبير لائقه من ابويها ، وأثقلها الذين تركوها وحدها وكأب مقطوعة من شجرة .

وسأل الحاج مرسى ، ضيقه النائب العام فجأة :

— هل تفكر ابك في الزواج من غاطية ؟

ملهم وجه عبد الحميد صفوت ، رغم انه تعود الا يظهر مشاعره ، وان يحتفظ بهدوئه ووقاره في اخرج المواقف ، ولكنه شعر ان السؤال في حد ذاته اهانة شديدة ، ولجا الى سماع عصبي يكسب به بعض الوقت ، ويبرر ذلك الانفعال المرتسم على وجهه الساخن . قرر ان ينحنى للعاصلة وان يتحامل الاهانة ، لا يصورها شخص جاهل من الرعاع ، خديته المتدابير ومنحته ثروة ووقاحة ، ولكنه ليس نداه ، ولن يكون يوما ما من طبقته .. وانكس بأن همس :

— طبعاً .. مستحيل ..

" فوجيء عبد الحميد بطلق او جرن يرتسم على وجه الحاج مرسى ، وسمع صوته هائلا ولكن عاليا بعض الشيء ، وهو يصحبه الا يعارض مثل هذا الرواح اذا اراده ابنته . وانه يتحدث بصديق وخوف من الله سبحانه وتعالى ، ولانه لو حدث هذا

الرواح . فلن يتدخل ويطلب حبيبته من ابها ، اما لو استمرت العلامة على ما هي عليه ، ملاند ان يتدخل ويترع حبيبته من ابها ، وهو امر يتردد قبل ان يقدم عليه مضطرا .

صاح عبد الحميد .

— هل معقول ان تتصور زواجا مثل هذا . ان ابنه يموت لحرد ان يحظر بقلها شيء من هذا .

وتوقف عبد الحميد صفوت مروعا من لهجته ، ومن لفظ ابه الذي يطلق به ولكنه ما كان يستطيع ان يقول غير ما قال ، وما هي كلمات محسوسة في صدره تنطلق بالرغم منه ، ان هذه المرأة أمسكت بومس ، ولاند من تصرف يوقعها عند حدها ، وهو يريد ان يساعد المحافظ على انقاذ ابنته ، كما يريد مرسى فرج ان ينقذ حبيبته .

فقال مرسى فرج انه واثق ان شهدي أبو اللطف سوف يفعل كل ما في استطاعته لسلعته . وان عليه من جأشه ان يمسك ابنته عن غاطية . وهي على أي حال امرأة لا حول لها ولا قوة ، وليست بالخطورة التي تصورها ، فقد مر بها منذ كانت طفلة ، وهو يفتنرها على نحو ما . احدى سائته ، لولا انها تنهرد ، وورثت بعض جنون ابها ، ولقد كان يريد ان تأتي بانبتها الى بيته ، وتعيش من حمده ، ولكنها تأتى ان يترك ستها .. ولا شك انها تطمح في رواج آخر مثل رواحها الاول ، وفحك الحاج مرسى وهو يقول

— اننت تعرف كيف تصطاد الرجال .

فصاح عبد الحميد صفوت :

— تصطادهم جميعا .. الا اننى انا ..

فقال الحاج بلسا :

— اترك الولد يا عبد الحميد يتصرف بنفسه ..

فصكت عبد الحميد ، وهو يقول في سره : ان مرسى فرج

يعامله بلا كلية .. وكأنه يعرفه منذ سنوات وأنه ما كان يتوقع يوماً ما ، أن ترتفع الكلمة بينها حتى لو تزوج أنه من ملرة .

وعاد عند سعيد مرسى فرج ، بعد أن استمع إلى عود شهدي أبو اللطف بأن يصرف على النحو الذي يجعل ماطم لا تفكر في رؤيه يونس .. بل تخشى أن يحظر سالها اسمه .

وما كاد يحتلي مرسى فرج مع شهدي أبو اللطف .. حتى قال مرسى : أنه غير مسرور لخدمته عند سعيد سموت . فخرج به مع ناسه ، وهو لا يريد أن يذهب ، وقد مودى نفسه أحدهم من أسوأ عوالم دنياه وعلى العموم فهو يصعب على شهدي أبو اللطف أن يدخل بين أولاد دنياه . وقد كان له صديق وهو أن يخصر على خدمته وسعدى من أهلها من نفس من حرم وهو لا يريد ضجة ولا مشاكل .

فقال شهدي أبو اللطف : أنه سوف ينتظر عودة يونس إلى مصر .. ثم يمرض بها صابط راحة ، سوف يهدى ، دون أن يسبح بها بل يمشي و يفتح يده دنياه ، وسوف يصرف على أن أن يذهب إلى أحدهم . بعد ذلك من يونس لاستدعائه من مصر . فاستدعاه من مصر من أنه من مصر من مصر من دنياه بآلة وسيلة .

قال الحاج أنه موافق تماماً على هذه الحطة ، وسوف يصل على يومه كل سبب راحته عليه بعد أن يرضى من موته ومعها خدمته ولكنه لا يضمن بعد ذلك أن تتحمل ماطمة طويلاً لبقاء في بيته ، لأنها متبردة ، وقد تقدم على أي تصرف خاصة بعد أن تستقر ومفرح . فخطها مركبة رأسه ويفكر في المعامرة والحاطرة إذا ما استراح لأنها لن تتحمل راحة لم تتعود عليها ، على أنه حال ، لادى لأسباب لأحد . فمصر شبيهة بعض الوقت . ومن يدري . فقد يصمم يونس على البقاء مع فاطمة وأرواح منها . وهو احتمال كبير . قد محل كثيراً من المشاكل .

فقال شهدي ضحكاً :

.. إلا مثلكه الأب .. عند الحميد بك .

وضحك الحاج مرسى فرج .. موافقاً ..

وعاد عند الحميد سموت إلى الفندق ، وانتظر في حجرته عودة يونس ، وكان انتظارا ثقيلاً . وأخيه غيه ماضيه وكأنه لا صلة له به ، ومكر في الوقت انقصار الذي يشاقص بسرعة مجيئة ، ليصل إلى يوم الاحاله على المعاش قبل أن يبحر ما كان يجب أن يحرق . أن تقروح ساره زواجاً تسحقه ، أن يرى أبه في وضع احتياض مرموق وله عيل يكسب منه ما يؤهله لأن يكون أسرة ممتازة في المجمع ، وأن يواحه النصول الأخيرة من حياته بما يلقى به من تكريم ، وأن يشتري سيارة له قبل أن تختفى سيارة الحكومة . وأن يعترف صاحب السلطة في البلاد ، بأهليته للأمن فاما أن يبد خدمته ، أو يفكر في أن يخدمه ابنة أو في أسوأ الظروف يستعين به مستشاراً له في الرئاسة . أن الأيام تمر ، وقد من عند به حذر حذر دنياه التي لديها رهبة لادى . فبروح ملرة ، بعد أن تزوج خطيبها طمعت من بنت علاء بهيب . بعد ممشى سرور ، حتى أن رهبة مرسى أن يذكر هذه المحاولة مكانها لم تنم ما الذي يعمه كل هذا . أهو الموت بقل بعلاماته ومقدماته ولكنه موت له مذاق خاص . موت انهيار ، موت انحلال موت ضعف وهانة . كان الحطاب الذي فكرت فيه زهرة لبحر مكان طلعت ، هو المهندس سمير الساحر ، من عائلة الساحر المرموقة بمراقبتها . عمتل صديقة لزهيرة .

ولكن أبوه المستشار منير الساحر ، جاء يئلى شروطه ، جاء يسأله أن يعين سمير في شركة أماركو ، لأنه سأل لمعرفة أن مهندسين مصريين اثنين فقط ، يعملان بها . أخذها ابن مرسى فرج المليونير والثاني هو يونس ، أنك يا عند الحميد بك .. طلب من مرسى بوسط عند الحميد في يعين أنه دون أن يذكر شئت عن



تقدمه للزواج من سارة . كان واضحا أنه يشترط لكي يتقدم أنه لطلب يد سارة ، أن يقدم له الثائب العام بصفته والد العروسة ، وبصفته المستفيد من رواج أمته ، تلك الوظيفة في أماركو .

قال عبد الحميد لزهريرة .

— سمير الساحر هذا .. لا يملك شيئا يزهيرة .. وهو يتصرف كأي محتال . أنه يريد أن يميته وما يدري أن بعد تعبسه يستمر في مشروع زواجه .

قالت زهريرة :

— أنه يبحث عن عمل مناسب في كل مكان .

قال عبد الحميد :

— وهو يريد أن يتخذ من الطوبيع بالزواج فرصة للحصول على وظيفة برتبة كبير . انها صفقة .. بيع وشراء يزهيرة .

ورغم ذلك ، كانت زهريرة تريد أن تروح سارة .. بكى أن تثق في حذبة العريس ، ولكنها بعد أن تحدثت مع عمة سمير بصراحة ، اكتشفت أنها لا تستطيع أن تثق في نوايا العريس . اعترفت بأن عودهم ملوثة ، وكلماتهم غير صريحة . واما خانت بهم . ونسيت زهريرة هذا الحادث ، وكأنه لم يكن ، محنة من ذاكرتها تماما . اما عبد الحميد فهو يرتب الأيام ، ويتساءل في كل ليلة ، هل يستطيع أن يزوح سارة ، وهو المائب العام . أم أن الفرصة ستضيع . وعندئذ عليه أن يرضى بوعبة اقل من الشان ، اقل في المركز والمستوى الاجتماعي والثروة . أم لعله يخسر كل شيء .. مضجعة ملوثة كذلك التي يوشك أن يفرها يومس . من يتزوج سارة ، وشقيقتها متزوج من مطلقه طلعت ، كان أبوها متولوحبت . ويقتل انها يومس . من يرضى أن يكون خال أولاده روجا لمومس ، وأولاد خصال أولاده أولاد يومس .

لم يحضر يونس حتى بلغت الحادية عشرة والنصف .. وتداعى حسد عبد الحميد . فترك رسالة لانه . الا معاذر الصدق في الصباح قبل أن يراه . ولأن والدته قليلة من القاهرة .

وحد يونس الرسالة في انتظاره في استقبال الصدق . ولم يدهش كان يعرف أن لقاءه الأول مع أبيه ، هو مقبلة لهجوم آخر . وأن موجات بعد موجات من الهجمات سوف تلاحقه . وخير أن تأتي في العد من أن ينتظرها ، وحبر له أن يحدد بسرعة موضعه من ذلك البت الذي كان يتمنى إليه ، والذين يريدون أن يسوا عليه شروطهم ، وأن يجعلوا منه عبدا لارادتهم . عبدا لحيون أبوي ، أو حيون أبوي ، يريدون أن يتحولوا إلى غيلان . فلما أن يهاضمهم ويقرأ عليهم السلام ، ويرضى سلامهم ، وأما أن يقضوا عليه .. لنولا سلامك لأكلنا بحبك قل عطاك ، لولا سلامك ، لالتيك في الحب المسحور .

فحل حجرته ، وهو يشعر بأن سحابة معتمة تريد أن تغطيه وتحتطه من كل ما يريد أن يجاه . توشك أن تهبط من سقف الحجرة متحقيق انفسه . وتعلم مصره ، توشك أن تقاتله .. وحاول أن يطرد هذا الاكتئاب الذي يتسلل اليه .. حاول أن يستعيد تلك اللحظات التي تصاها مع ناطية . حاول أن يقول نفسه ، الا شيء سوف يحدث فيصره . لأنه بها كان الأمر . فهو من أهله ، وهو لا يواحه عدوا ، بل يواجه أباه وأمه . وهم من برضوا مقتله لن يقتلوا أسس التي تشعر الآن بأنها تحب ناطية ..

:: سحر الليل :: ليلاس ::

www.lilias.com/vb3



ويقرا الصحف . نهجت عليه رهيرة تعانته وتقله ، ومن وراءها سارة تنتظر دورها لنحة شبقها . وبعد لحظات تغير الموقف تماما ، لتحولت رهيرة الى سيدة حامية نائرة ، تمارس كل سلطات الام التي تملك كل شيء يخص اولادها . وهي تعلم ان تلك الحشرة التي تريد ان تعترض طريقها ، سوف تنال ما تستحقه ، فقد جاءت من الحضيض ، ولابد ان تعود الى الحضيض ، هذا امر مفروغ منه . اما هذه العفلة التي اسفحت يونس ، فامرها حين ، انها اخطاء تذكره به عندما كان طفلا يتبول على نفسه . منيح له جسمه وسطبه وتعطره وترشه بالبودرة .. انها تفعل الآن نفس الشيء ، تسمح القانورات .. وتعد عنه شرور تلك المرأة وقادوراتها .

اتخذ يونس موقفا مغايرا لذلك الذي كان مع ابيه . عرف من ابدية الا مائدة من مناقشتها ، وكان منه وبين نفسه تجعل نهاية هذا اللقاء ، ليذهب الى ماطية . وبطنها ، وهو لا تصور انهم يريدون ابداءه سببه .. بهذا الذي تهدد به امه ، هو مجرد امعالات عبر عاقلة . ومع ذلك سوف يواحه اياه ، ويطلب منه ان يعمده بالا يسى استحدام سلطانه في امور شخصية ، لا دخل لها بعمله ككاتب عام .

هل من المفعول ان يلقو النقص على ماطية ، وتدخل السجن ، لمجرد انه على علاقة بها .

وامسكت رهيرة بمد يونس ، وسحبه معها الى حياج ابيه الذي قائله صامت . ماد يفعل من هذا المارق الذي يفرضونه عليه ، لم لا يتركوه وشسامه ، يتركوه لأخطائه وتروائه ، انه كبير ، تخرج من الحامية ، وليس طفلا مازال يتبول على نفسه كما تريد ان توهبه امه ، انه مهين له عسل ، يريد ان يعكر سمه ، ويشعر بسمه ، لا يريد احدا يعرض عليه المشاعر او الامكار . ان امه تريد ان تسحق غطية تحت اقدامها لتنتهذه

منها .. كان ماطية عقرب سلم . هل تصور امه انه مازال حبيبا في رحمها . ما اقرب هذه الشخصيات التي تحيط به في هذه الحسرة .

ابوه وامه اللذان اخرجاه الى الدنيا ، وسارة شقيقته ، ما الذي يريدونه ، ما الذي يملونه ، العمود ؟ الحاء ؟ السلطة ؟ المال ؟ ايقول لهم انه عثر في ماطية على شيء مختلف . شيء لا يعرض نفسه ، ولا يحد نفسه بتفرض عليه . انها تقدم به ، ما يتوه فيه ، ما يسي به انه وهذه يتمرج على الآخرين . انها تقدم به مشاركة لا صلة لها بالحاء والسلطة .. تقدم له ما يستسلم له ، ويديج منه وهو مرتاح بلا مظاهر او قبود . تقدم له لحظات ستر بها ، لها قبيلتها ، تبتلى بها بسمه فترداد ثراء وخصوبة .

كان ابوه يريد ان يترك كل شيء لزهيرة ، لواصل صيته ، اراد ان يكون عاديا ، نقيذب ، وقال لاب صوت شارد هادي .  
— على فكرة بلوننس .

سمما من ابيه ، ما انتظر منه ان يكمل وان يتحدث من هذه الفكرة ولكن هاهو ابوه يردد كلاما عاديا ، بصوت غير حقيقي ، انه يتحدث عن بطاقة عضوية لحرية للمادى ، ليس ذلك الذي كان يريد ان يقوله اول الامر . لابد ان يتصرف بسرعة ، قل ان تفتخر الفكرة في رأس ابيه .

لانه لن يقلها . ولانه يعرف مقدما ما الذي تهدد اليه لن يدع لهم فرصة للراحة واللقاط الانماس ، لن يسمح لهم بان يوقعوا استسلامه .

واسطلقت الكلمات من فم يونس .

— انا حر في شئونى .

صرخت الام :

— ماذا تقول ؟

وأصدرت زهيرة قراراتها ، وعلى يونس أن يقل  
بحول كل اذى كان يبه ويب قاطبة ، الى شيء لم يكن .

وسمع الأب يقول :

— أنت ظروفك مختلفة عن بقية الناس ، وما يستطيع  
الأخرون أن يستمعوا له غير مسموح به ، ولا متاح أن يمارسه  
بنفسه لقدر من الحرية ، لاسا مطالبون بأن يكون قدوة للناس .

والفتت الأب الى سارة ، كانه كان لا يريد أن تسمع منه  
ما سوف يقوله . ومع ذلك مضى يقول :

— يا أمي .. اذا كنت تريد أن تسمى معها بعض الوقت ..  
فاسأل أميها مات يكتي .

قالت زهيره

— أن يمر اسبوع قبل أن احذر لك اجل مات مصر  
وستزوجها .

واحبها بالصمت ، لا يفري ماذا يقول ، لا يستطيع أن  
يكون واضحاً وثقاً مثلها ، ولا يستطيع أن يتحدث بهذه البساطة  
عن المستقبل ، انه لم يكر من الزواج ، ولا يصر انه واحد انه  
ستزوج فاضلة يوماً ، هذا موضوع لا يستطيع أن يناقشه ،  
على الأثر وسط هؤلاء .. وفي هذه الظروف ، لانه موضوع بدخله  
من منطقة عاصفة مبهمة ، مكل به يعرفه هو انه يذهب الى مظهره .  
وانه وعدها بحياتها .. وانه يحبها .. نعم يحبها .. والا ماذا  
تكون هذه العلاقة الحميمة بينها ، والتي تسمح له أن يتعامل معها  
ومع خيراتها انفس تعاونوا رؤسها معها ومع محاسن . قالت له  
انه قريب لها . . وقالت لهم انه شقيق زوجها السابق . هو  
شقيق طلعت . ماذا يقول انه لو كلاماً كثيراً ، وخرعت معه ،  
ولم يصدر عنها شجار ولا صيوت مرتفع ، وحرص ألا يقتضى  
الليل عن نفسها . لقد شعر . وربما كان هذا مجرد شعور لا تدعيه  
الحقيقة ، أن الحيران معطون عليه . أو على الأقل بقدره انه

لى مشكلة ، وانها مشكلة انسانية ، لأنها تخص هذه المرأة  
محاسن ، التي هجرها زوجها .

مدام فيكتوريا المدرسة ، والدكتور سعد الصبلي ، والآنسة  
رحمي المحامي وابنه الطيار وبرعى السال ، وسليمان الكوحي .  
الكل .. لم يعترضوا ، لم يهددوا ، الكل في عيوبهم بهم وعصفت ،  
ماذا ينتظر غير هذا من حصاره اسكندرية ، ولكن الشاعر الذي  
بواجهه الآن في هذه الجرة ، توشت أن تقوص كل ما له صلة  
بالمطبخ والمهم .

هذات السوس ، أو هكذا تظاهرت فلوسهم . هدنة لالتقاء  
الاعلى ، وثقة من جانب الأم ، أن وجودها وقراراتها تنفذ  
لا ريب فيها . غدا يعود يونس الى عمله . ولكن في احسارته  
القائمة سببها بباثرة الى القاهرة . وقد يستطيع والده  
حلل هذه البسرة بقية الى مكاتب الشركة في القاهرة ، وفي كل  
لاحوال ، سوف تكون قد اعادت له عروسه التي تزفها أبيه ..  
حتى يونس بابيه وهو خارج من طريقته الى البسرة . وقال  
له وهو ينظر في وجهه شبات :

— أمي .. أنك لن تسيء اليها .. لن تظلمها .

قال الأب في وقار وصوت حاد :

— ماذا مضى .. ما لدى يدو من رأسك .. ؟

— قال يونس بلحجه رداء

— ارحو الا تدر كلام أمي .

قال لسان نعام

— العنابة ليست ملكي

معال يونس مرسكا

سهي لم تفعل شيئاً يحالف القانون ..

تصور الأب ، أن ابنه يعقد معه صفقة . الولد يتعهد بأن  
يبتعد عن المرأة . ولاب يتعهد ألا يضرها .

وكان موسى يكمل قائلا :

— اذا كانت متهمة بشيء .. فلماذا ايضا ؟

قال الأب مقاطعا . لا يريد أن يسمع ابنه يقول انه مختب .

— احذر على أى حال . وأرجو أن تكون هذه مجرد حكاية

سليمة ..

وتوقف الأب فجأة . وقال بلهجة غريبة :

— أنت تعلم أن أيامي معدودة في اثنينا ، وأبلى كبير في

مد مدة الخدمة .. ولن ترعى بابونس أن تكون مسما في ضياع

هذه الفرصة .. فكأنك تدعنى دما الى قبرى ، وتقول لى لم تعد

فى حاجة اليك .

هيس يونس فى ألم :

— هذا آخر ما افكر فيه

عزيت الأب على كتفه .. واستدار متحيا الى باب الفندق ،

لموحد سيد العتر يحبه .. ويقول له أن الهائم قد أنت امعابها

بالسيارة ..

يقال النائب الصام :

— ادن .. ساطلب من العقيد رائت ان يرسل احدا لفحص

الموتور ..

قال سيد العتر واجبا ..

— الموتور .. ممتاز وعلى ضمانتى يا الفندم .

قالها سيد ، وهو يقرر بيده وبين نفسه ، أن العقيد رائت

مدير الحيلة الميكانيكية بالمرور ، هو آخر من يسمح له بالتدخل

فى هذه الصفقة . لقد اعد كل التعبيرات فى السيارة ماتقن ،

ولكن رائت ورجاله ، سيهرقون سرعة أن أرقام الموتور حدث

بها تعبير . لماذا يعقد هذا الرجل الأمور .

صاح سيد محاولا استرعاء النائب العلم ..

— لو سعادتك تركت كل شيء لى .. أقدم لك السيارة

مأرخصة .. بالمفتاح .. فون أن تقبب سعادتك فى أى شيء .

قال النائب العلم بإصرار :

— لا يا سيد .. سأفحص السيارة أولا ..

قال سيد وهو بكم غمظه من غناه لا يطبقه .. ويهدده :

— أترك يا الفندم ..

لن تتم الصفقة .. سيهود ويرفع الثمن ، ويقول أن صاحب

السيارة طبع من ثمن أكثر ، ولو تعقدت الأمور سيترك السيارة ،

وتحمل حسارة ما انقعه فى تعبير معالها . لاند من عطية جديدة

أو علبتين يقوم بها بسرعة للمويفض هذه الحسارة التى لا معنى

لها . حسارة لنحرم من نصـرمات غنية ، وتلحق بالنائب العلم

والهائم زوجته ، وتلحق بسيد العتر .

واسرع موسى الى ساطية ، كانت تعلم بكل ما حدث ، قبل

أن يقول لها حرفا واحدا . فى حوار صامت ولدت العلاقة بينهما

وفى حوار صامت تفهم معه على كل شيء ، وتعرف كل شيء .

كانت تعرف أن أهله عرفوا ما بينهما ، وأنهم اعترضوا ،

وبالأمس أحدثه من أحسانها . نهى الآن نصيه ، كما يحبها .

وسوف نفتت له أنه يستطيع أن يعتمد عليها كما تعتمد هى عليه .

كل شيء متغير الآن ، وهى مسئولة عنه ، كما هو مسئول عنها .

لها مقترنان ، يتصهران . سوف يبقى معها ولن يتركها ، كيف

يقول أنه ذاهب الى عمله غدا .

قالت :

— ابق معى ..

قال :

— لا أستطيع . العمل ينتظرنى ،

قالت :

— تاحر يوما . أنا فى حلة اليك .

لو بقي ، سوف تعمده بحفان ، سوف تسمده ، سوف تجعل  
كل لحظاته أمرا .. أنها .. أن يشعر بكيانها ، وليسوف يعطيه  
وتمتق عليه ، وسوف يأكل من طرحها كل ما تشتهي نفسه .

لكنه صمم على السفر . كان تصميمه غير عادي ، ولهفته  
عصبية .. فلم تقبل منه ما رآته هروبا ، ثم لم تقبل منه أنه مرهق ،  
ومالب به وهو خارج من سبها . بها كبت سمى أو استمع إليها  
ولم يتركها في هذه الأيام ولد رأت أنه لا يأخذ كلامها سمى  
الاحساس بالخطورة الذي يمانى منه قلب صاحبك دينا يقهر كل  
الاحطار وتربح كل المخاوف وتطرد هذا الاحساس الملح :

.. من يفرى .. قد أحمر لك في المسكر .. وثمة  
بعك ..

سحك . وقال مرتك

— ومخاسين .

قالت بسرعة

— ماله مخاسين .. ؟

رمصت أن صحيح بشي ، فليس بينها احد ، لا ابيه ولا ابوه ،  
ولا مخاسين .

وكنت صافقة في حديثها ، فاسباب الخطر كانت تتجمع  
كما حدثها قلبها ، وجاء بعد يومين من يونس ، سعد القمر ..  
ورغم ظهوره المساحي ما كانت تراه حتى اتقنت أنها كانت  
تتوقعه ، وكان وثقا من نفسه ، ولابد أنه عرف أن اهل يونس  
يعارضون اتصاله بها . وأن يونس وحده ، لا يسنده احد .  
وكان سيد القمر يفرس ملامحها في دهشة ، فهو لم يتوقع أن  
يرى ابوجه الذي رآه والملاح المرتمة فيه .

كان يقول لنفسه المرأة تعبرت ، شكلها غريب ، غير بالوف ،  
كانه لا يعرفها .

يقال يحاطبها وهو يقاوم تلك العربية التي تتحصن وراءها ،  
انه يريد أن يطمئن عليها .

وسمعه يسألها

— مر أنت حنة منى . ؟

كان يعرف أنها حائمه ، وتبني أن تعترف ، اذا لم تعترف ،  
مهي مارالت فتوهم أن يونس قادر على حمايتها ، الآن سوف يبدد  
هذه الاوهام ، سوف يحرق الحصار ويحطم التحصينات ، الآن  
سوف يبعدها الى اصلها ، الى ما كبت عليه .

لم تحب . قضى يستترها بعموية بالعة ..

— انا عمري ما مكرب في ادبك .. ان سيد العمر به عاطية  
.. كنت يكرها .. انت تتحلى اشياء غير صحيحة .. وتخطي من  
رأسك اوعاها كك عطف من عند . انت لا تعرفين من الذي  
بحث ومن الذي يكرهك .. انفسم انك عبيطة .. لا تعرفين  
مصلحتك .

وقرر أن يصرب صرجه ، قال :

— انت لا تعرفين من الذي يستطيع أن يهتك .. ومن  
لدى حرصك بهذه

مهمت ماذا معيه . الكلب يتعرا . من اتاح لهذا الثعبان أن  
يخرج من حجرة .

قالت بصعوبة . من ان تطرده

— ماد تريد أن تقول .. ؟

سمعته يقول :

— انت تعتمدين على حائط مائل يا عاطية ..

وعمر معيه كما لو ان خاطرا شيطسا يعرث من رأسه ،  
وبراء معيه ..

وقال باسمها :

— انت غلطانة .. واعرف انك في ورطه ..

وبعث القسوة في ملامح وجهه ..

— اسمعنى جيدا .. هذا لمصلحتك ولمصلحة ابنتك ..

حانت ، أصليا ذعر ، هذا الثعلب الذي جاء من قبل نذر  
شؤم يقول لها ان طلعت سبركها ، تعاود شؤمه . سبقول لها ان  
يونس ..

ولكنها لا تريد أن تسمع . انكشيت ، جسدها يرتجف ..  
الخوف يضعفها .

سمعت صوته أمرا :

— قلت لك لا تترجعي . المسألة بسيطة .. صاحبنا ..  
أبوه ، يخرّب بيته . هو وأبوه .. منعه من الحصول البك ..  
سبق وهدرتك أنهم اشرار ..

صاحت لتستجمع قواها ..

— لماذا تقول لى هذا .. ؟

صاح بدوره ينتقم ، يرد الصاع صاعين ..

— لأنى أعرف ما بيكما .. انه يأنى وكأنه الكل لى الكل ،  
ليفررك .. وهذا لا أرضاه .. انه يخدمك ..

صاحت :

— لا شأن لك به ..

قال هادرا :

— بل لى شأن وستين شأن وشان . أنا سيد العتر الذي  
سينقذك من هؤلاء الأشرار .. اسمعنى جيدا يا فاطمة ، تحت  
سيارتى .. تنتظر .. لا يبك مثلها صاحبك .. يونس .. لا هو  
ولا أبوه ، ستركها ، ونخرج من هذا البلد .. صدقنى .. سأذهب  
بك الى ليبيا .. الى تونس الجزائر .. المغرب .. منعش بها ..  
سأزوجهك ..

صاحت بفرع :

— أبعد عني ....

ماقتربه منها ، عمراحت ، وتراحت ، انتقم ، وصاحت  
فى ذعر :

— اياك ان تقترب .. أنت تعرف انه لن يسكت لك .

صاح مسيّد :

— وأنا لن أبكت له ..

تقدم منها وصوت كالبحر يخرج من فمه .

— هل تطلين نفسك قادرة على مقاومتى .. سوف ترين .

— أجعلك تطلين أقدامى هذه .

صرخت .. بأعلى صوت :

— يلهوى .. الحقونى ..

يرمحر وهو يهرج مطواه من جيبه ..

— لو رفعت صوتك .. سأبزقك ..

ضمت فى صراخها .. لا أهمية لى شيء .. يهددها ، او

يذبحها ، لا أهمية لهذا ..

ويوقف سيد . وكس قد انجرت فى الكاء ، تطم وجهه .

وكليا ارتفع صراخها ، راد هدة .. وكليا اشد دمرها ،  
اتطأت شملة حاسه .

انهارت على بضع ، وهى تسمعه يردد بصوت رتيب :

— خلاص .. خلاص .. أسمعنى .. وحطى علك فى

رأسك . وصدقنى ، الولد يونس ، لن يأنى الى هنا مرة ثانية ..

وإذا كنت لا تصدقن ، أقوله . هناك عبرى سبقون لك ما هو  
المن وائد مرارة من هذا .. ؟

وتركها وخرج . لتنبه الى محاسن مدعورة مخضنة فى

حجرتها ، ما كانت تراها حتى انجرت فى بكاء كانت كانت تكتبه  
رميا .

ولكن لم تبض ساعة حتى تحققت كلمات سيد العتر ، هادها

ضابط شرطة ، قال لها فى أب شديد ، ان شكوى وصلت

## الفصل الرابع عشر

كان زواج يونس وفاطمة ، صدمة أصابت الجميع بدهول ، بدأ وكأنه هدوء يعقب العاصفة . وكانت الصدمة الكبرى في بيت النائب العام ، الذي انهار امام النبا واعتكف في بيته . وسواء كان مريضاً أم بيطاهر بالمرض حتى لا يواجه الفضيحة بين الناس ، فإنه عجز تماماً عن التصرف ..

.. ولم تسمعهم رهيرة هائم مرآى ، نقد انهارت هي الأخرى فكانت تصرخ وتولول وتلطم حديها مثل إبة امرأة ثكبت في أمها الوحيد .. وعانت من نوبات هستيرية . لم تحفظها أقراص المهدئات التي استطعت بثها كميات بخساعة . وأصابها فرغ من قوى رهينة نابضة توشك أن تنقص عليها وتصرمها ، كما صرعت أنها يونس . وبقت الثقة في الأطباء ، فطحات إلى بحرين وقارنى الكك . وكل من تسمع عنه أنه صاحب قنرات بحرية ويستطيع أن يعمل عملاً منفر يونس من العونة التي اختلطت . وبميدة إلى ست أمه . وانتهت كل هذه المحاولات إلى شعور قائم بالمعجز والشلل ، فاملات مرارة واعلمت أنها انقست أن الدنيا كلها شرور ، وأنها دسا عرور .. يتحكم فيها اللمس ، ولا يتصرف فيها إلا الشر . وتهيات لها ظروف العوبة والاستغفار من دنوب هذه النساء البانية ، عندها أخبرت الدولة عبد الحميد مسقفوت ليرأس بعثة الحج المصرية تكريماً به قبل أن يحال إلى المعاش مايا . وعاشت رهيرة

الى الشرطة ، بأنها تدبر بينها الدعرة ، وأنهم أحروا تحريك ، وعلمو أنها تستقبل شلماً أعرب في بيتها ..  
 وقال لها الضابط باصحا :

— لماذا لا تدعين الى بيت حباك .. أنه قادر على حمايتك .. وتركها الضابط ، وهي تترنح ، لا ترى شيئاً أمامها . اعلمت على نفسها باب شقتها . ومكرت من الانحار . لولا مجلس لانحرت .

هل صحيح ان يونس لن يعود . لابد أن شيئاً ما قد حدث . ان سيد العتر يعرف الكثير ..

واسرعت الى مكتب الطيبون ، وطلبت يوسى .. ما كانت تسمع صوته حتى هتفت باكياً . لاهة .

— الحقى ، سيد العتر ، والشرطة ، جاءوا البيت ، وسمعته يقول :

— ساكون عندك في الحال ..

فخل عليها ، شجاعاً ، غارماً ، رحلاً ولا كل الرجال ، سمع ما قاله ، ورأسه مرفوعة ، لم يحف ، ولم متردد ، وكان في عينيه بريق ساطع وفي صوته نعم طو .

قال لها :

— كل هذا كلام فارغ ..

— نقول كلام فارغ .. لنعود الى المعسكر .. قال لها :

— لا بأحييتي .. اقول كلام فارغ .. لاني سأأروحك

الآن ..

وقبل أن تتم الساعة . كان المادون في مكتبه يعقد القرائ الذي شهد عليه . اثنا احضرها الماذون ، اثنا ، رجلاً ، غلباً مواساً ، قالاً لماطبة ويوسى ، مبروك وقبى كل واحد منها ضمة حبيبات .



مع عند الحبيب أيام الحج ومناجسته في أيتها متصلة ودعاء لا يتقطع ، وكانت تنقلب عند الحبيب صفوت ثوبت مكاء وهو يصلى ، وكان يطيل السجود ، وبصرب محبته الأرض ، في حنين الى التراب الذي يوشك أن يعود اليه جسده ، وهو يستغفر الله من الذنوب التي ارتكبها ، ويتعجل الراحة الأبدية وان كان في قرارة نفسه حس الى أيام يمسي لو تعود من يشبه المعجزة . ولكنه لا يجرؤ على أن ينصح عن هذه الآيات . لأنه كلما تذكره شعر بالمهانة التي انتهى اليها ..

ولما عاد عند الحبيب صفوت من الحج ، كان المستقلون به ولرهيرة هائم ، أقل من المودعين لهما ، فقد أعلن اسم النائب العام الجديد ، ولم يعد عند الحبيب صفوت من رجال السلطة ، وأعلنت الحاجة رهيرة أنها من أنصار التمسك بالحبيب للسنداب اللاتى جنس لتنهيتها . وثق حرس التلفون ، وسمعت رهيرة صوت يونس بهيها هي ووالده سلامة العودة .. وسفان في الحضور الى القاهرة ليزروها .

قلت له الحاجة رهيرة بصوت صارم .

— أبوك يقول .. أنا حثت لنفعل وحدك .

فاجاب يونس بهدوء ، ولهجة أشد صرامة :

— ولكنى لست وحدى .

ولم يحضر يونس ، وكان يمسي لو كان محوار أنه في تلك الأيام القاسية الصعبة التي حرج منها من السلطة وتحيل الى المصائب .

وكان يونس لا يجد أحدا سوى مستر كلارك يبحث معه في بعض همومه ، فقد عزله رواجه عن أسرته ومعارفه القريبين . كما أن عاطفة تعيش في عزلة وكأنها مقطوعة من شجرة . وكان كلارك يعجب بشدة الارتباط العائلى بين النساء ولأنه عند الشرقيين ، وكان يقول ليونس أن رحلة المحور ، يقصد إياه ،

كان يطلع قاصدا في محبه سفت نول بولاية مينيسوتا . ولما بلغ كلارك الرابعة عشرة كان يعيش من مصروفه وترك الست في السادسة عشرة بعد وفاة أمه ، وتنقل في عدة مدن يبحث عن عمل ، لما الرجل المحور فقد سافر الى شيلى ، وتزوج من امرأة أخرى ومن يوم لم يره . حتى علم بأ وفاته وهو في مسام . إذ جاءه خطاب من مكتب المحاماة ، يحضره بأن وادد ترك له في وصيه بعض أسهم كانت تملكها أمه من شركة مس . سى لتصدير الفواكه .

قال يونس ملقا على كلام كلارك ، أنه كان يريد أن يذهب مع زوجته الى أمه واسه ، ولكنهم اتفقا ألا يعترضا بالروح . وكان يطر أن ذهبا الى الحج سطرهما من كل مشاعر العصب يبقلا رواجه ويعود الصفاء الى العلاقة بين الأسر وأبويه .

قال كلارك مليا :

— ولكن ما فعلته يابونس هو عجيب وغير متوقع في أى مجتمع ، وفي أى بلد ، سواء في الشرق أو الغرب .

قال يونس بهدوء :

— ليس غرب أن أحب .. وأن اثروح من أحببت ..

قال كلارك

— هذا صحيح .. ولكن العريب حقا .. هو أنك أحب قاطعه يونس محتفظا بهدوء

— لك لا تتخذ قرارا بأن تحب .. والحب يحل قلبك من حيث لا تدري .

قال كلارك

— ربما .. ولكن أظن أنك في حالتك هذه ، أردت شيئا أحسب غير الحب .. فانهى بك الأمر الى هذا الذى تقول أنه حب ..

قال يونس :

— نعم .. لا أنكر هذا .. فقد كنت أول الأمر أريد أن أشعر باحترامى لنفسى ، وأنى أقف ضد الظلم .. وأستطيع أن أقدم المون والمساعدة لمن هى فى حاجة اليها .. ولم أجد شيئاً يمنحنى القوة لأحقق ما أريده سوى الحب .

قال كلارك :

— أنت يا عزيزى تتحدث عن الدين .. لا الحب .

وارتد كلارك

— حقا أنت ابن هذه البلاد .. كل شيء يتحول الى مشاعر دينيية .. حتى الحب .

قال يونس وهو يشيح بوجهه ، من اتجاه الطريق الممضى الى الاسكندرية :

— ولكنه ليس تماما مثل الشعور الدينى الذى جعل أبوى يهودان من الحج لبرنسلان رؤية زوحتى .

قال كلارك :

— يبدو أنهما أقرب الى الاسلام .. أما أنت فأقرب الى المسيحية ..

نصاح يونس فاضحا :

— هذه معان يتحدثون عنها مثير لهم ، الاسلام فيه رحمة ونسامح .. بلا حدود .. والاسلام يحتوى على الحب الذى دعت اليه المسيحية .. لأن الاسلام يكمل مااء الدين ويحتتم رسالة السماء ، فهو لا ينقص ولا يهدم ، بل يكمل ويطور .. الاسلام فيه كل رسالات السماء .

قال كلارك بسرعة :

— لا أريد أن أتورط معك فى مناقشة دينية .. فهذا هو ما حذرونى منه قبل أن أجيرء الى بلادكم ، وأرحو الا تضرب أو تسيء فهمى ..

قال يونس ضاحكا :

— لن افصيب .. ولكنك بحاجة الى ان تفهم حقيقة مشاعرنا الدينية .. فقال كلارك ساعرا :

— يبدو لى من كلامك ان والديك فى نفس الحاجة الى فهم حقيقة المشاعر الدينية ..

ولو كان يونس يقرأ العيب ، لقال لكلارك أنه محق من ملاحظته لساحرة ، لقد اتحد الشعور الدينى عند رهيرة هائم اتجاهها الى الاهتمام برى اسلامى خاص ، رسمته سببها ، وقالت أنه الذى يتفق مع احكام اشسرع ، ويجمع بين الاناقة والوقار . وكان الرى يشمل غطا للرأس مكون من طربوش يعطى بعللة حريرية شفافة ، تلمها حول رقبتها ، ولحسان ماكهام طويلة ، وله كتفان بارزان . وصدر موشى بحرز لامع او شرائط مرقاة حتى بحمر ، ثم سمرج الفستان على شكل ناقوس ، ونسندل حتى اصابع القدمين ، وأعدت الحاجة رهيرة هائم مجموعات من هذا الرى ، كل طقم له لون موحد .. سفسى او احمر او لبيوس او ارق او سى ، وكان اللون واحداً من الطربوش والخلالة وقبائش السستان وحلد الحذاء وكانت زهرة هائم وهى فى زيبا الذى صممه ، أشبه بمائلة فى رواية تاريخية ، تتحرك على خشبة مسرح الحياة ، وهى ترصد كلمات الدور الذى طعمه ، وكلها كلمات تشرح مزايا الرى الذى برنديه ، وكفى نأ مواصفاته هى اقربها الى احكام الشرع . ولم تقلد واحدة من مزارعها زبها وقد سمرى هيس سمن أن رهيرة لم تعد فى تمام عقلها مد نصيحة أنها . وأن قالت ممضى السيدات ، ان الحركات المشبلة التى تتظاهر بها زهرة ، هى حركات متعددة ، حتى تشغل نفسها وتشتغل انتظار المحيطين بها عن التفكير فى الكارثة التى وقعت بزواج يونس من غاطمة .

وابرؤى الحاج عند الحبيب صفوت في حجرته ، لا يكلم احد ، وكان ينتظر صوت المؤذن في التضرعون لتقوم ويصلي ، وكان بين الصلاة والصلاة ، يقرأ القرآن ، أو يخرج من مكة كتب العقيدة والتفسير والكلام ويحاول قراءتها ، يقرأ عدة سطور ، يسأله ابن عباس ، ويخمو ، ومترت علاقته برهيرة ، وانقطعت صلته بسارة ، حتى فوجيء بها ذات يوم تفنحم خلوته .. وتحدثه عن المهندس مسير الساجر ، وكانت قد اتصلت به في ابداي ، وبذلت كل ما في وسعها لتحببه مرة اخرى الى المنكر في الروح منها . بعد رواج يونس من فاطمة واحالة واندها الى المعاش ، ايقنت ان نهرس رواجها اصحت شبه معنومة ، وانها قد تقصى بقية عمرها عائسا ، وكان لاند وان تتجدي هذه الظروف وتجارها .

قالت سارة للمهندس مسير :

— اني يستطيع ان يتوسط لتعيينك في شركه من شركات مرسى مرج ..

قال مسير متشككا :

— لا اظن ..

مسارعت سارة تقاطعه ، قبل ان يتورط في كلام يصانقها ، أو يضع حواجر نفسية بينها وبين هذا الثوب الذي تريد ان تحديه الى شراكها ، وقللت لسير ، ان هناك علاقة قرابة بين عائلتها وعائلة مرسى مرج ، مشتبهها هو اندي متولى الآن تربيته حفيدة المليونير ، وست المهندس طلعت . واهتم مسير بهذه الفرصة الحقيقية التي تلوح بها سارة ، سيما هذات هي نفسها على تفسيرها الذي ابتكرته لرواج يونس ، فهو ليس كارثة تماما ، فهناك مرأيا من الممكن استغلالها ، من صلة يونس بحفيدة المليونير . وهي ترحب بهذا التفسير ، لانه يفتح ابواب الامل ، ولا يتركها لليأس العقيم كما فعل والداها . فيها عجوران ، ايماء

حيل قديم بلك متجيدا عند معان قدسية ، اما هي فلابد ان تواجه الائمة بسطق آخر ، فهي تبحث عن فرص في الواقع الجديد ، بها كان مرا ومتواضعا ، وكثت سارة قد ذهبت الى امها قبل دهلها الى ابها ، تسالها المشورة في امر مسير ، فادا بالحاجة تقول لها صاحبة شردة :

— عندك ابوك .. سلمه ما تشائين .

وامطر عند الحبيب صفوت الى ان ينشط ، وان يخرج من صومعته وحسنه الانفرادي الذي فرضه على نفسه ، كان لا يستطيع مواجهة سارة ، ولا بلك سوى الاذعان لرغباتها .. فسافر الى الاسكندرية ، وهو ينفر من كل خطبوة يحطوها وبكره كل لحظة نمر به وطلب مقابلة الحاج مرسى لرج ليساله ان يقرر تعيين خطيب سارة في احدي شركاته .

واستقل الحاج مرسى النائب العام السابق بعد يوم من طلبه اللقاء ، لانه راي الا داعي لان يظهر لهنة ويحدد موعدا للقاء فور طلبه ، ولانه كان مازال مترددا في امر حبيبته محاسن رجب في البداية برواج فاطمة من يونس ، فقد أصبح لام محاسن رجل له مركزه الاجتماعي ، وان ناس يستطيع ان يحافظ على محاسن ويقدم لها رعاية مناسبة . ولا بأس من ان تكون هناك صلة بين حفيدة الأسطى الميكانيكي مرسى لرج ومائلة يونس عاتمة الكوات والمستشارين ، ويونس اثنائه محلبة وفي وجوده يظهر لا بأس به . ولكن الحاج لا ينف كثيرا عند المظاهر ، وقد تعود ان يرى كل شيء بها يحصل عليه من كسب أو ما قد يلحقه من خسارة ، وهو يفكر في محاسن كوارثة في المستقبل للماسن الحنيدات ، وادا ارتبطت محاسن بامها فاطمة وروح امها يونس ، فان هذه الملائين ستذهب الى فاطمة ويونس . وهو لم يجمع ثرواته ليسسليها لانه زكريا أو ابن عند الحبيب صفوت . كلاهما فقير ، وكلاهما

مهما احتلمت المراكز لا حق له في أن يسلب أموال الحاج مرسى وأموال من طلعت . أن الثمن الذي قد دفعه الحاج وأبنته مقابل ترخيصها بهذه الصلة المطهرة بين محاسن ويونس ابن الدوات ، سيكون ثمنا باهظا ، وها هو أبو موسى يريد أن يستفيد من صلة ابنه يونس محاسن ، يريد أن يطبخ على نصيبه من الصلقة . هكذا لناس ، والدينا مصالح . وقرر الحاج منه وبين منسه أن ينتظر عودة طلعت ليتخذ قرارا في موضوع محاسن .

ورحب الحاج مرسى ، نصيبه ، وتعيد 'لا ينكر شئ من رواج ، ومن بمنطقة ابنه طلعت ، وكان يعرف بانهار عبد الحميد ، وقد حكى له شهدي أبو اللطف انه كان مع عبد الحميد من عشاء سادى السيارات بالاسكندرية ، بعد يومين من زواج يونس ، وصادف أن تحدث المدعوون أثناء العشاء عن طرح كبير سيقام احتفالا بعمد قرآن ابن أحد الوزراء سنت سفير في ايجار حبة . وبعد انتهاء العشاء ركب عبد الحميد سيارة شهدي لتوصله إلى فندق سسبل . . . وموجه شهدي بالدموع تنهر من عسى عبد الحميد ، وهو يحاول أن يوقع أصابعه حلقة ليمسح دموعه المتساقطة على خديه . .

وهيس شهدي :

— مالك . . .

قال عبد الحميد بصوت متهدج :

— سمعتم أثناء العشاء يتحدثون عن المرح ، وتذكركم انى كنت أبني أنا وروحتى أن نحتفل بروح يونس بمرح كبير . . يحضره كل الناس ، لا أن يروح بهذه الطريقة في السر وفي مكتب مأذون .

قال شهدي :

— المهم أن يكون مرتاحا ، وكله قسمة ونصيب .

قال عبد الحميد بهرقة :

— كيف يرتاح . . وأمه غاصة عيه . . وأبنته عاصب عليه .

قال شهدي :

— سوف يأتي يوم وتصفحان .

نصوب إليه عبد الحميد عيتين دامعتين حاجلتين مبهما غضيب وقل :

— عدوى هو الذي يطلب مني أن أصفح عنه ، اتسبت الا يدخل بيني ولا أعرفه . . حتى أموت .

وكس الحاج مرسى واثقا أن عبد الحميد مبهما تظاهر بنفسه على ابنه وقطعه لأنه صلة به ، الا انه ما جاء الا يعتددا على هذه العلاقة بين يونس ومحاسن .

واستبح الحاج الى عبد الحميد وهو مطرق براسه ، ونكر مرحة ثم قال وهو يرن كل كلمة ببطء بها . . أن طلعت بنه سيعود قريبا من اليابان بعد أن يفرغ من المشروع الذي يدرسه ويعد له هناك . وأنه سيفتح شركة عالمية دولية لها مدة لمرولا في الدول العربية ، لتصنيع الآلات والعقول الحاسبة ، وسيدير طلعت الشركة ، وكل ما يستطع أن يعد به الحاج هو أنه سيطلب من طلعت أن يعين المهندس سبيل الساهر في الشركة الجديد .

هيس عبد الحميد :

— وهل سيطول الوقت ؟

قال الحاج مرسى بلهجة قوية ساحرة :

— يا عبد الحميد بك . . الوقت هو المال . . وهناك من يتصور انى اكتنز المال وكان كل مهني في أن أحصى نقودى . . وهذا لو صح يكون عبلا ناهيا . . غلبت عندي مال . . كل ما عدى موظف في مشاريع . . والثروة الحقيقية هي المشروعات والأعمال ، وليست الأموال . .

## وقال محام بلهجة قاسية :

سمعت أنك قديت أسسك في تقنية المحليين .. لماذا لا تعمل .. عمدي قصايا استطيع أن أرسلها لك ..

كان الحاج يتحدث — بلهجة مبهمة نوع من التوبيخ لم يعود عليه عند الحيد صموت ، ملبس الحاج هو الذي يعطى الدروس ويشرح الأفكار ، والرحن يتحدث كما لو كان عند الحيد حاء يتصور منه وظيفة ، ومع ذلك فهو عاجز عن أن يفتح أو يواحه التحدي مثله ، ويتم بكلمات شكر ، وعاد إلى القاهر ليسمع تطبيق الحاجة رهبره ، التي قلب له أن الصباح مرسى يريد ادلالهم .. وأنه قال أن الأمر في يد طلعت ليكون الادلال مضامعا .

أما سارة فكانت لنفسها ، أن طلعت يريد أن يقترب منها ، وفكرت في لقاء بيها وبين طلعت وتقبلت من محبتها الصبور والمواقف لاحتيالات هذا اللقاء ، فرائت في حيلها طلعت يسمى ملهوما وراءها .. وهي تتسمع ، مثلما تنبعت في أول لقاء وهديته بأن تدخله السحن ، ثم تحليت مشهدا منها وبين طلعت وهي تطلب منه عدوه لسير روحها ، وهو يستحيب لأنه يصعب مام عراء استميتها أو عراء عبيها ، ورائه وهو يطارحها بعراة ونصب منه أن يطلق روحه ، كما سبق وأن طلق روحه سابقة التي تروجهها يوسر . ثم يطق هي سير ساحر الذي لم يعد أكثر من حصر تمر عليه إلى طلعت . مشمس من أن تكون روعة المرووس ، وأن تكون زوجة الرئيس .

وكانت هذه النحيلات تطلق سارة ، وتضطهدها وتحررها من راحة النفس والرضا عنها .

وفي إحدى نوبات القلق طلعت سارة من سير خطيبتها أن يرمض العرص إذا تقدم به طلعت . وحاولت أن تقمعه بأن يتحدث عن عمل آخر ، ولكن سير رمض ، ولم يفهم ماذا وراء مظلمها

مشاركه أنتى بعد لها طلعت سوف تنتج الآلات الحاسبة والاحبره الالكترونية . وهي بصاعة العصر لحدث ومستقبلها أماته وأسعه بانتاع المصاء لكوني ، عمادا يسمى إلى عمل آخر ، بسبب أعمال كثرة أخرى مهددة بالروال ومقدان الأهمية في هذا العصر الذي يشهد الثورة التكنولوجية . وسيكون مثير عمل سـمير في بلد عرس ، ونقص مرتبه بالدسر أو لـسولار ، مكيف تتحلى عن هذه الفرصة الذهبية . إلا إذا كان معنوها .

ولم تستطع سارة أن يتكلم عنه ما في نفسها . فكانت له أن طلعت كان يوما ما يريد أن يتزوجها .  
فسالها بارتياح :

— ولماذا لم يتم الزواج ؟

فأجبت سارة

— لأنى رفضت الزواج منه ..

فقال سير متباهيا :

— هذا معناه أنه رجل طيب .. إذ يقول أن أعمل معه ..

مع أن الرجل الذي رفضت به من رفضت الزواج منه .

فأجبت سارة في غيظ :

— ألا تفكر في احتفال آخر ؟

فسالها متعاسا

— أى احتفال ؟

فأجبت سارة بصوت فاطم

— أن يكون يريد أن يستقم

فقال سير بعير اكترات :

— هذه أفكار مسيانية .. تليفزيونية يا عزيزتى .

أدركت سارة ، أنه غير مستعد لأن يقتنع لآى سبب بترك الوظيفة المعروضة عليه . بل أنه إذا كان عليه أن يختار بين سارة والوظيفة ، فلن يتردد في اختيار الوظيفة ، أنه يحارب

بكل طاقاته من أجل الوظيفة وفي سبيلها مستووس على كل شيء، من نهمة قيم أو تقاليد ، ولا يعنيه كثيرا رواج وبيت وعائلة وحب . وهي تنهيه ، لأنها أيضا تحارب بكل طاقاتها لتتزوج ، إنها تقاتل حتى لا تكون عاتبا ، ولتسوف تحمله ، ولتسوف تتروحه ، مهما كانت ضاعته . . ولكنها تعرف الآن في قراره نفسها ، أن قبول سبيل لهذه الوظيفة ، عند رئيسه طلعت ، سوف يفرض عليها مباحا لن تستطيع مقاومته ، ولماذا تقاومه . اذا ما واثت الفرصة، ولابد أن تحين ، لتلتقي بطبعته ويكون أعظم انحرافاتها ، هو أن تستسلم له .

وسمعت سبيل يقول وكأنه يراجع نفسه أو يطيشها .

— العمل لن يكون في مصر . . ومعنى ذلك أننا سنكون بمعبدتين معه .

قالت سارة لنفسها . بمعبدتين أن قريبتين ، سيكون طلعت رئيسك الذي يصدر لك الأوامر التي تفعلها . رئيسك الذي يمتحك أحرك ويكافئك ويمدحك . ولتسوف يأتي يوم تفتح فيه أمامي أبواب امراء ، وأبواب شرف ، وأبواب بركات ، وأبواب انتقام ، ولتسوف تنطلق من كل هذه الأبواب رياح عاصفة عاتبة ، ربما تقتلع كل ما سنى وبينك . أنهم يقولون الباب الذي يحنك منه الريح ، سده واستريح ، ولكنك تفتح كل الأبواب على مصراعها . ولا أحد من حولي يفكر في إغلاق الأبواب ، كأنهم يتلددون بأن نجتاحهم العاصفة . لنهني حياتهم ، ونخلصهم منها . لحياتهم هي المشكلة ، وهي الأزمة والمأرق . وهي الطريق المسدود . والشئ الوحيد الذي يملكونه ، هو أن يتخلصوا من هذه الحياة ، أن يرحلوا بكل ما يضح هذا ونهاية لهذه الحياة .

وعاد طلعت إلى الإسكندرية وكان قد عرف برواح فاطمة ويونس ، برسالة من أمه . وكان الخبر صدمة لطلعت رغم أنه كان يظن أن مثل هذا الحدث سوف يصحكه ، ويجعله يهرا من هذا الأحقق يونس الذي هبط من علقه ليتزوج لاطمة .

شعر طلعت برهنة ، وشعر لاطمة ، كأن في تصرف يونس نوعا من التفحدي ، أو العناد ، وقال طلعت لنفسه محاولا تفسير هذا الرواح للسيطر على مشاعره ، بأن هناك نوعا من الناس يبحثون عن العذاب ويتلددون باللام للتمس وأهاله الشادورات فوق رؤوسهم . وقال باحثا عن تبرير آخر ، أنه شعر منذ البداية أن يونس وعائلته منحوسون ، وأنهم ليسوا خديريين بما تقتضيه الحياة من نعم لمن يريدونها ويقتل عليها . فقد دارت الأيام دورتها المحنومة ، ورأيت دولة تلك العائلة ومثيلاتنا ، وهم مثل أي كائن حي أصلهم الشسوحوة ، بعد أن أخذوا حطهم من الحياة ولم يعد لهم لا انتظار الموت . وعمرهم بنضجهم وهذا امر لا شك منه ، ولا سبيل إلى علاجه والتعطب عليه . ولقد اكتشف في السابق كم كان مخدوعا هؤلاء المنحوسين الذين يطاهرون بأنفسهم من موميه أرقى من الشر . كان في حفل في بيت للحدث حيث دعاه السيد تاني تاني مدير شركة « ميجا » للصناعات الالكترونية . وقد فرحا من أكل الأسماك النيئة والأعشاب البحرية ، وبأنفس طبعته البانانيين في قدرته على أن يأكل أي شيء كان يعرفه أو لا يعرفه . وأعلن استعداده لأن ينفس من يريد ، أكل العشرات ماذايت غير سامة . وشرب السمكي ثم شرب الشاي مع تاني تاني ، وكلهم كان فرحه عندما سمع بصيحه وهو يكرع الشاي شقيق قوى له صوت يدوي في حجاب المكان . تذكر رهبره هاتم يوم ذهب بحطب سارة ، وكيف مظرت إليه وهو يشرب الشاي ويأكل الحاتوه ، وقامت تقدم له النوصه وكأنها تلومه على ما يرتكبه من أثم . وكيف اعتذر بها عن هجنته ، واعتياده على سارة في تهذيب حياته . لقد أخطأ . بها هم البانانيون من أرقى المسؤولين ، بخروج أصوات لم يخرج إليه راكعات راحمت حملن أطباق الطعام وأكواب الشراب . هاهي البانان بكل ما فيها من تقدم ، لانتقف عند المظاهر التي

## الفصل الخامس عشر

كانت فاطمة هي الوحيدة التي بدأ عليها أنها  
 بصرف وكان شيئاً لم يتغير في حياتها . وهي  
 لم تتغير بل شيئاً قد تغير في يونس بعد  
 الزواج ، فقد ظل كما عرفته ، لها وحدها ،  
 وهي له وحده ، وهما معزولان عن بقية العالم ،  
 أو محاصران بالعالم . وكلاهما ينظر إلى الآخر  
 فيما يشبه دهشة الأطفال ، يكاد يسأل نفسه أو  
 يسأل قرينه . . كيف جمعنا المقابر تحت سقف  
 بيت واحد .

وكان يونس يذهب إلى المعسكر فتمر الأيام رتيبة مملة أمام  
 فاطمة ، ولكنها لا تختلف عن تلك الأيام الرتيبة المملة التي كانت  
 تنصبها وهي تنظر مودة طلعت من المعسكر . وربما كانت تنظر  
 يونس ببعض المشاعر والأحاسيس التي كانت تنظر بها طلعت .  
 هكذا تعودت أن يكون الانتظار . . تنتظر بحسدها ، وباعداد  
 بشرتها وشعرها وبث العطر في ثيابها ، والتهيؤ لاستقباله ،  
 باستنارة شهيته للطعام ، والاحتفال بلمعات الحسد ، وترحيب  
 أنوثتها برحولته . والاحتفاء بوحوده ، يملأ صوته البيت ، ويتحول  
 مكانه إلى محور يدور حوله كل من تضمهم حدران البيت . هذه  
 هي الثقة التي تعودت أن تأخذها من وحوود طلعت . وهي لم  
 تتعود أن تأخذ شيئاً آخر بأسلوب آخر . ولكنها ما تكاد ترى  
 يونس أمامها ، حتى تكثف أو تتذكر أنها أمام موقف آخر غير

يمسك بها أولئك الذين حذموه ، وقالوا أنهم من عائلات حوات ،  
 اللعبة عليهم جميعاً مظاهرمهم ونقالتهم انبالية المعشوقة .

ولكن طلعت ، كان لا يستطيع أن يحمي في هذا المطلق ،  
 لأنه كان يشعر بانقراض ماضي ، من قلبه ، وبحل إليه أنه  
 يهدد نفسه ، وأنه يقبض بصراب ، ويزهو بلا شيء . وأن  
 يونس لدى حصل على فاطمة وحصل على محاسن له رؤية  
 للحياة قد تكون في نهاية الأمر هي التي تكسب وما عداها رؤى  
 حاسرة .

وهنا يشعر بأن تصرف يونس فيه حياته واستفرا  
 لا مبرر له . وما كان يحظر مثله أن يونس قادر على أن يحس  
 فاطمة ومحاسن ، بينما أهلها الحقيقيون ، حياء لا يهتدون بشيء  
 غير أنفسهم . يونس يرغم أمه وحده يبقى إلى أصحاب الشرب  
 والكرامة والمروءة . . أما طلعت فهو دودة شرهة لا يعيها إلا  
 ما تلتهمه وتبلا به بطنها أو جيوبها .

قال طلعت لنفسه إذا كنت تتعداني ما يونس ، أنا لها .  
 وما كاد طلعت يسمح إلى وجهه نظر إليه . . في أهمية بقاء  
 محاسن مع أبيها لا مع أمها . . حتى قال :  
 هذا . . أنه امرأة تاهت بين الرجال .

— هذا هو ما يجب أن يكون فلن أترك استنى مع يونس  
 وقال الحاج مرسى ضاحكاً :

— أبوه يتراجع في بعض القضايا التي أرسلتها له .  
 وهو يحصل من على ألعاب لا بأس بها . . لماذا لا نكلمه  
 بقصية انقراض محاسن من بيت أمه .  
 ويتم طلعت في غضب .  
 — لا قصايا . . ولا مرامعات . . البنت ابتنى ، فمن يقف  
 في طريق أبيه .

فلك الذي تعودت عليه . وهو موقف مختلف تماما ، والرجل الذي جاء يختلف عن طلعت ، وليس في هذا ما يقلل من أهميته ، فهي تحبه ، وتشعر بان له هبة ورهبة . وهو يحبها ، ولكنها لا تدرى كيف ، وثيق فيه ، ولا تدرى كيف . فدهشتها معه دائمة ، وعجبها منه لا ينقطع . وهو محول حياتها الى نوع من المعامرة العجيبة ، يحقق لها قسما ، كما لم يحقق مع طلعت . . ويشيط لها علقها كما لم يشيط مع طلعت . يقول لها كلاما لا تتوقعه ، ولا يد له ان يشرحه حتى تفهمه ، وأحيانا لا يفهمها معها شرح وأطال في الشرح ، وقد يطلق كلمات غريبة أو يطلب منها كلمات غريبة . قال لها ذات مرة انه يريد ان يشرب قهوة ملين . صحتك فهي لا تتصور قهوة مخلوطة باللس . ولم تفهم ما قاله . ولكنه رقيق دائما ، وهي تحاول ان تفهم وأن تتعود ، رغم أن ما يطلبه يبدو ثائبا أحيانا ، أو يثير حقها أحيانا . ولما عرضت ما الذي يصبه بالقهوة باللس ، وحدث أنها شراب سحيف لا معنى له . . ولا علاقة به باللس الخوج البسعي المحروق . وكان يصبر على وصع الاطباق والشوك والملاصق والسكرات . وترتيب معين للسانة ، وكان يرفض أن يشرب الشاي بالسكر ، ويصرحك ويقول لها انه يعرف أناسا يمس عليهم لو عرفوا أنها تصح سمع قطع سكر في اشاي . أوشكت في مرات عديدة أن تنور ، وإن ترفض ما يطلبه ، أو تنهيه بانه يسخر منها ، ويخرجها ويهينها . . ولكنها كانت تراجع نفسها في اللحظة الأخيرة . وتقول ان كل ما يطلبه ثابه وبسيط . مقبل ما يقدمه لها بوحوده من حيلة واهتمام ورعاية . لقد تروخها وحارب الدنيا كلها من أجلها ، ولولا ذلك ما كانت تعرف ماذا يكون مصيرها ومصير محاسن . قد احدثت منه ما يوارى بل بموق كل الاحاثات وكل الحروج التي سحق الكرامة ، وليس سمها سبيل لاهابه ، منها فعل ومنها قال ، فهو رحلها . الذي رضى بها روحة ، ويحمل مسئولية ان أساء ركريب وأساء شقيقة ، وأساء مقبرة ، وأساء مطلقه ، وأساء به

تتعلم . فإذا كان يقلل كل هذا ويرضى به ، أفلا تقبل وترضى بكلمات يقولها . جراحة أو غير جراحة .

أما لا تخاف منه ، بل تحاف نفسها تخشى أن يملت منها الربام الذي تضط به نفسها ، تخشى أن تنابها ، نوبة جموح وطش ، فهي تعرف نفسها ، وهي حياء رعباء ، ولقد كان طلعت يعرف هذا ، ويعاملها كما كان يقول لها على أنها طيق مهلبية ، أما يونس فيعاملها كما لو كانت شينا آخر ، لم تنبيه بعد ، ولكنه يعطيها أهمية ، ويبدل هذا لكي يعلمها ، ولو جحت مستنقطع علاقتها به . . والتي تقوم على أشياء غير محسوسة ولكنها واثقة من وجودها .

ومع ذلك فهي تحاول عبورها ان تعلم يونس كيف يتصرف عليها ، وهو خام وبكر ، يتعلم ولا يرفض ولكنه عجول شديد الحياء ، كانت ذات مرة في الحمام ، فبانتته وسمعت صوته من الخارج ، ولم تفهم ما الذي ينفعه من مدح الباب والفخول عليها . اللس روحها ، أليست حلاله ، وليس بينه وبينها تحفظ ووقار في كل لحظة . . ولقد ظلت في بداية معرفتها به . أنه من ذلك النوع من الرجال الذين لا يهتمون بحسد المرأة ، لانهم عاجزون عن الاستمتاع به ، ولكنها عندما مرتته ، ولم تتبين فيه العجز ، ولكنها ليس نهيا ، ولا تنحصر شغفه في الاكل والجسد ، فهو يحب القراءة ، ويسمع موسيقى لا تفهمها ولا تحبها . وتمودت ان تتركه وشائه . وأن تحببه كما كانت تقول له معيبتها وأهذاب معيبتها ، وعرفت أيضا أن من حقها أن تدعوه إليها ، لانه لن يأتي إذا لم تشجعه ، ولم يتبين أنها مستعدة للقاءه ، وها هي تضاهيه أن يفتح باب الحمام ما كان طلعت في حاجة الى هذا الدماء ، بل قد كانت تعلق الباب حتى لا يقتحمها معينين جاععين وغرض عليها باليس لها رغبة فيه .



وسمعت صوت يونس . كان مرتبكا . وكان يدعى أنه لم يسمع ..

— ماذا تقولين ؟

صاحبت

— لماذا لا تدخل ؟

— قال بعدها سؤلها .

— أتريدين شيئا ؟

قالت تتجاهل تجاهله

— هل أنت مكسوف من ؟

قال :

— أبدا ..

انتسبت وهي تراه بحالها وانما وراء الباب ، يرتبكا .. وصاحبت وهي تشعر بقوتها ، وانما تعلمه أشياء ، سوف يجد منه بعبه وصلة أوثق بها ..

وأطل عليها ، وجهه محمر ، الحجل واضح ، يظهر بان ما يربكه رداد ماء ورشوى الحصى أنه لا يريد أن يستسلم بطبعه الأشياء ، لا يريد أن يرتب نفسه على سحبتها ، هذا هو ليهذب لدى أحده عن أهله ، ويعود عليه من العالم لدى حاء منه . لا يستطيع أن يخرج من عالمه ، ولا أن يغير حله كما لا يستطيع من أن تحاربه نساء يعود عنه ويكن أحده مسككة . أن ابوثتها كصلة ماحبوا هذه المشككة . أن لأنونه تردد سمع وحصوبة وهي تواحه نفسها ، هذا هو ما يذهب لأنونه الر لذكورة والذكورة إلى لأنونه وهي معترف أنها عسما تحي به بولد ، سوف تنتهي بمشاكل الفرقة ، ودمياء التي تحفظ من نياها . فمالولادة سوف تتجمع الأصداد ، وتعلو بالأمومة فوق الأنوثة ، كما يعلو هو بأنونه فوق ذكورية بكل ما فيها من مرددة وعزلة .

كانت ترى من يونس كيانا عالما ومعبا غالبا ، فهو العالي العربي ، هكذا كانت تهمس روحها ، وكانت ترى أن الحمل قد نُحر . والولد يتلكا في الإعلان عن مقبته ، لأنها ليست مهابة بعد لأن تصع في بطنها أمن هذا الرجل . نباله من قبالة وأصالة . كنت ترى أن جسدها لم ينتها بعد لانتقال كل المعاني التي حملها الأب ، والتي سوف يرثها ابنه من خلال جسدها .

وكانت ترقد بحوار يونس في السرير ، أو تجلس أحيانا على حافة سرير تيشط شعرها ، نبالا هو يقرأ حريدة ، وهي تستمع من جسدها كل طاقاته لتواحه من لحظة قابضة العجل الكبير الذي سوف يقدم عليه وتمخره . ال تلد ابن يونس ، وكانت تهمس في أفه بصوتها الدافئ الرخيم :

— لابد أن يكون صورة بك ..

مقول صاحكا :

— سيكون أحسن .. لأنه بك .

وكانت تمشي بحر ورهوا ، ولكنها لا تسبح به سر رهوها ، إذ كن كلامه يمس أنها أحسن من أمه . وهي تحشى أن سمه إلى ذلك . ولكنها تحب أن تهمس له من وقت لآخر منسج منه نفس الأحبة . ممثليها يبدأ الفجر ولرهو اندى ما عزمته طوال حياتها من قل مع يونس .

وكانت تحلم بذلك الولد ، اندى هو ابنه وهو يكر وهي أمه ومعجب كيف تتعامل مع هذا الذي سيكون أنها ، ولا شك أن اسمه سيكون عند الحبيب صموت ، على اسم جده . وهو اسم غرب نبالا عليها . ولكنها لا تصور أن يكون اسم أنها زكريا . وهي لا تريد ، ولكنها رغم ذلك تشعر محسن بوشك أن بيل الدموع من مآقها ، وهي تهمس لاسها القادم تناديه .. زكريا .. زكريا .. مستحيل أن يكون اسمه زكريا .

أنه عندما يحىء سوف يخرجها تملبا من ماضيتها وعنديا

تصبح أمه ، مستكون امرأة أخرى ، ولن تعرف كيف تتعامل مع تلك الأم التي ستكون هي بلحمها وعظامها . ستكون فاطمة أخرى . أو ربما تموت وهي تلد الولد . لأنه مستبقيصى على وجودها كما تعرفه ، وهي غير محصنة ضد التفسير القاسم ولم تشر بعد بأنها جزء من هذا الكائن الذي يقيه يوس لها ، حرة تتعامل معه ، لو كان يونس برقص ، لو كان يعمى ، لو كان يعرف كيف يضحك ملء صدقيه وحتى تصيح عبياء ، لو كان يندفع بكل حيوية ، ولكنه لا يعمل . يأكل بالشوكة والسكين ، كليات صئيلة ، لا يعرف كيف يلتهم ، ولا يرعب بقسوة وطفيان ، مد أن لروحته وعيون الحيران تنظر إليها نظرات محتلة ، ويتحدثون معها بأصوات محتلة ، أكثر احتراما وأكثر بعدا وأكثر غصولا .

الى متى يستمر هذا الضيق الذي يتصاعد ويتكاثر في رأسها ، ما معناه ، ما تفسيره . كانت بين اليقظة والنوع ، ورأسها مسندا الى المخدة وأمامها مقعد ، وسجادة ، ودولاب و امرأة ، ورائته يغفل ، صابنا .

وقال لها بعد أن خلع ستره .

— طلعت عاد .

— سألته .

— هل قبالته ؟

— قبال .

— لا . . ولكنه أرسل لي سيد العتر .

— هفتت غاصة ؟

— ما شأن سيد العتر ؟

كانت تعرف أنه يريد شيئا خاصا بمحاسن ، وأغضها أن يلجأ طمعت الى سيد العتر ، هل حق ، حتى يقدم مسند في أمورهما الخاصة ؟

قال يوس ، وهو يخرج ورقة من حيب مشرقته :

— كتب خطايا قريبا . . أمه يريد محاسن . .

صاحت :

— صبره . .

قال يوس في هدوء :

— سألت رجل قانون أمره . . قال لي أن لك الحضانة . .

صاحت بشراة :

— قانون . . أو غير قانون . . لن يأخذ ابنتي مني . .

ولحظة سألته في دعر :

— اليس هذا هو ما نريده ؟

قال بسرعة .

— طبعاً يا حبيبتي . . وهذا هو ما رددت به على خطابه .

اطمأنت ، فاستعادت شراستها كاملة ، وقالت :

— قر لسيد العتر . . لو اقترب من هذا البيت .

سأنته . .

انضم وقال في هدوء :

— اطمئني يا حبيبتي . .

قلت في غضب :

— انه محرم . .

قال في نقية :

— لن يجرؤ طلعت على أن يفعل شيئا . .

— ولكن هذا التأكيد الذي تحدث به يونس ليطيئها كان

معكس طسة ن لم يكن سدحه في مهم طلائع الشر . لأن يوس لا يتحس أن يحكم على الناس بأنهم أشرر ، أو أنهم قادرون على حرق اقوامهم وارنكاب أشنع المواقف ، وهو يسمع عن الحرائم ، وعن لشور التي يركبها بشر ، كما لو كان يسمع قصصا وحوادث حبابة ، لأنه يعجز عن تمثيل الشر في نفسه . ولكن عاطفة ، كانت تعرف معنى إرسال سيد العتر .

انه انذار واضح ، وتهديد سائر ، بأن طلعت ينوى شرا ، اذا  
بـ رفضت طلبه .

وجهت عاطفة كل عصبها الى يونس وبسالته :  
— لماذا لا يجرؤ طلعت ان يفعل شيئا . من اين لك هذه  
الثقة ؟

قال في غير فهم :

— لانه لن يرتكب جريمة .

صاحت :

— انه يرتكب الف جريمة وجريمة .

واحبشت بالكاء وهي تقول :

— لن تدعهم ياهدون استى مى .

منقذهم منها ، واحاطها بفراغية . لقد بدا بفهم كيف  
حطتها ، ماذا تعنى باللعنة استى مستريح اليها . وما هو  
ربك على كثرة بصوت هامس :

— قلت لك اطمئنى ..

قالت بصوت مستكين .. ولكنه يحمل كل ماديا من  
صرار :

— وما الذى ستفعله . وانت مسافر عدا .. ؟

قال يفسى اهدوه :

— لن ياهدوا منك محاسن .. لانى ما دافع عنك ..  
وسأمدك وامدى امدك بروحى . وان يحدث شيء من المسكر  
وهنا ساعين لا اكثر .

وصدقته . وارتحف جسدها من صدق لهفته ، وثمنت لو  
كان اختار كلمات اخرى غير التى تموء بها .

وكان هذا الوعد الذى قطعه يونس على نفسه . يعنى انه  
مقتل على مواجهة حظيرة مع طلعت ، لئلا كان عد اصغر او ابره  
لسيد العتر قائلا موحشة :

— اذهب وقتل لنت الكلب .. انى اريد استى .. اسبح  
حذ هذا الخطاب واعطه لبوس .

وقد لجأ طلعت الى هذا الأسلوب الهيجى ، بعد أن وقع فى  
محدث معه ، وكان وانقا ان هذا اللقاء سوف يتم سيطرة .  
كما حدث فى آخر لقاء لهما بصدق للسلطن .

واستك طلعت بالتعليمون ، وادارا الرقم ليمال عن يونس .  
ودا بدء تفحص ، وشعر به لا يستطيع ان يتكلم مع يونس .  
واشبهه غيظ شديدة من نفسه . وارسل يطلب سيد العتر .  
وطلب منه ان يحمل خطاب لبوس . لم يتردد فى ان يحضر  
بصوته ..

وكان سيد حلقدا على عاطفة ، ولكن حقه على يونس كان  
اكثر . فاحتار يونس له ، ليس له مثل ، انه بقاء حقد  
قدم يرون او يحب ان يرون ، وهو بلوم يونس لانه احد من  
عاطفه وهدده . ولما صر له من يعود لعاطفة خشية مصيب  
ايه ، اذا به يتزوجها . كان يونس ينافسه فى تهدى الناس ،  
كان يعود به انه ليس معذرا كما كان يصر ، بل هو شجاع  
وحري . وانه حصل على عاطفة سوفته على سيد فى الشجاعة  
والحرارة . كان سيد يظن انه يستعمل يونس ، لماذا ييوس  
هو الذى يستعمل سيد . لقد وصل الى عاطفة بتهديده لسيد ،  
حصل على جسدها ، لانه لوح بايداه سيد وسجته . وصره  
من يعود كثيرا بماعده مى الحصول على عاطفه ، مرفص شراء  
السدره ، وفتح ولده بان يمحض ، لاند انه قال لانه انه لا يثق  
فى سيد ، ولقد اضطر الى ملك السيارة بعد ان وجد النائب  
العام مطرده ليمال متى يفحص رجال العقيد رافت موبور  
السيارة .. قال له :

— السيارة ائدها صاحبها وسافر الى الصعيد يا معادة  
الناسا .. ولا افرى ماذا حدث له ؟

وبعد أيام كان العقيد رأتى يطلب سيد العتر .. ويسأله عن السيارة .. أين ذهبت ، ومن صاحبها ، وما اسمه .. وسيد لا يعرف اسم صاحبها .. أنهم ينادونه المعلم بهنسى .. هذا هو ما يعرفه ، كيف يأخذ سيارة ويركبها من رجل لا يعرفه ولماذا يأتينه هذا الرجل وليس بينهما سابق معرفة .. كان العقيد رأتى يحاصره بالأسئلة .. وحللت الاتهام تضيق ..

حتى قال له العقيد رأتى :

— السيارة أوصافها تنطبق على أوصاف سيارة مسروقة من شارع كفر عبده منذ شهرين .  
قال سيد مدافعا عن نفسه .

— وهل أنا مجنون حتى أذهب بسيارة مسروقة الى سعادة الباشا ليشنقنى .

لم يصدق العقيد رأتى كلاما . لعبد الحميد صفوت أخبره أن السيارة اختفت بعد أن طلب فحص محركها . وهذا دليل على أن سيد العتر كان يعرف أنها مسروقة . ومع ذلك ، لن يشير العقيد رأتى الأمر الى أبعد من هذا ، لأنه لا يملك دليلا ملموسا ، والسيارة غير موجودة . ولن تكون هذه القضية التى يدخل فيها النائب العام ، هي القضية المناسبة التى يتم فيها القبض على سيد العتر .

وأدرك سيد أنه مراقب ، وأن أية محاولة لاستئناف نشاطه الليلي سوف تعرضه لخطر محقق . وبعد أحالة النائب العام الى المعاش سقطت الدعامة التى كان يستند اليها سيد . الأيام لم تعد هي الأيام . والكلمة يجد ما يحصل عليه من هذه الدنيا إلا هو .. والمال يشح بين يديه ، ومثيرة لم تعد تعتمد عليه ، ولو استمر الحال على ما هو عليه ، فلن تكون للحياة معنى . وعليه أن يتدبر أمره ، لأنه لن يقبل الهزيمة ، ولن يستسلم .

وكان سيد قد توجه الى عبد الحميد صفوت فى محاولة

الاحتفاظ بعلاقة طيبة معه ، خشية أن يشير العقيد رأتى قضية العبارة التى كان سيشتريها مسعادة الباشا النائب العام .. وذهب سيد مع أحد التجار المهتمين بتهريب بضائع فى الجبرك . وقابل عبد الحميد صفوت وهو محام أثناء وجوده بفندق سبيل ليرافع فى قضية أرسلها له الحاج مرسى نرج .

وجلس سيد مع التاجر فى حجرة عبد الحميد صفوت ، وشاهد سيد التاجر وهو يعطى للأستاذ خمسمائة جنيه مقدم أتعاب . وشرب مع الباشا الذى كان نالبا عموميا القهوة ، وتبادل معه الحديث ، كأي زبون يتحدث مع محاميه .

وحدث أثناء تلك الجلسة أن قال سيد لعبد الحميد صفوت :

— نفسى أخذك يا سعادة الباشا ..

قال عبد الحميد بابتئان :

— أشكر لك هذا الشعور .. يا سيد ..

نقل سيد بهمس :

— لا تشكرنى يا باشا .. قل ما الذى تريده .. وأنا

أعلم ..

قال الباشا وهو ينفذ ويقرر أنفاسا ضججه ..

— الانسكن بريد .. ولكن مشيئة الرحمن فوق إرادة

البشر ..

قال سيد :

— بصراحة يا باشا .. أريد أن أفتح معك موضعا ..

لا أدري كيف أبدا فيه .

نظر اليه عبد الحميد نظرة حزينة . كان يعرف ما الذى

يعتبه سيد ، ولكنه عاجز عن أن يقول شيئا .

نقل سيد :

— ما رأيك يا سعادة الباشا .. لو خلصت ابنك من الورطة

التي وقع فيها .

قال عبد الحميد بلهجة آلية ، حزين ، وهو يزتر هواء ثقيلًا  
من صدره :

— ياريت ...

ولمعت عينها سيد ، ولح فيها النائب العام ، المحقق الذي  
واجه في حياته بالنباية والقضاء مئات المجرمين . شيئًا لم يسترح  
له ..

تسال سيد :

— ما الذي تعنيه ياسيد ؟

ولتح سيد فيه لينكلم . فإذا بعبد الحميد صفوت يرجع  
بده ، وقد أصابه دعر مفاجيء وهو يقول بالتمهل :

— لا تقل لي شيئًا .. ياسيد .. لا تقل شيئًا .

قال سيد :

ولكنك حزين ياسمادة الباشا ..

هيس عبد الحميد :

— هذه مشيئته ..

قال سيد في استمرار :

— اعدك يا باشا .. بأن تعود الرحلة الى قلبك .. وبومها

ستكون لي الخلاوة بأذن الله ..

واينسم عبد الحميد صفوت . وكأنه نسي المخاوف التي  
حدثها بها قلبه ، وكاد أن يراها في عيني سيد العنر عندما بدا  
بمع الحديث عن يونس وناطية .

عندما سمع سيد أوامر طلعت . قال لنفسه ، ها قد وانتك

الفرصة ، فلما عاد الى طلعت ومعه رد يونس ، بأنه يعتقد أن  
زوجته لن تفرط في إيفتها ، وأنه استشار العارفين بالقانون ،  
لوجد أن من حقها الاحتفاظ بحضانة إيفتها . وجد في ثورة طلعت  
كل ما يشتهي . وضعت أيام ثم استدعاه طلعت وقال له ..

— اسمع ياسيد .. أذهب .. واحضر محاسن ..

قال سيد وهو يفكر في أن يونس مازال في المعسكر بعيدا  
عن بيته :

— وإذا اعترضت أليها ..

— لا يهلك .. ناطية بنت زكريا .. لن تقف في طريقنا ..

أضربها .. وخذ منها البنت ..

— وإذا صصرخت ..

صاح طلعت :

— أكتفها .. وخذ البنت .

قال سيد :

— وتحبيني ..

قال طلعت :

— من يجروا على امراضك !

قال سيد :

— زوجها .. يونس سوف يعود ويعرف ..

قال طلعت وهو يصرق :

— يونس هذا .. امرأة .. أن ما اطلبه منك .. هو

ما أريده .. ويريده أبي ..

قال سيد مكملًا :

— وهو ما يريد أيضا أبوه ..

صاح طلعت :

— ماذا تنتظر .. سامطيك ما تريد ..

وخرج سيد ، ولكنه لم يذهب الى ناطية ، كان يريد أن  
يخلو نفسه ويفكر بهدوء ، لقد طال شوقه لأن يفعل شيئًا يثبت  
به وجوده .. وهو الآن يستطيع أن يدخل على ناطية ، وهو  
مستند الى قوة هائلة . لقد حصل على موافقة الأب . الذي لم  
يمترض وهو يقول له أنه سيخلص ابنه من ورطته ، وما هو  
طلعت وأبوه الحاج مرسى فرج يريدان إيفتها ، وسيقف الجميع

معه ، وسيدانمون عنه . سياخذ محاسن عنوة ، وأذا قلوبته  
ناطبة فسوف ينهرها ، لن يترك لها فرصة للصياح كما حدث في  
المرّة السابقة ، سوف يكتم أنفاسها ، وسوف يقتصبها . فهذا  
هو الضمان له . لأنها لن ترفع رأسها بعد ذلك قد تشعر ، قد  
تذهب إلى منير . ولكنها لن تقول أبدا أن سيد اغتصبني . إذا  
عرف يونس ، لن يهزل ويزعق ويقول للناس أن زوجته اغتصبت ،  
نظر سيد إلى ماعته ، وقرر أن مازال أمامه بعض الوقت ،  
ليشرب زجاجتين بيرة قبل أن ينفذ مهمته وهو لا يدري أن هذا  
التأخير سيكون سببا في المأساة وشيكة الوقوع .

بعد أن خرج سيد العتر من عند طلعت جاء الحاج مرسى  
يزوره في مكتبه .

وقال له إن سارة شقيقة يونس مخطوبة إلى مهندس برجو  
عبد الحميد صفوت تعيينه . . وأن الحاج وعد بأن يتوسط لدى  
طلعت لقبول هذا التعمين .

شتم طلعت بكلمات بذينة . ونجاة صاح :

— أنهم يشعنون الوظائف . . وأنا سأملئ شروطى .

وطلب طلعت ، يونس في المعسكر . .

وسمع يونس صوت طلعت يزعق .

— أريد البنت . .

قال يونس :

— هذا أمر متروك لأما . .

صاح طلعت :

— وحياة لك أنت . . البنت لابد وإن تعود إلى . .

قال يونس :

— المسألة ليست بالقوة . .

قال طلعت مهددا :

— اسمعنى جيدا يا ابن زهيرة . . مصير شقيقتك في يدي  
زوجها يعمل عندي . . وزوجتك ليست أكثر من خادمة رهن  
أشبارتى . .

صاح يونس في هياج :

— أخرس . . يا قليل الأدب . .

قال طلعت ساخرا :

— سستري . .

وانتطعت المكالة ، وقال كلارك ليونس :

— اذهب نورا إلى زوجتك . . أن طلعت بعد هذا التهديد

سينحرك بسرعة . .

دق جرس الباب ، وفتحت ناطبة لتجد أمامها سيد العتر .

قبل أن تفتح نمبا بكلمة ، كان قد عاجلها بكلمة واستسقطت  
مخشيا عليها . وكانت محاسن تصرخ ، وتردد سيد لحظة بين  
اختطاف محاسن في الحال ، وإطفاء رغبته في الجسد الملقى  
أمامه ، وقبل أن يتخذ قراره ، رأى يونس بهماجه ، لم يتردد  
لحظة واحدة في اخراج مطواه من جيبه وفرسها في صدر يونس  
علما أنه يهوى إلى الأرض ، انطلق هاربا لا يلوى على شيء . .  
في تلك اللحظة ، وبينما نساء يونس تسيل ، كانت ناطبة  
تفتق لتري يونس ملقيا على الأرض ، مضرجا في دماؤه ، جسده  
يرتعش رمشة الاحتضار وهي عاجزة عن الفهم ، عاجزة عن  
الصراخ ، عاجزة عن الحركة .

في تلك اللحظة ، وبينما نساء يونس تسيل ، كان عبد الحميد  
صفوت النائب العام السابق ، يقول للمهندس سمير المساهر أنه  
وائق أن الحاج مرسى مرجح سيكون منذ وعده ، وأن طلعت عاد ،  
وسوف يسافر إلى الإسكندرية ويذكر الحاج بوعدده . . وكانت  
سارة تنظر إلى سمير نظرات ظاهرها الاستسلام ، وباطنها  
الاحتقار في انتظار لقاء قائم مع طلعت لتنتقم .

في تلك اللحظة وبينما دماء يونس تسيل ، كان الحاج مرسى يقول لطلعت ، انه تحدث مع يونس برعونة . وان التعامل مع الضعفاء لا يكون بالعنف ، فاللين والعطف تأثيرهما اكبر وعائدتهما افضل من الخشونة والعنف . وكان طلعت يقول لابيها ، انه لا يطبق رخامة الضعف ، وبلادة العجز وانه لا يتحمل اولئك الذين يتكاثرون ويضعون العقبات ويضيعون الوقت فيما لا طائل من ورائه .

في تلك اللحظة وبينما دماء يونس تسيل ، شعرت الحاجة رهيرة بالأم جاد في صدرها ، واطلقت آهة وصباحت تطلب من الخادمة كوب ماء لتبتلع قرصا مهدئا بدأت تجريه صباح اليوم في تلك اللحظة وبينما دماء يونس تسيل ، كان مسسטר كلارك يحدث نفسه بانه غير واثق ان لدى يونس من القدرات ، ما يستطيع بها ان يدافع عن نواياه .

وكأنت دماء يونس مازال تسيل ، حينما اطلقت ناطية صرخات الهول وارتفع صياحها في الحى ان قتلتموه يا مجرمين ..

( نبت )

**:: سحر الليل :: ليلاس ::**  
**www.liilas.com/vb3**

رقم الايداع بدلو الكتب  
٩٦/٨٣٤٨  
1.S.B.N.977-01-4910-1